ذيل الوزير ابي شجاع

وهو ﴿ الجزء الثالث ﴾ من القسم الاخير من

كتاب تجارب الأمم

لأبي علي أحمد بن محمد المعروف بمسكويه

١٩٦٣
٦١٥

﴿ تنبيه مهم ﴾

انما قدمنا طبع هذا القسم الاخير وهو المجلد (الخامس والسادس) من تجارب الامم مع ذيله للوزير أبي شجاع لان تاريخ الطبري ينتهي الى سنة ٣٠٢ وهذا القسم يبتدىء من سنة ٢٩٥ وينتهي مع ذيله الى سنة ٣٩٠ فهو كالتكملة والذيل له ولان مؤلفه (ابن مسكويه) كان خازن عضد الدولة فشاهد بعينه وباشر بنفسه معظم حوادثه فهو أعظم تاريخ لخلفاء بني العباس وملوك الديلم ويكفي لتقريظ تجارب الامم ما جاء في كشف الظنون من قوله

(فهو كتاب جليل القدر عظيم النفع)



marefa.org

موسوعة المعرفة

المعرفة مشروع علمي ثقافي يهدف لجمع المحتوى العربي والإضافة إليه، لإنشاء موسوعة دقيقة، متكاملة، متنوعة، مفتوحة، محايدة ومجانية، يستطيع الجميع المساهمة في تحريرها، بالكتابة أو بالاقتباس من مصادر مرخِصة بالنقل. بدأت المعرفة في 16 فبراير 2007 ويوجد بها الآن 35,501 مقال و 2,409,583 صفحة مخطوط فيها.

خلافاً للغات العالم الكبرى الأخرى، تفتقر الثقافة العربية إلى المحتوى الإلكتروني، ويفاقم من ذلك الوضع قصر عمر المواقع الإلكترونية العربية، مما يجعل محتواها الإلكتروني مملوكاً لكيان اعتباري قد زال من الوجود، ولا يستطيع حتى كاتب المحتوى نشره في مكان آخر.

لذا فندعو المهتمين إلى المساهمة في جمع تراثنا في موسوعة المعرفة الحرة والحصول على تصاريح النقل من مختلف المصادر وتوعية أصحاب تلك المصادر ببدائل علامة حفظ الملكية التي تتيح نشر المعرفة. **ادع أصدقاءك للكتابة في أي موضوع معرفي يهمهم.**

مشروع معرفة المخطوطات

تشهد الثقافة العربية تراجعاً على كافة الأصعدة. ونتيجة لذلك تخلى العديد من الشعوب عن استخدام الأبجدية العربية، مما أدى إلى سقوط مراكز إشعاع الثقافة العربية في تلك الشعوب في غياهب النسيان. فنرى حواضر حيدر أباد وتنبكتو وزنجبار وسمرقند ملآى بمئات الآلاف من المخطوطات العربية في حالة يرثى لها من الإهمال. ولقد شكلت التقنية الحديثة من الماسحات الضوئية والإنترنت بارقة أمل. إذ أصبح بإمكان المتطوعين، حيثما كانوا، المشاركة في تحويل تلك المخطوطات الممسوحة إلى نصوص رقمية يعم نفعها الجميع.

وتفخر موسوعة "المعرفة" بحصولها على 25,000 مخطوط تحتوي على 2,409,583 صفحة من المخطوطات من حكومة الهند، وهي تمثل 5% من المخطوطات باللغة العربية التي يعملون على مسحها ضوئياً. قائمة بروكلمان لأهم مصادر الكتب والمخطوطات العربية تضم 16 مكتبة بالهند بين أهم 168 موقع بالعالم. أمدتنا الهند كذلك بملايين الصفحات بالفارسية والتركية (بحروف عربية). وبعد أن كانت الهند أكبر مشتر وقارئ للأدب العربي أصبحت اليوم لا تجد بين أبنائها من هو قادر حتى على قراءة عناوين تلك المخطوطات. الفرصة سانحة لإثراء تراثنا ودعم أواصر التعاون الإنساني مع حضارة الهند الصديقة. المشروع ذاته يجري تكراره مع تجمعات Corpora المخطوطات العربية الكبرى في الصين وتنبكتو (مالي).

هذه قائمة جزئية للمخطوطات التي لدينا. أخبرنا (بالضغط هنا) أي منها تريدنا أن نعجل بالنشر.

خطوات المشروع:

1. الحصول على صور المسح الضوئي للمخطوطات.
2. نشر المخطوط إلكترونياً مقروناً بمقالات من موسوعة المعرفة متعلقة بالمخطوط والكاتب. ويمكن للجميع تحميل المخطوط. قائمة المخطوطات الجاهزة للتحميل.
3. تدوين المخطوطات, أي تحويل الصورة الممسوحة ضوئياً إلى نص حرفي يمكن التعامل التحريري معه، وذلك للمخطوطات التي لا يوجد لها نصوص. وهذا عن طريق مشروع شقيق باسم معرفة المخطوطات ليضم برنامج تدوين المخطوطات عن بعد Distributed Proofreading. وتلك الخطوة تتطلب جهداً فائقاً ندعو القراء للمشاركة فيه (بالتسجيل هنـا).
4. تقديم نص المخطوط إلى مشروع گوتنبرگ Gutenberg Project لنشر كتب التراث العالمي. وقد انضمت موسوعة المعرفة **لمشروع گوتنبرگ** وهي بذلك المشارك العربي الوحيد في هذا المشروع العالمي.

مع تحيات مدير المشروع

د. نايل الشافعي

ذيل

كتاب تجارب الأمم

للوزير أبي شجاع محمد بن الحسين الملقب

﴿ ظهير الدين الروذراوري من سنة ٣٦٩ الى ٣٨٩ ﴾

﴿ وتليه قطعة من تاريخ هلال الصابي الكاتب الى سنة ٣٩٣ ﴾

مع نخب من تواريخ شتى تتعلق بالأمور المذكورة فيه

وقد اعتنى بالنسخ والتصحيح هـ ف آمدروز

﴿ يحتوي على حوادث (٢٥) سنة من ٣٦٩ الى ٣٩٣ هجرية ﴾

وكان هذا الوضع الجليل والطبع الجميل بمعرفة الفقير الى به فرج الله زكي الكردي

بمطبعته بشركة التمدن الصناعية بمصر المحمية سنة ١٣٣٤ هـ و ١٩١٦ م

﴿ ترجمة المؤلف عن تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي ﴾

قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٤٨٨ : محمد بن الحسين بن عبد الله بن ابراهيم الوزير ظهير الدين أبو شجاع الروذراوري وزر للمقتدي بالله بعد عزل عميد الدولة منصور بن جهير سنة ٧٦ وصرف سنة ٨٤ وأعيد ابن جهير ولما عزل قال

تولاها وليس له عدو وفارقها وليس له صديق

ثم انه حج وجاور بالمدينة الى ان مات بها كهلا وكان دينا عالما من محاسن الوزراء قال العماد الكاتب : لم يكن في الوزراء من يحفظ أمر الدين والشرع مثله وكان عصره أحسن العصور رحمه الله . وقال صاحب المرآة : ولما ولي وزارة المقتدي كان سليما من الطمع في المال لانه كان يملك حينئذ ستمائة ألف دينار فأنفقها في الخيرات والصدقات قال أبو جعفر الخرقي : كنت أنا واحداً من عشرة تتولى اخراج صدقاته فحسبت ما خرج على يدي فكان مائة الف دينار وكان يبيع الخطوط الحسنة ويتصدق بها ويقول : أنا أحب الاشياء الي الدينار والخط الحسن فانا أتصدق بمحبوبي لله . وجاءته قصة بان امرأة وأربعة أيتام عرايا فبعث من يكسوهم وقال : والله لا ألبس ثيابي حتى ترجع ، وتعرى فعاد الغلام وهو يرعد من البرد . وكان قد ترك الاحتجاب ويكلم المرأة والصبي ويحضر مجالسة الفقهاء والعوام لا يمنع أحداً . وأسقطت المكوس في أيامه وألبس الذمة الغيار ومحاسنه كثيرة وصدقاته غزيرة وتواضعه أمر عجيب فرحمه الله تعالى

ووردت ترجمة أبي شجاع الروذراوري في وفيات الاعيان لابن خلكان ٢ : ٩١ وفيها أنه عمل ذيلا على كتاب تجارب الامم

مقدمة المؤلف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم[٢] ﴾

(وبه ثقتي)

أما بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه أهل الحمد والثناء . المفرد بالوحدانية والبقاء الذي لا يحيط به مكان . ولا يغيره زمان . لا اله الا هو مبدع المكان وموجده . ومحدث الزمان ومنفده . خالق الخلق أطواراً . وجاعل الظلمة والضياء ليلا ونهاراً . كتب على الخلائق تقلب الاحوال لانه لا يحول . وقضى على الازمنة حكم الزوال لانه

لا يزول . والصلاة على رسوله محمد الذى بعثه بالرسالة . وهدى به من الضلالة . وأنقذ بمعرفته من الجهالة . ودل على نبوته بافضل الدلالة . واختاره من أشرف البلاد وطنا وداراً . واصطفاه من أكرم العباد حسبا ونجارا . حيث المشعر الحرام والمعشر الكرام . وجعله آخر الانبياء بعثا في الدنيا الى العباد . وأولهم بعثا الى المعاد . وجعلنا من أمته الذين جعلهم أمة وسطا . وأبان لهم من الاسلام منهجا جددا . ووفقهم فى الدين فتحروا رشدا . فقولهم سديد . وفعلهم رشيد . وهم شهداء على الناس والرسول عليهم شهيد . وعلى آله الذين سبقوا الى مصاحبته وسعدوا بمرافقته .[٣] وشرفوا بمتابعته في هجرته . وكرموا بايوائه ونصرته . فهم معالم الهدي . ومصابيح الدجا . كدرارى النجوم تهدي السارى بنورها . وتقي الغاوي من فتنة الدنيا وغرورها .

والدعاء لخليفته الامام المقتدى بامر الله أمير المؤمنين صاحب العصر المؤيد بالنصر المختار من شجرة طيبة الشرف والعلاء . أصلها ثابت وفرعها فى السماء . شربت من ماء النبوة الطاهرة عيدانها . وتفرعت بالخلافة الظاهرة أفنانها . كما قال جده العباس لبعض أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين : كان رسول الله دوحة نحن أغصانها . وأنتم جيرانها . وهو المنصب العظيم . من المحتد الصميم . والبيت الكريم . الذى أول درجاته النبوة والكرامة . وثانيهما الخلافة والامامة . ولاثالث لهما بعد ذلك الى القيامة . توارثها امام عن أمام . وقام بها أمير المؤمنين المقتدى بامر الله خير قيام .

ان الذى رفع السماء بنى لهم　　بيتا دعائمه أعز وأطول[١]

شد الله عضده بذخر الدين . وولى عهده فى المسلمين . وباخوته الغر الميامين . وجعلها كلمة باقية في عقبه الى يوم الدين .[٤] وأيد دولته بجلالها الذاب عن حماها . المناضل عن علاها . جمال الملة مغيث الامة معز الدنيا والدين يمين أمير المؤمنين الملك العادل المحبب الى القلوب . والركن الشديد المعد لدفع الخطوب . ودبر ملكه بنظامه المبارك . فى أيامه . قوام الدين رضى أمير المؤمنين الوزير الظهير . الموفق بحسن التدبير .

وبعد أداء الفروض المقدمة الواجبة . والسنن المؤكدة الراتبة . وقضاء حقوقها المستثبتة الازلية وسلوك طرقها المستقيمة اللاحبة . فان أولى ماصنفه للمقيد . وعني بقراءته المستفيد . جمع أخبار الامم الخالية . وحفظ تواريخ الازمان الماضية . لانها أوفي المصنفات فائدة وأكثرها عائدة . وأحسنها أثرا . وأطيبها ثمرا . اذ كان أنفع العلوم ما أدت مقاصده الى

(١) بيت الفرزدق ولراجع كتاب الاغاني ٧ : ٥٦

التوحيد . ووقفت موارده على تثبيت قدرة الخالق في نفوس العبيد . وفي تدبر اختلاف الليل والنهار . وتأمل مجارى الاقدار وتقلب الادوار . في توالى الامم وتعاقبها . وتداول الدول وتداولها . قال الله تعالى : وتلك الايام نداولها بين الناس . اكبر دليل على وحدانية من يثبتهم ثم يحصدهم [٥] ويشقيهم ويسعدهم . وينشئهم ويبيدهم . ويعيدهم . ويحييهم ويميتهم وهو على جمعهم اذا يشاء قدير . تبارك اسمه وجل ثناؤه . وعظمت قدرته وكثرت آلاؤه . مرجع الخلق والامر اليه وبيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه له الحمد كله وبتوفيقه يتضح في الرشاد سبله فلا عبادة اذاً أرقى من التوحيد فوقعه من العبادات موقع الرأس من الجسد به اعتداله وبقاؤه . ومحله من الاعتقادات محل الروح من الجسم بها حياته وبقاؤه . ولو لم يكن علم القصص عظيما لما من الله تعالى به على نبيه عليه السلام قال : نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وأن كنت من قبله لمن الغافلين وقال سبحانه طسم تلك آيات الكتاب المبين . نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون وقال تعالى : كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكراً) ولو لم يكن في ذلك الا ما ينتفع به المعتبر من قلة الثقة بالدنيا الفانية . وكثرة الرغبة فى الآخرة الباقية . لكفى ما تنتجه هذه البصيرة من جميل الافعال . وتحث عليه هذه النتيجة من صالح [٦] الاعمال . فكيف وأولى ما يعتمده أولو الامر وأصحاب الزمان . ومن بايديهم مقاليد الملك والسلطان . وأوجب ما يتشاغل به من اليهم أزمة الامور . وعليهم سياسة الجمهور . ادمان النظر في كتب التاريخ واحسان التتبع للاخبار . والآثار والتفكر في حال من مضى من الاخيار والاشرار . ليعدوا ما بقى للمحسن من الصيت الحميد الذى صار له حياة مخلدة وبالاجر [١] الذى اكتسبه . وللمسيء من الذكر القبيح الذى جعل صحيفته مسودة بالوزر الذى احتقبه . ويتصفحوا حال الحازم فى حزمه وعقله . والمضيع فى تفريطه وجهله . فيسلكوا من الطرائق أوضحها وأمثلها. ويتقبلوا من الخلائق أشرفها وأفضلها . ويردوا من المشارب أصفاها وأعذبها . ويرعوا من المراتع امرأها وأخصبها . ويأخذوا من الامور بأحزمها . ومن التجارب بأحكمها. فمهما يكن من حسنة اقتبسوا منها . ومهما يكن من سيئة ارتدعوا عنها . فالسعيد من انتفع بالادب فيما دأب غيره فيه من التجارب . والرابح من حظى بالراحة فيما تعب به سواه من المطالب . لان العقل غريزة في الانسان . والتجارب مكتسبة في الزمان . والرأى [٧] لقاح العقل والتجربة نتاجه . والخير مقصد الحجي والاجتهاد منهاجه . ومن أين للانسان

---

(١) لعله ومن الاجر

من العمر الطويل . ما يحصل فيه على تجربة الدقيق والجليل . وقيل : العمر قصير والعلم كثير [1] فخذوا من كل شيء أحسنه

فاذا تأمل المرء سيرة الماضين من الاقوام . جنى مع تقارب الشهور والايام . ثمرة ما غرسوه على تطاول الدهور والاعوام . وعلم علل الاحوال وفوائدها . وحيل الرجال ومكايدها . وعرف مبادىء الامور ومصائرها . وقاس عليها أشباهها ونظائرها . وعمل بأنفع ما حبي به من الفهم والعلم . وانتفع بأصوب ما عمل به في الحرب والسلم . وأقدم على المواطن التي يرجى في أمثالها الظفر . وأحجم عن الاماكن التي يتوقى في أشكالها الحذر . وتسلى بمن تدرع الجلد عند حدوث النوائب . وتأسى بمن توقع الفرج حين ظهور العجائب . وذكر مصير العاقبة اذ ارخت يد الغفلة عنان أشره . ونظر بالبصيرة الثاقبة اذ غطى غرور الدنيا على بصره .

فهذان القسمان يجمعان الدين والدنيا . ويبلغان بصاحبهما الدرجة العليا . فاما ما في ذلك من حسن المفاوضة والمذاكرة . وأنس المحادثة والمسامرة . فقد [8] خففت القول فيه لانه يصغر في جنب ما قدمت ذكره من القسمين العظيمين . والامرين الجسيمين . كما قال النبي صلعم : كل الصيد في جوف الفراء [2]

واني تأملت كتاب تجارب الامم . وعواقب الهمم . الذي صنفه (أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه) فوجدت فوائده غزيرة . ومنافعه كثيرة . وعلمه جما . وبحره خضما . فراقني تأليفه وأعجبني تصنيفه . فرحم الله مصنفه وأجزل في الآخرة أجره . كما طيب في الدنيا ذكره . فلقد اختار فاحسن الاختيار . ومخض فأتي بزبد الاخبار . وسلك سبيلا وسطا بين التطويل والاختصار . ثم لم يقنع بذلك حتى قرب مسافات الطرق البعيدة . وبرز من أثناء الاختيار ذكر الآراء السديدة . ونبه فيها على مقامات حميدة . وبين ما جرى في كل وقت من خدعة ومكيدة . لئلا يبعد من يد المتناول قطاف الثمرة اليانعة . ولا يطول على فكر المتأمل وجود الزبدة النافعة . وأحر به ذلك فان نفعه وان لم يدرك زمانه باقي النفع بادي الاثر . والروض ينبيء عن فضيلة الغيث وان ولى أوان المطر . فدعاني وقوف همتي عليه الى اقتفاء أثره . [9] وسلوك ما سنه في ورده وصدره . وصلا للسلك الذي بنا [3] مثاله . ونيابة عنه في تشييد ما شاه بعد انقضاء أيامه . وسنة لمن بعدنا يستمر الآتي منها على سيرة الغابر . ويتصل بحبل الاول فيها حبل الآخر . لا تعاطيا منا للمساجلة . ولا تعديا في المماثلة . لا مجاراة في المضمار . ولا

(١) هذا الرأى منسوب الى بقراط اليونانى (٢) ليراجع كتاب الميدانى (٣) لعله بدا

مساواة في الاختيار . ولا ماقاله زهير [١]

هو الجواد فان يلحق بشأوهما　　على تكاليفه فمثله لحقا

فهيهات كيف الطبع في اللحاق . وقد شأى المتقدم في السباق . لا سيما وطرف الفصاحة تحت كاب . وحد البلاغة في يدي ناب . فأين المصلي . من المجلي . وأين الكهام . من الحسام . وأين السنيح من المعلى . وأين العاطل من المحلى . أريها السها وتريني القمر ولكني أقول ما قاله في البيت الثاني

أو يسبقاه على ما كان من مهل　　فمثل ما قدما من صالح سبقا

هذا لعمري أقرب الى الصواب . وأليق بهذا الباب . فأحسنت القياس وسلمت قصبة السباق وأعطيت القوس باريها . وأنشدت الضالة باغيها . [١٠]

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة　　اذاً لشفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا　　بكاها فكان الفضل للمتقدم [٢]

ثم ان التصنيف رجالا عنوا بامره وعاموا في بحره . وأنسوا بجمع شارده . وتفردوا بنظم فرائده . وصاروا بصدده . واستولوا على أمده . فهم لقسيه براة . والى غرضه رماة . وفي طرقه هداة . وقد ربيت في غير هذا الوكر . وسقيت من غير هذا الدر . وتحليت بغير هذه الصناعة فان قصرت عن بلوغ معانيه . فاحذوا العذر في العجز وان وقع سهمي دون مراميه . فاعذر فالنزع [٣] في القوس لمن فلمن سبقنا فضيلة الجمع والاستئثار . ولنا من بعدهم وسيلة الاختيار والاختصار . وكل مجتهد مصيب . وله من حسن الذكر نصيب

فسامت الى من تقدمنا الفضل في زمانهم لمحاسن تلك العلوم المشهورة . ولو انهم أدركوا زماننا لسلموا الفضل الينا بمحاسن هذه الدولة المنصورة . دولة الامام المقتدي بامر الله أمير المؤمنين ذي الكرم والفخار . والحلم والوقار . والاخلاق الطاهرة . والافعال الباهرة . والكرامات العجيبة في المنشأ والمولد . والدلالات الصحيحة في المغيب والمشهد به أنقذ الله الرجاء من أسر اليأس [١١] وألقى عليه محبة قلوب من الناس . بعد ان فجعوا بذخيرة الدين (وليس للقائم رضوان الله عليهما عقيب سواه . ولا ثابت أحد يصلح للعهد فيولاه) فتقطعت النفوس حسرات . وترجعت الانفاس زفرات . وبكت الملة واستولت الوحشة والغمة وأتى الحمل الميمون به لتمام . وبدا وجهه المنير فجلا كل ظلام . وسارت « البشرى » بذكره في سائر الآفاق . وزهت أعواد

---

(١) ليراجع قصيدته التي أولها بان الخليط أجد البين فانفرقا (٢) البيتان لعدي بن الرقاع (٣) لعله فاعذروا لنزع

الدابر باسمه حتى كادت تعود الايراق . ثم كلاه في الفتنة الحادثة أحسن كلاءة بين أعاديه . وألحفه جناحا من الحياطة ستره بين قوادمه وخوافيه . فكانت قصته كقصة موسى عليه السلام حين القي صغيرا في اليم . ونجا كبيرا من الغم . وأعاد القائم بأمر الله رضوان الله عليه الى مقر سلطانه . وفسح في مدته وبارك في زمانه . لاتمام عهده . وانجاز وعده حتى يبلغ الامر منه على حين السن المستحقة لعلو أسبابه . وتقمص جلبابه . فكان ذخيرة الدين خلفا لنجله . وكان القائم بامر الله عاد في تلك النوبة لاجله . فاستحق بنفسه وارثه شرف الخلافة العظيمة . وحوى في شرخ الشبيبة جميع محاسن الاخلاق الكريمة وارتقى من المجد ما لاتبلغ الاوهام ذروته . (١٢) واجتنى من الحلم ما لا تحل الايام حبوته . وساس الامور بهمة علية . وسيرة رضية . وخلافة جاءت كالنصر من السماء . ولم يكن مثل ذلك لامثاله من الخلفاء وكأنما عناه أبو العتاهية بقوله

أتته الخلافة منقادة اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها أحد غيره لزلزلت الارض زلزالها

فما خلا متقلد للخلافة في عصر ممن ينازع في ردائها ويجاذب على غنائها . ويترشح لحلها ويتطاول لمكانها . الى أن يستقر الرأي في قراره . ويجتمع الامر من أقطاره . الا امام عصرنا المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين فانه تفرد في عصره بهذا الاستحقاق . واجتمعت الكلمة عليه لوقتها بالاصطلاح والاتفاق . فلم يخطر منازعته بخلد ولابال . ولو كان الزمان ذا لسان لقال «هذا صاحبي بلا مراء ولاجدال » لاجرم أن سعادته مخصوصة بأوفى كمال . محروسة باذن الله تعالى عن نقصان وزوال . ودولته محوطة بأكرم ظهير وموال .

وأنى يكون للدول الاولى مثل جلال الدولة بن عضد الدولة الهمام ابن الهمام الملك (١٣) عضد الدولة المعظم من الاخوال والاعمام . الحامي حوزة الاسلام . الملبي لدعوة الامام . الذي كرم طرفاه . وعظم شرفاه . ودانت لصولته الامم . وانكشفت بدولته الظلم . وحرت بنصرته الاقدار . وانفتحت على يديه الفتوح الكبار . أطول الملوك باعاً . وأحسنهم في الدين ذبا ودفاعاً . فهو تاج على جبين الايام الزاهرة المهدية يزيد في أنوارها . وركن الدولة القاهرة العباسية يدفع عن أقطارها . زاد على أنوشروان بفضله وعدله . وأوفى على بهرام ببأسه ونجدته . وفضل أردشير بتدبيره وسياسته . وساوى الاسكندر بملكه وبسطته . فالشرق والمغرب مذعنان لطاعته والبدو والحاضر

منقادان لتباعته . كل ذلك ببركات مخالصته لامامه . وحسن نيته في محبة أيامه .

وأين كان لتدبير الاقاليم وزم أمورها وحفظ الممالك وسد ثغورها . مثل نظام الملك قوام الدين الذي أعد للخطوب أقرانها . حين عجم بالتجربة عيدانها . وجمع رياسة السيف والقلم . لما كفل بسياسة العرب والعجم . بنقيبة في الدولة ميمونة . وسريرة في النصيحة مأمونة . وحزم لا يشان بهفوة . وعزم لا يخان بنبوة . وخلق لا تجد فيه عنفا وراى لا [١١] ترى فيه ضعفا . وهيبة مع طلاقة بشر . وتواضع مع رفعة قدر . فاذا قيل له اتق الله سمع وأطاع . واذا خوف بالله خاف وارتاع . فافعاله أفعال العباد . وأخلاقه أخلاق الزهاد . مع انقياد الدنيا له في الاصدار والايراد . ونفاذ أمره على الرعايا والاجناد . وجمعه في منهل العدل بين الظباء والآساد .

فاي دولة تباهي هذه الدولة القاهرة في مناقبها ومآثرها . واي أيام تضاهي هذه الايام الزاهرة في محاسنها ومفاخرها . وأي قول ينتهي الى حد وصفها وان امتد وطال . وأي بليغ يبلغ أمد فضلها وان أسهب وقال .

فأعود الان الى ذكر ما أنا قاصده من الاختيار . متبرئا من عهدة ما أورده من الاخبار . لاني أتبع في كتاب التاريخ مسطورها . فاختار بحسب المعرفة عقودها وميسورها . وما عساه يندر من خبر شاذ تلقف من أفواه الرجال . وخلا التاريخ من ذكره اما خفاء أو نسيان أو اغفال . فانه يثبت في واطنه . وينظم مع قرائنه . واذا انتهيت انشاء الله سبحانه الى أخبار زمان اتسع المجال . وأمكن المقال . وعمدت حينئذ الى ما شاهدناه وخبرناه فاخبرت به على وجهه وذكرته مجتهدا في التحري وبحسب الامكان الذي لا أقدر على سواه [٥] وعدو الوسع الذي لا يكلف الله نفسا الا اياه .

وأول ما أبدأ به الان في كتابي هو آخر ما ختم أبو علي مسكويه رحمه الله به كتابه في سنة ٣٦٩ والله تعالى ولي حسن التوفيق . والهادي في جميع المقاصد الى سواء الطريق . وبه أعوذ من الخطل واعتصم من الزلل . واياه أسأل خاتمة جميلة . بالمغفرة كفيلة .

انه غفور رحيم

﴿ انتهت المقدمة ﴾

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر عضد الدولة عند توجهه الى الجبل ﴾

رحل بالعسكر من المصلى في يوم السبت لثلاث خلون من ذي الحجة وقد استصحب أبا عبد الله الحسين بن سعدان ينفذ الامور بين يدى عضد الدولة واليه عرض العسكر . فلما حصل بين حلوان وقرميسين عاده المرض الذي كان عرض له من قبل وحجب الناس عنه حجابا وقع به الارجاف والاضطراب ثم أفاق وظهر وركب الي قرميسين . ووافاه بنو حسنويه وقد كانوا راسلوا وبذلوا الطاعة بوساطة أبي نصر خواشاذه الا أنه لم يقدر أنهم يأنسون الى الحضور بأجمعهم (٦)

﴿ ذكر القبض على بعض أولاد حسنويه واصطناع بعضهم ﴾

حضروا العسكر فاقعدوا في خركاه من وراء السرادق ووكل بهم خواص الديلم وغلمان الخيول ورتب الاعراب والاكراد والرجالة (و) الفرس من حوالى العسكر وبظاهر البلد لئلا يفلت منهم أحد أو من أصحابهم وقبض منهم على عبد الرازق وأبي العلاء وأبي عدنان وبختيار وعلى كتابهم وأسبابهم ووجوه الاكراد الذين معهم . واستدعى بدر عاصم وعبد الملك ووصلوا الى حضره عضد الدولة وخاطبهم بما رآه من واصطناعهم وحملوا الى الخزانة فخلع على بدر القباء والسيف والمنطقة الذهب وحمل على فرس بمركب ذهب وقلد زعامة الاكراد البرزيكاني ومن يجرى مجراهم وخلع على كل واحد من عاصم وعبد الملك ".راعة الديباج والسيف بالحمائل وحملا على دابتين بمركبين مذهبين ووضع على كل من كان مع المقبوض عليهم من الاكراد السيف ونهبت خللهم بما فيها . ونفذ أبو الوفاء

طاهر بن محمد الى قلعة سرماج فافتتحها [١٧] وأخذ ما كان فيها من ذخائر حسنويه . [١]

﴿ ودخلت سنة سبعين وثلثمائة ﴾

وسار عضد الدولة الى نهاوند وأقام بها ورتب العمال في النواحي وجدّ في تناول الموجود لانه كان من رأيه أن يجعل همذان ونهاوند لمؤيد الدولة ويستضيف الدينور وقرميسين وما يجرى مجراهما الى أعمال العراق . ثم انتقل فى صفر من نهاوند الى همذان ونزل دار فخر الدولة بها .

﴿ ذكر ورود الصاحب أبي القاسم اسماعيل بن عباد [٢] ﴾

في هذا الشهر ورد الصاحب ابن عباد الخدمة عن مؤيد الدولة وعن نفسه فتلقاه عضد الدولة على بعد من البلد وبالغ في اكرامه ورسم لاكابر كتابه وأصحابه تعظيمه ففعلوا ذلك حتى انهم كانوا يغشونه مدة مقامه مواصلة ولم يركب هو الى أحد منهم وكان غرض عضد الدولة بذلك استمالة

---

(١) قال سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان : وفي صفر سنه ٣٧٢ قبض عضد الدولة على أبي الوفاء وحمل الى قلعة الماهكي ثم قتل بعد وفاة عضد الدولة . وقال أبو الفرج ابن الجوزى في كتابه عجائب البدائع (كتبخانة باريس ١٥٦٧) ومن عجائب الاتفاقات العجيبة في المقادير وهو ما ذكره هلال بن المحسن بن أبي اسحاق الصابي في تاريخه أن أبا عبدالله الحسين بن أحمد بن سعدان انه لما وزر لصمصام الدولة كان أبو الوفاء طاهر بن محمد معتقلا في بعض القلاع وكان أبو عبد الله ابن سعدان يعاديه فانفذ حاجبا لقتله وحمل رأسه فلما قتله أحضر رأسه اليه فشاهده وأمر بدفنه تحت درجة داره بما يلي دجلة ثم قتل أبو عبد الله ابن سعدان بعد ذلك ورمي رأسه وجثته الي دجلة ولم يزل الماء يهدو برأسه وجثته حتى انتهى به الى مشرعة دار أبي الوفاء طاهر بن محمد فأخذه الملاحون ودفنوه تحت درجة أبي الوفاء والجزاء من جنس العمل ...

(٢) وردت ترجمته في ارشاد الأريب ٢ : ٢٧٣

مؤيد الدولة وتأنيس [١٨] الصاحب .

ووردت كتب مؤيد الدولة يستطيل مقام الصاحب ويذكر اضطراب أموره بعده فوقع الشروع في تقرير ارتفاع همذان ونهاوند مهما عليه وتولى أبو عبد الله محمد بن الهيثم عمل العمل بالارتفاع .

﴿ ذكر عمل رتب في تكثير اعتداد بارتفاع ﴾

صدر العمل بأن قال : مبلغ ارتفاع النواحي الفلانية ، وتمم الحكاية عن كذا وكذا ورقا صحاحا . من الورق بنقد المخرج كذا وكذا . وأضاف اليه الربع اعتمادا للتكثير . وأنفذ العمل مع أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف وأبي الوفاء طاهر بن محمد وأبي عبد الله ابن سعدان الى الصاحب أبي القاسم ورسم لابي عبد الله الحضور معهم عنده وموافقته على أبوابه ففعل واستوفى مناظرته وكمل الارتفاع بزيادة على موجوده .

﴿ ذكر عود عضد الدولة الى مدينة السلام [١٩] ﴾

برز عضد الدولة الى ظاهر همذان في شهر ربيع الآخر للعود الى مدينة السلام وخلع على الصاحب الخلع الجليلة وحمله على فرس بمركب ذهب ونصب له دستا كاملا في خركاه يتصل بمضاربه وأجلسه فيه وأقطعه ضياعا جليلة من نواحي فارس وحمل الى مؤيد الدولة في صحبته ألطافا كثيرة وضم اليه من العسكر المستأمن عن فخر الدولة عددا ليكونوا برسم خدمة مؤيد الدولة

﴿ ذكر ما جرى عليه أحوال أولاد حسنويه بعد وما جرّه ﴾

(الحسد من القاء من نجا منهم بيده الى التهلكة)

لما تقدم بدر وفضل بالسيف والمنطقة احفظ ذلك عاصما وأوحشه

وأقام قليلا ثم انحاز الي الاكراد المخالفين خالعاً للطاعة منابذا لبدر . فاخرج اليه أبو الفضل المظفر بن محمود في عدة من الاولياء حتى أوقع بمحمود وأخذه أسيرا وأدخله همذان راكب جمل بدراعة ديباج ولم يعرف له خبر بعد ذلك وتفرد بدر بالخدمة والانتساب [٢٠] الى الحجبة . وقتل جميع أولاد حسنويه .

وفي هذه السنة ورد الكتاب بان أبا على الحسن بن عمان أخذ المعروف بالصيداوي وقتله

﴿ ذكر حيلة تمت على الصيداوى حتى أخذ وقتل ﴾

كان هذا الرجل أحد قطاع الطريق فى أعمال سقي الفرات فاحتال أبو على ابن عمان فى أخذه بأن دسّ عليه جماعة من الصعاليك أظهروا الانحياز اليه فلما خالطوه قبضوا عليه وحملوه أسيرا الى الكوفة فقتله وأنفذ رأسه الى مدينة السلام فشهره بها

وفي هذه السنة ورد كتاب أبي على الحسن بن على التميمي بالقبض على ورد الرومى [١]

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

لما توفى أرمانوس ملك الروم اتفق أن نقفور الدمستق وهو رجل ذو سياسة وصرامة كان قد خرج الي بعض بلاد الاسلام ونكأ فيها ثم عاد فعرف خبر وفاة ارمانوس حين قرب من القسطنطينية [٢١] فاجتمع اليه وجوه الجند وقالوا له : ان الملك قد مضى وخلف ولدين لا غناء عندهما مع صغر سنهما وما يصلح للنيابة عنهما فى تدبير الملك غيرك ونحن نرى ذلك

(١) هو السقلاروس قد تقدم ذكره

من المصلحة للناس والمملكة . فامتنع فراجعوه حتى أجابهم ودخل الي الملكين وخدمهما وأظهر الحجبة لهما والنيابة عنهما ثم لبس التاج وتزوج بوالدتهما ثم وقع منه جفاء لها استوحشت به منه

﴿ ذكر تدبير دبرته المرأة حتى تم لها قتل نقفور لقلة حزمه ﴾

راسلت ابن الشمشقيق وأطمعته في قتل نقفور واقامته مقامه في التدبير واستقر الامر بينهما على ان صار هو وعشرة نفر من خواصه سراً الى البلاط التي تنزلها هي ونقفور فادخلته ليلا وكان نقفور يجلس أكثر الليل للنظر في الامور وقراءة السير ويبيت على باب البيت الذى يأوي الي فراشه فيه خادمان فلما حصل ابن الشمشقيق داخل البلاط هجموا على الموضع وقتلوا الخادمين وأفضوا الى نقفور وقتلوه ووقعت الصيحة وظهرت القصة واستولى ابن الشمشقيق على [٢] الامر وقبض على لاون أخي نقفور وعلى ورد بن لاون [١] فاما لاون فانه كحله وأما ورد فانه حمله الي قلعة في البحر واعتقله . وسار الى أعمال الشام فحمل فيها الافاعيل وانتهى الى طرابلس فامتنع عليه أهلها فنزل عليهم ونازلهم . [٢]

فكان لام الملكين أخ خصيّ واليه وزارة الملك منذ أيام الملك أرمانوس واسمه بركوس [٣] فقيل انه دس على ابن الشمشقيق سما في طعام او في شراب فأحس به ابن الشمشقيق في بدنه فسار عائداً الي قسطنطينية وتوفي في طريقه واستولى بركوس على الامر .

وكان ورد بن منير [٤] كبيرا من كبراء أصحاب الجيوش ومقيما في بعض

(١) هو العفاص (ورديس) (٢) ليراجع فيه تاريخ ابن القلانسي ص ١٤ — ١٢
(٣) هو باسيل أخ لجدة الملكين (٤) هو السقلاروس

الاعمال فطمع فى الامر وجمع الجموع واستجاش بالمسلمين من الثغور وكاتب ابا تغلب ابن حمدان وواصله وصاهره . واخرج الملكان اليه عسكرا بعد عسكر فكسرهم واستظهر وسار الي القسطنطينية ودهم الملكين ما ضاقا به ذرعا فاطلقا وارديس بن لاون واصطنعاه واستحلفاه على المناصحة وأنفذاه للقاء ورد في الجيوش الكثيرة وجرت بينهما وقائع ابلى كل واحد منهما بلاء ظاهرا حتى تبارزا وتضاربا بالاتوت الى ان وقعت خوذتهما عن رؤوسهما .

ثم انهزم ورد ودخل الى بلاد [٢٣] الاسلام مفلولا وحصل بظاهر ميافارقين على نحو فرسخ منها (وأبو على الحسن بن على التميمي الحاجب اذ ذاك بها) وراسل عضد الدولة وأنفذ أخاه اليه فأحسن تقبله ووثق اليه بخطه وأعاده عليه بوعد جميل فى انجاده .

وتلاه رسول ملك الروم يلاطف عضد الدولة فى أمره [١] فقوي في نفسه ترجيح جانب ملك الروم على ورد وبدا له رأى فى تدبير القبض عليه فكاتب أبا على التميمي بالتوصل الى تحصيله . فخرج أبو على اليه بعد مراسلة ترددت بينهما في الاجتماع وقبض عليه وعلى ولده وأخيه وجماعة من أصحابه وحملهم الى ميافارقين ثم أنفذهم الى مدينة السلام .

﴿ رأى صواب رآه أصحاب ورد وأشاروا عليه فأهمله واستبد برأيه ﴾

كان وجوه أصحاب ورد اجتمعوا اليه قبل القبض عليه وقالوا : لسنا نرى أمرنا مع عضد الدولة مستقراً عن نصرة ومعونة وقد تردد بينه وبين ملكى الروم في معنانا وانا لا نأمن أن يرغباه [٢٤] فينا فيسلمنا والوجه الاستظهار وترك الاغترار وان نفارق موضعنا عائدين الى بلاد الروم على صلح

---

(١) قد ذكر صاحب تجارب الامم هذه الرسالة فيما تقدم

ان أمكنتنا أو حرب نبذل فيه جهدنا فاما ظفرنا أو مضينا أعزاء كراما . فقال: ما هذا رأى ولا رأينا من عضد الدولة الا الجميل ولا يجور أن نقصده ثم نعرف عنه من قبل أن نبلو ما عنده . فلما خالفهم وتركهم تركه كثير منهم وفارقوه .

فاقام ورد وأخوه وولده وتحصلوا فى الاعتقال الى ان افرج عنهم صمصام الدولة في آخر أيامه على ما يأتى ذكره فيما بعد ان شاء الله .

﴿ ذكر ما جري عليه أمر فخر الدولة ﴾

لما صار الى قزوين بعد هزيمته من همذان تقل عنها الى بلاد الديلم وحصل بهوسم وأقام بها مدة . وترددت بينه وبين قابوس بن وشمكير [١] مراسلات وأيمان وعهود سببها الاجتماع على عداوة عضد الدولة ومؤيدها ثم سار الى خراسان لاستنجاد صاحبها .

﴿ ودخلت سنة احدي وسبعين وثلثمائه [٢٥] ﴾

كان عضد الدولة أنفذ أبا نصر خرشيد يزديار [٢] الى قابوس برسالة يستصلحه فيها فعاد بجواب ظاهره المغالطة وباطنه المباينة [٣] فسأل عضد الدولة الطائع لله أن يعقد لمؤيد الدولة أبي منصور على أعمال جرجان وطبرستان وينفذ اليه العهد واللواء والخلع السلطانية فاجابه الى ذلك . وجلس فى محرم هذه السنة وجرّد أباحرب زيار بن شهراكويه الي مؤيدالدولة مع عدد كثير وضُم اليه أبو نصر خواشاذه وأصحاب خزائن المال والثياب والسلاح فوصلا الي مؤيد الدولة وهو معسكر بظاهر الرى وأوصلا اليه الخلع السلطانية

(١) وردت ترجمته في ارشاد الاريب ٦ : ١٤٣ (٢) وفى الاصل « بن زياد » والصواب فيما تقدم (٣) لعله الملاينة وليراجع التاريخ اليمينى ٦٠١ : ١ ص ١٢٨٩

فلبسها وركب في العسكر وسار . فلما انتهوا الى استراباذ وبينها وبين طبرستان عشرة فراسخ وقابوس مقيم بها حفر بظاهرها خندقاً أجري فيه المياه وبنى عليه أبراجا رتب فيه الرماة وعمل على المطاولة ولم يهمل مع ذلك الاستعداد للمواقعة ان دعته ضرورة اليها ونزل مؤيد الدولة على فراسخ من البلد في موضع ماء وجده وأنفذ الى طبرستان من دخلها وملكها لان قابوس اخلاها وجمع العساكر عنده واحتشد بغاية جهده .

وطلعت طلائع العسكرين وتعلق قابوس بموضعه وتوقف [٢٦] مؤيد الدولة عن مقاربته اشفاقا من تعذر الماء واقام الفريقان على هذه الحال اياما

﴿ ذكر حرب جرت على غير ترتيب آل عقباها الى الخير والاتفاق ﴾

لم يزل مؤيد الدولة يجيل الرأي ويعمل التدبير الى ان عرف خبر واد بظاهر البلد يجتمع اليه مياه الامطار في ايام الشتاء وانه متى سدت أرجاء تقاربه وأسيح ماؤها اليه أمكن النزول عليه فركب هو وجماعة من خواصه في عدد قليل من الغلمان لمشاهدة الموضع وتقدم الى من كان خارج المناوشة بالتوقف في ذلك اليوم وأقام على الجبل من يمنع ويرد . فما هو ان بعد عن العسكر حتى زحف الديلم منازعين الى لقاء القوم وقابلهم عسكر قابوس بمثل حالهم واشتد القتال وبلغ مؤيد الدولة ذلك فقامت عليه القيامة وأنفذ جماعة من الحجاب والنقباء فوجدوا الامر قد فات عن حد التلافي فامسكوا حينئذ الى موضع المعسكر . ولم تزل [٢٧] الحرب قائمة على ساق الى أن صوبت الشمس للغروب .

﴿ ذكر غلط جرى من قابوس في رد أصحابه بعد ان لاح له الضعف من مؤيد الدولة ﴾

ورد قابوس أصحابه وعاد مؤيد الدولة الى معسكره وقد تسلل من

أصحابه خلق وجرح أكثر ممن قتـل من أصحاب قابوس وخرج فانفذ مؤيد الدولة بدر بن حسنويه في عـدد كثير من الاتراك والاكراد الي الجبل الحاجز بين الفريقين ابضبطه اشفاقاً من أن يسير قابوس على أثرهم فانه لو تبعهم لنكا فيهم وبلغ مراده منهم .واحتاج مؤيد الدولة الى المقام اسبوعا حتى ثاب أصحابه واستراحوا وأجري الماء الي الوادى ثم سار ونزل عليـه ثم استعد أربعة أيام وزحف بعـدها في جميع العسكر . واشتبكت الحرب وحملت ميمنة مؤيد الدولة على ميسرة قابوس فـكسرتها وفيها جمرة عسكره فانهزم ودخل البلد مخترقا الى جانبه الآخر وثبت القتال من ميمنة قابوس وفيها أخوه [٢٨] جركاس ساعتين بعد الهزيمة لانهم كانوا من وراء غيضة ولم يعلموا الصورة فلما عرف جركاس هزيمة قابوس انهزم لاحقا به . وأنفذ مؤيد الدولة جماعة فرسان من عسكره لاقتصاص أثره فنكب قابوس عن الطريق وسار ماراً علي القلاع معتقداً لصعود أحدها متي أرهقه طلب الى أن حصل بنيسابور واجتمع مع فخر الدولة هناك .

ولما ملك فخر [١] الدولة استراباذ رتب أمورها واستخلف أحد أصحابه فيها وسار الى جرجان فنزلها وأقام بها وأنفذ أبا نصر خواشاذه الى الحضرة ببغداد في رسائل وورد ها فى شهر رمضان مع الاسارى من أقارب قابوس ووجوه أصحابه فاعرض عضد الدولة عنه وأظهر الشكر [٢] له وأخرج أبا على الحسن بن محمد الي جرجان .

﴿ ذكر خيانة في مشورة جرّت نكبة ﴾

كان عادة أبي نصر اذا أنفذ الى الرى وقرب منها ان يتلقاه الصاحب

---

(١) يظهر انه المراد مؤيد الدولة وليراجع التاريخ اليمني ١٠٨ ـ ١١٠ : ١

(٢) كذا بالاصل

أبو القاسم ابن عباد واذا رآه أبو نصر أن يترجل له فلما [٢٩] خرج في هذا الوقت مع زيار أحب أن يفعل زيار مثل فعله لئلا يكون له في الامتناع منه زيادة رتبة عليه فقال له زيار قول المستشير : ما الذي ترى أن تفعل في خدمة الصاحب اذا لقيته ؟ فقال : أنت أعلم الا أن عضد الدولة ينزله المنزلة الكبيرة ويؤثر أن يقضى حقه والذي أفعله أنا الترجل له ومتى فعلت ذلك لم تأمن أن يفعل مثل ذلك . فحمل زيارا على أن يترجل له عند خروجه لتلقيه ولم يترجل الصاحب ولا كان ممن ينقاد لهذا أو يسمح به وانما خدعه أبو نصر حتى تم غرضه . وبلغ عضد الدولة ذلك فغاظه غيظا عظيما أسره اشفاقا من أن يتأدى الى الصاحب أبي القاسم فيه ما يوحشه فلما ورد أبو نصر وفي قلب عضد الدولة من [١] هذا الامر ما فيه اطرحه وأعرض عنه ثم قبض عليه بعد مدة وحمله الى بعض القلاع بفارس .

ولقابوس أبيات قالها بعد الهزيمة مستحسنة

قل للذي بصروف الدهر عيرنا　　هل عاند الدهر الا من له خطر

أما ترى البحر تطفو فوقه جيف　　ويستقر بأقصى قعره الدرر

فان تكن نشبت أيدي الخطوب بنا　　ومسنا من توالى صرفها ضرر [٣٠]

ففي السماء نجوم لا عداد لها　　وليس يكسف الا الشمس والقمر [٢]

وفيها سخط على القاضي أبي على المحسن بن على التنوخي [٣] وألزم منزله وصرف عما كان يتقلده .

---

(١) في الاصل ما (٢) وردت الابيات في ارشاد الاريب ٦ : ١٤٦ (٣) وفيه ترجمته أيضا ٦ : ٢٥١ وهذه الحكاية موجودة فيه ص ٢٦١ رواية عن أبي الحسن هلال الصابي وفيه أيضا ص ٢٥٥ ان الهاشم أبو على هو أحمد بن على المدائني

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان التنوخي مع عضد الدولة بهمذان فاتفق يوما انه مضي الى أبي بكر بن شاهويه وكان صديقه ومعه أبو علي الهائم فجلسا يتحدثان في خركاه وأبو علي على بابها وقال ابن شاهويه للتنوخي : أيها القاضي اجعل في نفسك المقام في هذا البلد مدة هذه الشتوة . فقال : لم ؟ قال : لان عضد الدولة يدبر في القبض على ابن عباد (وكان قد ورد الي حضرته) فانصرف التنوخي من عنده فقال له أبو علي الهائم : قد سمعت ما كنتما فيه وهذا أمر ينبغي أن تطويه ولا تخرج الى أحد به ولا سيما الى أبي الفضل ابن أبي أحمد الشيرازي . فقال التنوخي: أفعل . ونزل الي خيمته وجاءه من كانت عادته جارية بملازمته ومؤاكلته ومشاربته وفيهم أبو الفضل ابن أبي أحمد الشيرازي فقال له : مالي [٣١] أراك أيها القاضي مشغول القلب ؟

﴿ تفريط في اذاعة سر عاد بوبال ﴾

فاسترسل اليه وقال له : أما علمت أن الملك مقيم وقد عمل [١] على كذا في أمر الصاحب وهذا دليل على تطاول السفر . ولم يتمالك ان انصرف واستدعى ركابيا من ركابية القاضي التنوخي وقال له : أين كنتم اليوم ؟ فقال: عند أبي بكر ابن شاهويه . فكتب الي عضد الدولة رقعة يقول فيها : كنت عند التنوخي فقال لي كذا وكذا (وذكر انه عرفه من حيث لا يشك فيه) وعرفت انه كان عند أبي بكر ابن شاهويه وربما كان لهذا الحديث أصل فاذا ذاع السر فيه فسد ما دبرته في معناه . فلما وقف عضد الدولة على الرقعة وجم وجماً شديداً وقام من سماط كان عمله للديلم على منابت الزعفران مغيظا

(١) وفي الاصل : عولت . والصواب في الارشاد

واستدعى التنوخي وقال له : بلغني عنك كذا وكذا . فخجل التنوخي ثم جمع بينه وبين أبي الفضل الساعي به فواقفه فأنكره وأحضر ابن شاهويه وسئل عن الحكاية فأنكرها وسئل أبو علي الهائم [٣٢] عما سمعه فقال : كنت خارج الخركاه وما وقفت على شيء . فمدّ وضُرب مائتي مقرعة وأقيم فنفض ثيابه وقال : أكثر الله خيركم . واتصل ذلك بعضد الدولة فأمر بضربه مائة مقرعة أخرى واندفعت القصة فرجع التنوخي الى خيمته بعد ان ظن أنه مقبوض عليه وبقي يتردد الى خدمة عضد الدولة مدة وهو معرض عنه حتى عاد له الى بعض الاقبال عليه .

ثم رحلوا الى بغداد فرآه عضد الدولة وعليه ثياب جميلة [١] وتحته بغلة بمركب ثقيل فقال له : من أين هذه البغلة ؟ . فقال : حملني عليها الصاحب بمركبها وأعطاني عشرين قطعة ثيابا وسبعة آلاف درهم . فقال : هذا قليل لك مع ما تستحقه عليه . فعلم التنوخي انه اتهمه بذلك الحديث .

وورد عضد الدولة الى بغداد [٢] فحكي له ان الطائع لله متجاف عن ابنته وانه لم يقربها فثقل ذلك عليه فقال للتنوخي : تمضي الى الخليفة وتقول له عن والدة الصبية انها مستزيدة لاقبال مولانا عليها . فعاد التنوخي الى داره ليلبس أهبة دار الخلافة

﴿ ذكر اتفاق رديء جاء بالمرض [٣٣] ﴾

فاتفق أن التنوخي زلق عند عوده الى داره ووثئت رجله فانفذ الى عضد الدولة فعرّفه عذره ثم يقبله وأنفذ اليه من يستعلم ما جرى فرأى غلمانه روقة وفرسا جميلة وعاد اليه فقال : انه يتعلل وليس بعليل وشاهدته على صورة كذا

(١) ليراجع ارشاد الاريب ٦ : ٢٦٥ (٢) وفيه أيضاً ص ٢٦٦

والناس يغشونه ويعودونه . فاغتاظ غيظاً مجدداً حرّك ما في نفسه أولاً فراسله بان : الزم منزلك ولا تخرج عنه ولا تأذن لاحد في الدخول اليك[1]، الا نفر من أصدقائه استأذنه فيهم واستمر السخط عليه الى حين وفاة عضد الدولة

وفي هـذه السنة أطلق أبو اسحاق ابراهيم بن هلال الكاتب[2] من الاعتقال وكان القبض عليه في سنة ٣٦٧ .

﴿ ذكر السبب في القبض عليه والافراج عنه ﴾

كان قد خدم عضد الدولة عند كونه بفارس بالمكاتبة والشعر والقيام بما يعرض من أموره بالحضرة فقبله وأرفده في أكثر نكباته بمال حمله اليه ولما ورد بغداد في سنة أربع[٣٤] وستين ازداد اختصاصه به حتى أشفق من المقام بها بعد عوده . فاستظهر له عضد الدولة بذكره في الاتفاق الذي كتب بينه وبين عز الدولة وعمدتها أخيه واليمين التى حلفاها وشرطا عليهما حراسته في نفسه وماله . فلما انحدر عضد الدولة لم يأمن على نفسه فاستتر حتى توسط أبو محمد ابن معروف أمره وأخذ له الامان من عز الدولة وابن بقية وظهر فتركه مديدة ثم قبض عليه باغراء من ابن السراج لما به وما زال مقبوضا عليه حتى فسد أمر ابن السراج .

﴿ ذكر اتفاق عجيب في خلاص أبي اسحاق ﴾
﴿ وهلاك ابن السراج ﴾

قد تقدم في كتاب تجارب الامم ذكر السبب في القبض عليه عند افاقة

---

(١) كانه سقط : فلزم منزله ولم يأذن لاحد (٢) وفي الاصل (هليل كاتب) وترجمة ابراهيم بن هلال الصابي موجودة في ارشاد الاريب ١ : ٣٢٤ ووردت هذه الحكاية ص ٣٣٠ رواية عن حفيده هلال بن المحسن الصابي

ابن بقية من علته التي أشفى فيها [١] فلما قبض عليه نقل القيد من رجل أبي اسحاق الى رجله وعاد أبو اسحاق الى خدمة عز الدولة وكتب عنه في أيام المباينة بينه وبين عضد الدولة الكتب [٣٥] التي تضمنت الوقيعة فيه [٢] فنقم عليه ذلك . فلما ورد عضد الدولة في الدفعة الاخيرة وحصل بواسط خرج أبو اسحاق بما في نفسه من الحذر الى أبي سعد بهرام بن أردشير وهو يتردد في الرسائل والوساطة وسأله اجراء ذكره واقامة عذره والاحتياط له بأمان يسكن اليه نفسه وكتب على يده كتابا . ففعل أبو سعد ذلك وتنجز له جواب كتابه وفيه توقيع عضد الدولة بالوثيقة والامان ودخل عضد الدولة بغداد فاجراه على رسمه . فلما حصل بالموصل كتب الى أبي القاسم المطهر بن عبد الله فقبض عليه على مضض منه وكراهية .

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

لما أخرج الى الديوان ما وجد في قلاع أبي تغلب من الحسبانات والكتب لتتأمل كان فيها الشيء الكثير من كتب عز الدولة الى أبي تغلب بخط أبي اسحاق الصابي فحملت الى عضد الدولة فلما وقف عليها حرّكت ما في نفسه فكتب من هناك بالقبض عليه . فبقي في الاعتقال يكتب الى عضد الدولة ويستعطفه باشعاره الى أن [٣٦] تقدم عضد الدولة الى أبي القاسم المطهر بالانحدار الى البطيحة فسأل حينئذ في اطلاقه والاذن له في استخلافه بحضرته لنيابة أبي القاسم به فقال : اما العفو عنه فقد شفّعناك فيه وعفونا له عن ذنب لم نعفُ عما دونه لاهلنا (يعني الديلم)

(١) قد ذكر ٢ : ٣٥٨ (٢) وفي الارشاد : ومنها الكتاب عن الطائع لله بتقديم عز الدولة وانزاله منزلة ركن الدولة وهو أعظم ما نقمه عليه

ولا لاولاد نبينا صلى الله عليه (يعني أبا الحسن محمد بن عمر وأبا أحمد الموسوي) ولكنا وهبنا اساءته لخدمته وعلينا المحافظة فيه على الحفيظة منه وأما استخلافك له بحضرتنا فكيف يجوز أن نقله من السخط عليه والنكبة له الي النظر في الوزارة ؟ ولنا في أمره تدبير وبالعاجل فاحمل اليه من عندك ثيابا ونفقة وأطلق ولديه [١] ونقدم اليه بعمل كتاب في مفاخرنا . ففعل المطهر ذلك وعمل أبو اسحاق الكتاب الذي سماه التاجي في الدولة الديلمية فكان اذا عمل منه جزءا حمله الى عضد الدولة حتى يقرأه ويصلحه ويزيد فيه وينقص منه فلما كان تكامل ما أراده حرّر وحمل كاملا الي خزانته .

وهو كتاب بديع الترصيف حسن التصنيف فان أبا اسحق كان من فرسان البلاغة الذين لا تكبو مراكبهم [٣٧] ولاتنبو مضاربهم . ووجدنا آخره موافقا لآخر كتاب تجارب الامم حتى ان بعض الالفاظ تتشابه في خاتمتها وانتهى القولان في التاريخ بهما الي أمد واحد والكتاب موجود يغني تأمله عن الاخبار عنه . ﴿ان الجواد عينهُ [٢] فرارُهُ﴾

ومن العجب كيف نكبه عضد الدولة وهو الموصوف بحسن السيرة والانصاف في السياسة مع ما سبق اليه من خدمته وعرفه أولا من خلوص نيته وأعطاه أخيرا من أماناته وموثقته . ان كان الذي نقم عليه منه هو ما ذكر في تاريخ من حال الكتب التي كتبها عن عز الدولة فغير مستحسن من الملوك ان ينقموا بغير حق وان ينقضوا الامان من غير موجب . فلو ان عضد الدولة أمره بمثل ما كان عز الدولة أمرهُ به هل كان يقدر على خلافه مع كونه في قبضة سلطانه ؟ والله تعالى يقول : الا من أكره وقلبهُ مطمئن

(١) وهما الحسن وعمر كذا في الارشاد «٢» وفي الاصل «عيه»

بالايمان . وربما خفي السبب أو أخطأ القياس والاشخاص تفنى والذكر يبقى والشاعر يقول :

وكذاك الزمان يذهب بالنا ... س وتبقى الديار والآثار (٣٨)[1]

ولو قال « ويبقى الحديث والاخبار » فكان أقرب الى الصواب فان الديار تدرس والآثار تذهب والحديث يبقى والاخبار تروى على ان عضد الدولة أبقى عليه في اعتقاله وعاود الحسنى في اطلاقه وبدأ باستئناف الجميل معه

لو ان المنايا أنسأته لياليا .

ووجدت رواية أخرى[2] في سبب اطلاقه وهو ان عضد الدولة رق له لما طال حبسه وان أبا الريان وأبا عبد الله ابن سعدان توليا الافراج عنه ثم شغلت عضد الدولة علته عن النظر في أمره واظهار آثار الرضاء عليه بالاحسان اليه وقد حكينا ما رأينا .

وفي هذه السنة ورد من أبي القاسم نوح[3] بن منصور صاحب خراسان رسول يكنى بابى الغنائم فخرج أولاد عضد الدولة مع سائر الجيش لتلقيه وأكرم غاية الاكرام

وفيما أخرج معه أبو الغنائم نصر بن الحسين والقضاة وأبو محمد الجهري وأبو عقبة وأبو محمد ابن عقبة وسالم الى أبي الغنائم[4] يذكره بما يعتمده ويورده من جملتها العتاب على فخر الدولة وقابوس وايوائهما وانه : ان كان الوفاء بالمعاهدة التي جرت مع السلف وانما فيجب ان يسلموها[5] يدا بيد الى مؤيد

(١) يشبه بيت أبي العتاهية وكذا الدنيا على ما رأينا ... يذهب الناس وتخلو الديار
(٢) وهي رواية عن أبي ريان أحمد بن محمد الوزير : ارشاد ص ٣٣٦ (٣) وفي الاصل : بوح . (٤) في هذه الجملة اضطراب كثير (٥) لعله تسلموهما

(٣٩) الدولة ليحمل اليكم مال الموافقـة سالفا وآنفا على العادة فإن أردتم استئناف الصلح بيننا وهدر ما تقدم وان تجعلوا ايواء العاق وقابوس (يعني بالعاق فخر الدولة) عوضا عن المال بمنا كم اياهما بالثمن الذي استرخصتموهما به فبيين على ممر الايام الرابح منا ومنكم . وان قال أبو العباس[1] انه يكلمنا في أمر قابوس وما كان يجب في جواب شفاعتنا التسرع اليه قيل له : قد اعترفت وقلت أنت وأبو الحسين العتبي[2] بان الرجل أحد أصحابنا وانه جان علينا مستحق للعقوبة وانكم شافعون في بابه ومعلوم ان الصلح معقود عن جرجان وطبرستان وعن غيرهما من قومس[3] بدامغان وكرمان وما يلزم واحدا منا ولا من صاحبك ان شفاعتهما . . . ثم انا نقول في الجواب : انه ما كان يجب التسرع في باب أبي الحسن ابن سمجور وقد شفعنا فيه فان كان ذلك واجبا علينا فهذا واجب عليكم وان كان بكم التجني فهو ما لا يستعمله أصحاب التحصيل ولسنا ممن يتجنى عليه . وان اخترتم استئناف الصلح على ان تطردوا العاق وقابوس طردا على ان لا يكونا في بلادكم ويذهبا حيث شاءا

(٤٠) من أرض الله قبلنا وان سألتم ان نرضى بمقامهما عندكم رضينا على ان ينفذا الى بخارا وينفض عنهما أصحابهما وان لم ينفضوا عنهم فانهم سينفضون من ذات أنفسهم . وان سألتم ان نؤمنهما ليعودا الى جملتنا هدرنا ما تقدم من الموافقة واستقبال الوقت الذي يقع فيه الصلح فنحن نفعل ذلك كرامة لذلك الكبير ولكن على ان يردوا حضرتنا ويكون ما نفعله معهم تبرعا منا وموكلا الى رأينا من غير اشتراط فذلك خير لهما . وان اخترتم بيعنا بمقامهما

---

(١) هو حسام الدولة تاش حاجب نوح بن منصور (٢) هو وزير نوح بن منصور وليراجع التاريخ اليميني (٣) في الاصل : قوس

عندكم فاننا نسمح لكم بهذين المقبلين المباركين ومال الصلح الذي تأخذونه منا مستأنفا فانه سيذهب لكم عليهما وأكثر فليس يحسن بكم ان تعطوهما أكثر من ذلك فان أحسنتم اليهما خسرتموهما والمال جميعا ولم تحصلوا منهما على طائل وان لم تحسنوا اليهما فارقاكم عن قلى وعادا الينا بلا منة لكم علينا في بابهما وتكون مفارقتهما لكم على ما يليق بهما الى حيث يرمى بهما جدّهما العاثر اليه

وقد كنا نقول لقابوس « لا تقبل العاق ولا تؤوه فقد سمعت ما كان من أبي تغلب ابن حمدان حين قبل [41] بختيار الشقي ورأيت عاقبتهما فان كان محمودا فسترى مغبة فعالك وسيرى العاق مغبة فعاله » ورأيتم فيهما ما يليق بهما ولله الحمد وقد اجتمعا عندكم وأنتم على بصيرة من أمرهما . فان استقر الصلح بنيسابور فليخرج الى بخارا لعقد الوثيقة واحكام الامر على حسب ما رسمناه ويحضر من القضاة والشهود ووجوه الحاشية والقواد والغزاة وأماثل البلدان وان أحب ان يتم ما خرج له القضاة الثلاثة من حضرتنا استخار الله فيه وتممه واذا عاد الى نيسابور أحكم عقد الصلح فيها بشهادات الاماثل وان رأى الصواب في أن يشهد على أبي العباس في نسخة العهد الذي يتولى تجديده ببخارا أو يأخذ خطه فيها فعل .

وقد كان عضد الدولة متوقفا عن انفاذ أبي غنائم [1] وقال له : ان القوم قد غدروا ونكثوا العهد ورفضوا الودّ ولم يبق بعد ايواء فخر الدولة وقابوس هوادة وقد سبق منهم في قصة ابن سمجور ما قد سبق مما يدل على فساد الدخائل . فما زال أبو غنائم يراجعه ويعرض عليه ما يصله من كتبهم الدالة

---

(١) وفي الاصل : أبي غانم

على بذل الموافقة حتى أذن له فى الخروج على ما تقدم [٤٢] ذكره ابلاء للعذر

﴿ فاما قصة ابن سمجور وتنكر آل سامان عليه فالسبب فى ذلك ﴾

انه كان رجلا قد حنكته التجارب وهذبته الايام ورأى الدولة الديلمية وهي في ابتدائها تسري في البلاد سرى النار في الهشيم فكان يرقع الخرق ويعتمد الرفق [١] ويسلك طريق المفارقة فعرف عند آل سامان بالمداهنة والصغو الى غيرهم وسعى بفساد ذات البين واغمار حتى آل الامر الى ازالة قدمه عن مستقرها . وأخبرنا من نثق به عن صدر عظيم فى زماننا هذا انه قال وضربه مثلا في غرض له : ان ابن سمجور كان كالسد لبلاد سامان يواري عوراتهم ويغطي هناتهم وكان يصرف ما يحصل من مال البلاد التي في يديه في مصالحها ومحارسها وأنفذوا يلتمسون منه مالا ويتجنون عليه أقوالا وأفعالا فقال في الجواب : اعلموا ان مثلي معكم مثل ستر من خرق على باب دار خراب فدعوه بحاله مسبلا على الباب [٤٣] فانكم ان رفعتموه بانت آثار الخراب . فلم يقبلوا منه وكان الامر كما زعم ونعود الى سياقة التاريخ [٢]

---

(١) لعله الرتق (٢) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وفي سنة ٣٧١ سرق السبع الفضة الذى على زبزب عضد الدولة وعجب الناس كيف كان هذا مع هيبة عضد الدولة المفرطة وكونه شديد المعاقبة على أقل جناية تكون وقلبت الارض على سارقه فلم يوقف له على خبر ويقال ان صاحب مصر دس من فعل هذا . وكان العزيز العبيدى من قبل هذا قد بعث رسولا الى عضد الدولة وكتابا أوله : من عبد الله نزار العزيز بالله أمير المؤمنين الى عضد الدولة أبي شجاع مولى أمير المؤمنين سلام عليك فان أمير المومنين يحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ويسأله ان يصلى على جده محمد صلى الله عليه . والكتاب مبنى على الاستمالة مع ما يسر اليه الرسول عتبة بن الوليد فبعث مع الرسول رسولا له وكتابا فيه مودة وتعللات مجملة .

وفى ربيع الاول وقع حريق بالكرخ من حد درب القراطيس الى بعض البزازين

﴿ ودخلت سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة ﴾

وفيها أخرج أبو القاسم [1] سعد الحاجب وقراتكين مدداً لمؤيد الدولة عند ورود فخر الدولة وقابوس وعساكر خراسان .

﴿ شرح الحال في ذلك ﴾

قد تقدم ذكر اجتماع فخر الدولة وقابوس بنيسابور ولما حصلا بها أقام قابوس ومضى فخر الدولة الى صاحب خراسان فاستجار به وسأله المعونة وأقام عنده الي ان جرد معه ناس وجماعة من أكابر القواد وسارت الجماعة حتى نزلت على باب جرجان ومؤيد الدولة بها . ووقعت الحرب بين الفريقين أياما كانت بينهم سجالا ثم وقع الخلف بين عساكر خراسان وانصرفوا ورجع فخر الدولة وقابوس الى نيسابور مفلولين .

وفيها خرج أبو الفوارس (٤٤) ابن عضد الدولة من بغداد الى كرمان للمقام بها والولاية عليها والابعاد عن الحضرة وقد كانت علة عضد الدولة قويت واستحكمت

وفيها ورد أبو اسحق محمد بن عبد الله بن محمد بن شهرام ومعه رسول ملك الروم

﴿ ذكر ما جرى بين عضد الدولة وملك الروم ﴾

﴿ فيما ترددت به الرسالة ﴾

كان سبب هذه الرسالة ماتقدم ذكره من دخول ورد الى بلد الاسلام مخالف

من الجانبين وأتى علي الاساكفة والحدادين واحترق فيه جماعة وبقي طفيه أسبوعا .
وفيها قلد أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى كتابة الطائع لله وخلع عليه .

(١) وفي الاصل « أبو الحسن » وهو غلط

ملك الروم وأنفذ رسولا الى عضد الدولة فى أمره . فاخرج أبو بكر محمد ابن الطيب الاشعري المعروف بابن الباقلانى بجواب الرسالة فعاد ومعه رسول يعرف بابن قونس فاعيد وأنفذ معه أبو اسحق بن شهرام فاستثنى على ملك الروم بمدّة حصون ووصل معه رسول يعرف بنقفور الكانكلى بهدية جميلة .

﴿ نكت من جملة مشروح وجد بخط [٤٥] ابن شهرام ﴾
﴿ دات منه على دهاء وحزم وقوّة رأى ﴾

قال : لما حصلت بخرشنة عرفت ان الدمستق خرج من القسطنطينية آخذا في الاحتشاد والاستعداد ومعه رسول حلب المعروف بابن ماملك وكُلَيب حَمُو أبي صالح السديد فاما كليب فانه كان مع ورد وحصل في جملة العصاة الذين أومنوا وأقروا في بلد الروم بعد ان صودروا وهم الروم بمصادرته أسوة بغيره وارتجاع الضياع التى سلمت اليه حين سعى فى تسليم قلعة برزوية اليهم فتوصل كليب الى البركوس والدمستق بما أرضاهما به وضمن لملك الروم فى أمر حلب وغيرها ضمانات دفع بها الشر العاجل وبذل تعجيل ما يتعلق بخراج حلب وحمص لما كان صهره وانه لا يخالفه فتخلص بهذه الحجة وأما رسول حلب فانه لم يفعل معه أمر الا انه طولب بخراج مامضى من السنين

وحصل الدمستق بموضع عادل عن جادّة البريد فعدل ابن قونس بى اليه ووجدته حدث السن معجبا بنفسه لا يؤثر تمام الهدنة لاحوال منها انه يستغني عنه فى العاجل فتبطل سوقه [٤٦] ومنها ان يقع الطمع فيه من ملك الروم « ولا نأمن بوائقه » والثالثة ما يرجوه ويشتهيه لنفسه الا انه أظهر

جميلا وقبل الهدنة وشكر عليها .

ثم سألني عما وردتُ فيه فذكرت جملته ووافقه ابن قونس على نسخة الشرط فلما وقف عليه قال : لو تمّ للرؤساء ان تخلّي لهم عما يريدونه من البلدان والحصون باللطف والرفق لكان كل رئيس يتلطف ويستغني بذلك عن جميع الرجال وبذل الاموال . قلت : اذا كان اللطف والرفق من وراء قوّة وقدرة فهو دليل الفضل ويجب تلقيه بالقبول . قال : أما حلب فليست ببلدكم ولا يريدكم صاحبها وهذا رسوله وكاتب يبذلان لنا خراجها ويسألان الذب عنها وأما الحصون فانها أخذت في زمان عمّي نقفور وغيره من الملوك ولا فسحة في النزول عنها فان كان معك غير هذا والا فلا تتعب نفسك بطول الطريق. فقلت : ان كان أمرك ملك الروم بانصرافي فعلت وان كنت قلته من تلقاء نفسك فيجوزان يسمع الملك كلامي وأسمع جوابه وأعود بحجة. فأذن لي في السير .

فسرت الى القسطنطينية ودخلتها بعد ان تلقّاني من أصحاب (٤٧) ملكها من أحسن صحبتي اليها فأكرمت وأنزلت في دار نقفور الكانكلي الذي وصل الآن معي رسولا وهو خصيص بملك الروم ثم استدعيت فدخلت الي البركموس فقال : قد وقفنا على الكتب وقد أحيل فيها على ماتقوله فاذكر ما عندك . فاخرجت الشرط الظاهر فلما وقف عليه قال : أليس قد تقرر الامر مع محمد بن الطيب (يعني أبا بكر الباقلاني) على ما طلبتموه من ترك خراج بلد أبي تغلب الماضي والمستأنف ورضي بما شرطناه عليه من رد الحصون التي أخذت منا والقبض على ورد وقد رضي مولاك بما شرطنا وفصل ما أردنا وطلبنا ان نخطه معك بتمام الهدنة . فقلت : ما عقد محمد بن

الطيب معكم شيأ . فقال : ما خرج من عندنا الا على تقرير ما شرطناه عليه وان ينفذ خطّ مولاكم باتمامه فقد كان أحضر كتابه بالرضا بجميع ما يمضيه هو . فاحتجت الى أن أنطلب مجالا أقاوم به مجالهم .

﴿ ذكر بديهة جيدة انقدحت لابن شهرام في دفع حجة الخصم ﴾

فقلت : ما عقد محمد بن الطيب معكم شيأ ولكن ابن قونس قرر هذا الشرط [48] وأخذ نسخته بالرومية . فاشتطّ البركموس وقال لابن قونس : من أمرك بهذا ؟ فقال : ما قررت شيأ ولا محمد بن الطيب قرر شيأ . وانصرفت .

فاستعادني بعد أيام وعاود قراءة الشرط ووقف عند فصل كان قيل فيه « ما تقرر مع شهرام على ما في النسخ الثلاث » فقال : هذه واحدة وأين الاخريان ؟ فرجعت الى الموضع فوجدت السهو قد وقع في ترك ذلك فقلت : معنى هذا اللفظ أن يكون الشرط على ثلاث نسخ احداها تكون عند ملك وأخرى بحلب والثالثة تكون بالحضرة . قال ابن قونس : ليس كذا قيل لي « أملِ عليّ تفسير الشرط » قال البركموس . لا ولكن هذه النسخة هي الظاهرة والاخرى بترك الحصون والثالثة بترك ذكر حلب وامضاء الشرط على ما قرره محمد بن الطيب وانما أنفذ هذا ليأخذ خط الملك وخاتمه بذلك . فقلت : هذا محال وما عندي الا ما ذكرته من حال حلب والحصون على ما تضمنه الشرط الذي وقفت عليه . فقال : لو كان ورد في عسكره وقد [49] أخذتمونا كلنا أسرى مازاد على هذا فكيف ذلك أسير .

﴿ جواب سديد لابن شهرام ﴾

فقلت : أما قولك « لو كان ورد في عسكره » فهو غلط لانك تعلم ان

أبا تغلب (وأقل تابع لعضد الدولة أكبر منه) عاون ورداً فأهلك ممالك الروم سبع سنين فكيف لو أمدّه عضد الدولة بعساكره! وهو اليوم وان كان أسيرا في أيدينا فانا لم نفعل به ما تفعلون أنتم بأسراكم من المثلة وكونه بالحضرة أحوط لنا لانا لم نستأسره لربما كان يضيق صدره بمدافعتنا اياه أو بياس [1] منا فيستوحش ويمضي والآن فهو متصرف على أمرنا وساكن الى ما شاهده بالحضرة من العز والأمن والجبل في أيدينا باطرافه. فاشتد عليه خطابي ووجم منه وعرف صحته وقال: الذي تطلبه لا طريق اليه فان أردت امضاء ما تقرر مع محمد بن الطيب والا فانصرف. فقلت: ان أردت أن أنصرف من غير أن أسمع كلام ملك الروم فعلت. فقال: ما أقوله أنا عنه ولكن استاذنه في ذلك.

ثم استدعيت (٥١) بعد أيام فحضرت فاستعاد ملك الروم ما جرى فأعيد عليه بحضري فقال: يا هذا قد جئت بأمر منكر لانه جاءنا رسول لكم فشرط علينا ما أجبناه اليه وشرطنا عليه رد الحصون التى أخذت أيام العصيان وتريد حصوناً أخر وبلادا أخذها الملوك من قبلي فان رضيتم بما تقرر أولا والا فامض بسلام. فقلت: اما محمد بن الطيب فما قرر شيئا وأما الشرط الذي قد ورد معه فقد تطلتم فيه نصف بلدنا فكيف يجوز أن نقرر علينا امراً فان الحصون التي فى ديار بكر منها شيء في قبضك وانما هو في أيدينا وليس لك فيها غير المنازعة ولا تدرى ما يحصل منها. فقال البركوس: هذا رجل ذو جدل وتمويه للاقوال والموت خير من الدخول تحت هذا الحكم فدعه ينصرف الى صاحبه. وقام فانصرفت.

---

(١) وفي الاصل بأس

فاستدعاني البركوس بعد ان تكاملت مدة مقامي شهرين في القسطنطينية وأحضر القربلاط والد الدمستق وهو مكحول وعددا من البطارقة وناظرنا في أمر الحصون . وبذلوا خراج حصن كيفا الذي في يد والدة أبي تغلب وهو يؤدي الخراج اليها فقلت : أنا أدع لكم [٥١] خراج سمند [١] فقالوا : ما معنى هذا ؟ فقلت: انما نذكر الاطراف في الشرط لتعلموا ان ما وراءها داخل في الهدنة معها وحصن كيفا داخل من دون آمد بخمسة أيام فكيف تذكرونه؟ وجرى جدل في أمر حلب حتى قال القربلاط : ان حمل صاحب حلب الخراج الينا علمنا حينئذ انك مبطل في قولك وانه يريدنا دونكم . قلت : وما يؤمنني ان تحتالوا على كاتبه كايب حميه حتى يعطيكم شيئا تجعلونه حجة ؟ فاما بغير حيلة فانا أعلم انه لا يكون . وانصرفت

ثم أحضرني ملك الروم بعد ذلك وقد وصل خراج حلب فوجدت كلامهم غير الاول قوة وتحكما فقالوا : هذا خراج حلب قد حضر وصاحبها قد سألنا أن نشارطه على حران وسروج ومعاونه عليكم وعلى غيركم . فقلت: أما الخراج وأخذكم اياه فانا أعلم انه بحيلة لان عضد الدولة ظن انكم لا تستجيزون ما قد فعلتموه فلم ينفذ عسكرا يمنع عسكركم وأما ما تحكونه عن صاحب حلب فانا أعرف بما عنده وكل ما يقال لكم عنه غير صحيح والدعوة فيها فهي قائمة لعضد الدولة . قالوا : هل معك شيء غير هذا ؟ قلت : لا . قالوا : فيودّع ملك وتنصرف مصاحبا . [٥٢] قلت: الساعة. وأقبلت بوجهي نحوه لتوديعه. ﴿ رأي سديد رآه ابن شهرام في تلك الحال ﴾

قال : ثم تأملت الحال فوجدت البركوس والقربلاط وجماعة معهما

---

(١) يعني سمندو المذكورة في قصيدة المتنبي

ليس يؤثرون الهدنة وأصحاب السيوف يخافون لئلا تبطل سيوفهم وتنقص أرزاقهم على رسم الروم اذا هادنوا ولم يبق لي طريق سوى مداراة ملك الروم والرفق به فقلت: أيها الملك يجب أن تتأمل ما فعله عضد الدولة معك ولم يعاون عليك عدوك ولم يتعرض لبلادك أيام اشتغالك بمن عصى عليك وتعلم انك ان أرضيته وحده وهو ملك الاسلام والا احتجت أن ترضي ألوفاً من أصحابك ثم لاتدرى هل يرضون أم لا ثم ان لم يرضوا ربما احتجت الى رضائه من بعد . وتعلم أن كل من حول عضد الدولة لم يرغبوا في هدنتك وانما هو وحده أراد فقعل ما أراد ولم يقدم أحد على مراجعته وأراك تريد هدنته واهل من حولك لا يساعدونك على مرادك . فاهتز الخطابي وبان في[٥٣] وجهه الامتعاض من علمي بالاعتراض عليه من أصحابه وقام وانصرفت .

وكان المشرف على الخصيص بملك الروم (وهو الذى يوقع عنه بالحمرة ولا يمضي أمر دونه) نقفور الكانكلى الذى وصل معي رسولا فسألته أن ينصرف معي ففعل

﴿ ذكر ما رتبه ابن شهرام مع خصيص ملك الروم ﴾
﴿ حتى بلغ به غرضه ﴾

فلما خلوت به قلت : أريد أن تتحمل عني رسالة الى ملك الروم فقد طال مقامي وتعرفني آخر ما عنده فان فعل ما أريده والا فلا وجه لمقامي . ولاطفت هذا الكانكلى بشيء حملته اليه ووعدته عن عضد الدولة بجميل وكان مضمون رسالتي : انه يجب عليك أولا أن تحفظ أيها الملك نفسك ثم ملكك ثم أصحابك ولا تثق بمن صلاحه في فسادك فان بمعاونة أبي تغلب

عليك تمّ فى بلد الروم ما جرى وكيف تكون الحال مع عضد الدولة ان عاون عليك أيها الملك ، وانى (٥٥٤) أرى أصحابك لا يريدون تمام الهدنة بينك وبين أوحد الدنيا وملك الاسلام والانسان لا يخفى عليه الا ما لم يجربه وأنت فقد جربت سبع سنين عند عصيان من (١) عصى عليك لملكك وملكك لا يبقى نفسك (٢) الروم فما يبالون هذا ان لم يتحرك هو بنفسه . وقد نصحت لما رأيت من ميل صاحبي اليك وايثاره لك فتأمل خطابي واعمل بعد ذلك برأيك . فعاد نقفور وقال : يقول لك : الامر كما ذكرت ولكن ليس يمكن مخالفة الجماعة ويروني بصورة من قد خانهم وأهلكهم ولكن سأتمم الامر وافعل ما يمكن فعله .

ومن الاتفاق الجيد ان البركموس مرض مرضا شديداً فتأخر عن الركوب وترددت الرسالة بيني وبين ملك الروم . ثم استدعاني اياماً متوالية وتولى خطابي بنفسه وساعدني الكانكلي بغضا للبركموس ومنافسة له الى ان أجاب الى الهدنة على جميع ما تضمنه الشرط بعد مراجعات جرت لاخراج حلب فانه ما أجاب اليه . فلما ضايقته فيه وقلت : هذا كله بغير حلب لا يتم . فقال : دع هذا فلا نسلم غير ما سدنا ولا نخلي عن بلد نأخذ خراجه الا بالسيف ولكني أحملك رسالة الى صديقي (٥٥٥) ومولاك فاني أعلم انه فاضل واذا عرف الحق لم يعدل عنه . ثم قال لمن حوله : تباعدوا . وقال لي سراً من كل احد : قل له : والله اني اشتهي رضاك ولكني أريد حجة فيه فان أردتم أن نحمل اليكم الخراج عن حلب أو أتركه لكم تأخذونه على ان تصرفوا ابن حمدان عنها فافعلوا ما بذلتموه على لسان ابن قونس

---

(١) وفي الاصل : مع (٢) لعله : وملكك لا نفسك تبقى الروم

(اشارة الى تسليم ورد) . فقلت : ما سمعت هذا ولا حضرته وانى أستبعد فعله . فتنكر علىّ وقال : دع التطويل فما بقى شيء تراجعني فيه وأمر أن تكتب جوابات فكتبت وأحضرت لتوديعه

﴿ واقع جيد وقع لابن شهرام ﴾

وأشفقت ان يعرض من المقادير فى موت من قد طلبوا تسليمه ما يعرض مثله فخرج من الجميع بغير منية وتحصل الهدنة عن بلدنا الى دون الفرات وبلد باد بغير حلب فقلت : أنتم تطمعون انى عبد مملوك ولست مالكا وما أقدر أن أزيد على ما أمرت به وقد صدقتك عنه والذى شرطته الان فى أمر حلب فقد حلفت لك انني ما (٥٦) سمعته بالحضرة . فهل لك أيها الملك فى أمر قد وقع لى انه صواب ؟ قال : ما هو ؟ قلت : تكتب كتابا بالهدنة بيننا وبينك عن جميع ما [فى] أيدينا من حمص الى بلد باد ولا تذكر فيه حديث من قد التمست تسليمه ولا غيره وتحلف بدينك وتوقع فيه خطك وتختمه بخاتمك بحضرتى ويخرج به صاحبك معى الى الحضرة فان رضي به والا عاد صاحبك . قال : فاكتب أنت شرطا مثله . قلت : ان سلمت أنت شرطك بما طلبت . قال : ان ذكرت فى خطك تسليم الرجل . قلت : لا أقدم على ذكر ما لم يرسم لى . قال : فانى أكتب شرطين أحدهما عما قطع الفرات وبلد باد والاخر بذكر حمص وحلب على الشرط فان اختار مولاك ما قطع الفرات على ابعاد ورد كان اليه وان اختار الآخر فعل ما يختاره . قلت (١) . فكتب الشرط ولا يذكر فيه شيء من هذا . قال : فتكتب أنت أيضا ما أعطى خطا بغير خط آخذه . قلت :

(١) وفى الاصل : قال

ولكن يكتب ترجمانك نسخة ما أقوله فاذا رضي عضد الدولة بما تقوله كتبته بحضرته ووقع فيه بخطه . فرضى بهذا وكتبتُ الشروط والكتب عليه وتقررت الهدنة على عشر سنين . ولما فرغت من ذلك قلت له : (٥٧) لا تجعل رسولك مثل فيج ووافقه على ما تحب ان يفعله بعد ما تقرر معى بحسب ما يشاهده وامض كلما يمضيه . فقال : قد فعلت . وكتب ذكر ذلك فى الكتب .

وركب البركوس من داره لما برىء وقامت قيامته لاحوال منها انفراد الكانكلى بصاحبه ومنها اتمام الامر بغير حضوره ومنها أمر حلب وحمص وما ضمنه له كليب

﴿ كلام لملك الروم استمال به قلب البركوس ﴾

قال له على ما حدثني به بعض خواصهم : يابركوس ما معى أحد يشفق علىّ مثلك ولا من يحل منى محلك لا لك منى بأدنى نسب وسبب وهؤلاء فكما قال الرسول لا يبالون من كان ملكا كنت أنا أو غيرى ويجب ان تحفظ نفسى ونفسك ولا تسمع كلام القربلاط ولا تثق به ولا برأيه لنا فقد علمت ما حدثنا به ابراهيم عنه وعن ابنه (١) من اضمار الغش لملكنا وخبث نياتهما في أمرنا . قلت لمن حدثني : ومن ابراهيم ، قال : رسول كان للدمستق اليكم جاء الى الملك ناصحا وعرفه انه (٥٨) أنفذه اليكم يطلب منكم اعانته على العصيان . فقبل البركوس (٢) هذا القول من ملك الروم واستدعانى ورأيت من خطابه وانبساطه معي غير الاول الا انه لم تكن تخفى على وجهه كراهية لهذا الامر ورتّب معي هذا الكانكلى رسولا

(١) وفي الاصل : أبيه (٢) وفى الاصل : بركمونس

بعد امتناعه لكن ملك الروم لم يجد أحدا يجري مجراه فى ثقته فالزمه وساعده البركوس عليه فقال له : ليس بحضرة الملك أكبر منى ومنك فاما ان تسير أو أسير . وجدّ في الامر حتى ظننت انه فعل ذلك ايثاراً لابعاده وحسدا لما رأى من اختصاصه

فهذه نكت معان من ألفاظ ابن شهرام . وعضد الدولة عليل والناس عنه محجوبون فامر بشرح ماجرى عليه أمره ليعرض (فان علة عضدالدولة التي توفى فيها كانت في هذا الوقت) وحضر رسول ملك الروم المذكور مجلس صمصام الدولة بعد وفاة عضد الدولة وتسلمت الهدايا منه وتمم معه ماورد فيه وكتب شرطان أحدهما الهدنة التي قررها ابن شهرام على اتمام مبانيها والقاء مراسيها والشرط الآخر بما تقرر آنفا مع نقفور (٥٩)

﴿ذكر ما تقرر فى أمر ورد وأخيه وولده﴾

جرت مخاطبات تقرر آخرها على ان يقيم نقفور وينفذ صاحبا له مع رسول من الحضرة ليأخذ خط ملك الروم وخاتمه لاخي ورد وابنه والامان والتوثقة لهما بضمان الاحسان واعادتهما الى مراتبهما القديمة وأحوالهما المستقيمة فاذا وصل ذلك أقدما حينئذ على ملك الروم مع نقفور ويكون ورد مقيما في هذه البلاد ممنوعا من طروق بلد الروم بافساد فاذا عرف ما يعاملان به من الجميل فى الوفاء بالعهد المبذول لهما اتبعا حينئذ وردا في السنة الثالثة بعد أخذ التوثقة لهما بما يرضيهم حسب ما فعل مع ابنه وأخيه وان يكون ما يحمله الآن ابن حمدان من حمص وحلب الى ملك الروم من مال المفارقة عنهما محمولا على استقبال اطلاق ورد الى بلد الروم الى خزانة صمصام الدولة فان دافع ابن حمدان حينئذ عن حمل ألزمه ملك الروم ذلك لئلا

يتكاف صمصام الدولة [٦٠] تجهيز عسكر اليه وان يجرى أمر بلد باد على ما كان عليه من الملاطفة التي كان يحملها الى ملك الروم على ان لا يعاون باداً ولا يجيره ان التجأ الى الروم . وأنفذ الشرطان جميعا وعاد الجواب عنهما بامضاء ما تقرر ثم تجدد فى أمر ورد واطلاقه من الاعتقال ما سيأتي ذكره من بعده .

وفى الثامن من شوال من هذه السنة توفى عضد الدولة وأخفى خبره .

وفى التاسع منه قبض على أبي الريان فلما قبض عليه أخذت من كمه رقاع مشددة ومنها رقعة فيها

أيا واثقا بالدهر غرا بصرفه رويدك انى بالزمان أخو خبر

ويا شامتا مهلا فكم ذى شماتة تكون له العقبي بقاصمة الظهر

فلما وقف أبو عبد الله ابن سعدان عليها قال لحاجبه : امض وسله عنها . ففعل فقال : هذه رقعة أنفذها أبو الوفاء طاهر بن محمد الىّ عند القبض عليه ولست أحسن قول الشعر ولكن أقول انها كانت من أبي الوفاء من قبل .

ونختار الآن طرفا من سيرة عضد الدولة ونورده ههنا عن ذكر خاتمة أيامه فانه أحفظ لترتيب القول ونظامه [٦١]

﴿ أخبار من سيرة عضد الدولة ﴾

كان ملكا كامل العقل شامل الفضل حسن السياسة كثير الاصابة قليل السقطة شديد الهيبة بعيد الهمة ثاقب الرأي صائب التدبير محبا للفضائل مجتنبا للرذائل باذلا فى مواطن العطاء كأن لا سخاء بعده مانعا في أماكن الحزم حتى كأن لا جود عنده يستصغر الكبير من الامر ويستهون العظيم من الخطب . وكان يقول على ما يحدّث عنه : الارض أضيق عرصة من أن

تسع مالكين

﴿ فاما أفعاله فى تدبير نفسه وترتيبه فى قسمة زمانه ﴾

فانه كان يباكر دخول الحمام فاذا خرج منه ولبس ثيابه أدى فرض الصلاة ودخل اليه خواصه وحواشيه فجلس منهم أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف بحضرته ويضع دواته بين يديه ثم يؤذن لابي القاسم المطهر بن عبدالله وزيره ومن قام مقامه بعده [٦٢] فيسأله عما عمله فيما سبق التقدم به اليه فيخبره بذلك ثم يذكر له ماعرض من الامور ويستأذنه فى كل أمر فيوعز اليه بما يعتمده فيه ويفعل مثل ذلك مع أبي الحسن علي بن عمارة وأبي عبد الله ابن سعدان عارضي الجيش ذاك للديلم وهذا للاتراك والاعراب والاكراد. فاذا ترحّل النهار سأل عن ورود النوب المترددة بالكتب ولها وقت معلوم تصل فيه وتراعى من ساعات النهار فان اتفق ان تتأخر قامت القيامة ووقع البحث عن العارض العائق فان كان بعائق ظاهر فيه عذر قبل أو عن أمر يحتاج الي ازالته أزيل أو من تقصير النوبيين أنزل العذاب بهم . ولقد ذكر بعض الطراد ان أحد المرتبين قالت له امرأته : قد طبخنا أرزا فتوقف لتأكل منه وتمضي . فتوقف بقدر ما أكل وتأخرت النوبة ذلك المدى فضرب الطراد والمرتبون ما بين شيراز الى بغداد أكثر من ثلاثة آلاف عصا . لا جرم ان النوب كانت تصل من شيراز فى سبعة أيام وكان يحمل مع المرتبين بواكير الفواكه والمشموم من نواحي فارس وخوزستان فتصل طرية سليمة

وقيل ان بعض أصاغر الحواشي حمل فى النوبة [٦٣] من همذان فى كتانة دنانير يسيرة الى منزله وقد كان عادتهم جارية بذلك فقصرت عن أهلها وعرف عضد الدولة الخبر فلم يزل يكشف عن ذلك الى ان ظهر الخرائطي

آخذ الدنانير فامر بقطع يده .

فاذا وصلت النوبة كان فض ختومها وفتح خرائطها واخراج الكتب منها بحضرته ويأخذمنها ما كان الى مجلسه ويخرج الباقي الى ديوان البريد فيفرّق على أربابه . ثم يقرأ الكتب اليه كتابا كتابا ويطرحه الى أبي القاسم عبد العزيز فاذا تكامل وقوفه عليها جدّد أبو القاسم قراءتها عليه فيأمره فى جواب كل فصل بما يوقع به تحته وأخرج منها ما يأمر باخراجه ليواقف عليه المطهر بن عبد الله أو من يجرى مجراه فى تذكرة وهى أبدا بين يديه يعلق فيها ما يعرض له . ثم يسأل عن الطعام عند فراغه من ذلك فاذا حضر الوقت الذى رسمه بالاكل فيه استدعاه فاصاب منه وطبيب النوبة قائم على رأسه وهو يسئله عن شيء شيء من منافع الاغذية ومضارّها ثم يغسل يده وينام فاذا انتبه جدد الوضوء وصلى الصلاة الوسطى وخرج الى مجلس الشرب فجلس وحضر الندماء والملهون .

ووافى أبو القاسم عبد العزيز فقعد [٦٤] بحضرته على رسمه وعرض عليه ما كتبه الكُتّاب أو كتبه هو بنفسه من أجوبة الكتب الواردة فربما زاد فيها أو نقص منها ثم تصلح وتختم وتجعل فى اسكدارها وتحمل الى ديوان البريد فتصدر في وقتها . ومتى غاب أبو القاسم ابن عبد العزيز لامر يقطعه أو تأخر في داره واحتيج الى كتاب يكتب يستدعي كاتب النوبة فاجلس بين يديه وتقدم بما يريده اليه أو أملاه عليه وهو مع ذلك يشرب ويسمع الغناء ويسأل عما يمضي من أشعاره وما يجب معرفته من اخباره ولا يزال على ذلك الى ان يمضى صدر الليل ثم يأوى الى فراشه .

واذا كان يوم موكب برز الاولياء ولقيهم ببشر وتأنس تعلوها هيبة

ووقار وأجاب كل ذي حاجة بما يجب في السياسة من بذل ومنع وتفرق الناس عند انتصاف النهار وأقام أصحاب الدواوين وكتابهم الى حين غروب الشمس . فاما عموم الايام فان الامر يجرى على ما تقدم ذكره .

فيقال انه مال في بعض الايام الى جارية ميلا دعاه الى ان خلا معها خلوة أطالها وانقطع بها عن مراعاة ما كان يراعيه من الاعمال فلما حاول النظر في ذلك من غد وجده قد (٦٥) تضاعف فشق عليه تلافى ما مضى . ثم دعاه الشغف بالجارية الى ان خلا معها نوبة ثانية كالاولى في الاطالة فوقف من الامور أكثر مما كان وتامل الصورة فرأى الخلل قد استمر فاحضر شكر الخادم وتقدم اليه بأخذ الجارية وتغريقها فاخذها شكر وراعى ما عرفه من شدة وجده بها فاستبقاها ولم يحدث حدثا في بابها فلما مضت على ذلك أيام قال له : ياشكر لقد عجلنا على تلك الجارية وكان التثبت أولى . فقال : يامولاى قد والله تثبتُّ في أمرها خوفا من ندمك على ذهابها فاستبقيتها . قال : فرُدها الى موضعها . فردها وعاود عضد الدولة الخلوة بها والانقطاع اليها وعاد الخلل الى حاله السالفة فاستدعى شكرا وأمره بتغريقها وقال : ما يساوى طاعة النفس في شهوتها ترك الدنيا وافساد سياستها . فغرقت ومضت الى حال سبيلها . هذه الحكاية وجدناها في كتاب التاريخ كما سطرناها وهي حكاية مستفاضة قد سمعناها مختلفة النسبة الى عدة ملوك والله أعلم بالصحيح (١)

---

(١) وفي ترجمة عضد الدولة في تاريخ الاسلام انه كان من أفراد الملوك لو لا ظلمه كان سفاكا للدماء حتى ان جارية شغل قلبه بميله اليها فامر بتغريقها . والحكاية موجودة في الفخرى أيضاً

وكان ضبطه لداره أشد ضبط ونظره فى أمر الصغير من أمر الخزائن والمطابخ والاقامات [٦٦] والوظائف مثل نظره الى الكبير من أمور الممالك فلا يطلق درهما في غير وجهه ولا يمنع أحدا مما يستحقه

فاما ما ذكر فى أمر تدبيره لجنده فقد كانت أموالهم مطلقة فى أوقاتها متتبعة في تصرفاتها وأكثر كتابهم وأصحابهم عونا له عليهم وطبل العطاء يضرب فى كل يوم ويحضر من ينتهي اليه الدعوة من القواد ومعه أصحابه بأحسن رتبة فقبض ماله والزيادات فى الاصول محظورة على العموم الا عند الفتوح وما تدعو السياسة اليه من استمالة القلوب . فقيل ان طغان الحاجب (وكان أكبر الاتراك فى دولته) راسل عضد الدولة وقد جرده الى بعض الثغور وسأله زيادة عشرة أرطال خبزا في خزانته فدفعه عن ذلك وحمل اليه خمسة آلاف درهم صلة وقال له : هذا ثمن ما استزدتناه للسنين الكثيرة ولو أجبناك الى مرادك على ما طلبتنا به لا تفتح علينا باب لا يمكننا سده . وحدث أبو الحسن ابن عمارة العارض قال : ورد الى عضد الدولة فلان الديلمى [٦٧] (وأسماه) من أرباب البيوتات المذكورة بديلمان فأكرمه وعظمه وخلع عليه وحمله على فرس بمركب ذهب . واتفق ان دعا قائدا من أقاربه بالحضرة كانت له مروءة حسنة فشاهد من آلته ومروءته وزيه وتجمله ما كثر فى عينه فاستقصر حاله عند ما شاهده فاحضر كاتبا كان عضد الدولة قد استخدمه له وقال له : قد دعاني ابن عمي ورأيت من مروءته ما استحسنته وشاهدت عليه فرجية ورداء من حالهما كيت وكيت وأريد ان تبتاع لى مثلها . فقال : نحتاج لثمن ذلك الى ما تقصر عنه أيدينا فى هذا الوقت . فقال : خذ المركب الذهب فارهنه . فصار الكاتب الى عضد

الدولة فعرفه ما جرى فاستدعاني (يعني أبو الحسن ابن عمارة العارض نفسه) وقال لي [1] : احضر فلاناً القائد الذي دعا الديلمي الوارد من ديلمان . فاحضرته وعرفته حضوره فقال : اخرج اليه وقل له : ليس يكفيك بطرك بالنعمة الخائعة لك وتشاغلك بالترف عن الجندية وشروطها حتى تريد ان تفسد عسكرنا علينا وتعمل الدعوات وتظهر الزينة الآن قد ندبناك للخروج الى البلد الفلاني فاذهب واخرج . (٦٨) قال : فلما أوردت عليه هذا القول تبلّل الارض وتنصل وكاد يموت وانصرف على عزم الخروج . ثم رسم بعد ذلك احضار الديلمي الوارد من ديلمان فلما حضر أمر ان يفرش له بساط منجرد ويطرح عليه صدر مثله وثلاث مخاد مخلقة ولبس جبة رثة وعمامة شهجاني [2] وجلس وأوصل الديلمي وتشاغل عنه ساعة الى ان علم انه قد شاهد فرشه وثيابه وسأله عن حاله وخاطبه خطاب موانس له : أراك يافلان تتأمل فرشنا وثيابنا ولعلك تقول « كيف يقنع ملك الدنيا بهذا » ثم ان الشرف والجمال بالاصول والافعال والمواقف في التدبير والحروب . واسباب الحسان والترفه والنعمة للنساء والمخانيث وتالله ان الرجل ليدخل عليّ وهو متمسع متعمل فاصور انه فارغ عاطل ويدخل وهو مقتصد مسترسل فاراه بصورة من له نفس وهمة . ثم حادثه بعد ذلك ساعة وانصرف (قال) وعاد الكاتب فقال له عضد الدولة : أي شيء جرى بعد انصراف صاحبك ؟ قال : لما عاد من حضرة مولانا سألني عما كان وافقني على ابتاعه من الرداء والثوب للفرجية فاحضرتهما له فقال : ردهما على

---

(١) وفي الاصل : له (٢) قال الثعالبي في لطائف المعارف (١١٩) : قد بقي الى الآن اسم الشاهجاني على الثياب الرقيقة فلعلها كانت تجلب من مرو شاهجان

صاحبها [٦٩] وارتجع المركب ورده الى موضعه . فتبسم عضد الدولة .

وحدث أبو نصر خواشاذه قال : كان بالقصر جماعة من الغلمان تحمل اليهم مشاهراتهم من الخزانة بالحضرة فلما كان فى آخر شهر قد بقى منه ثلاثة أيام استدعانى وقال لى : تقدم الى الخازن فى بيت المال بان يزن كذا وكذا الف درهم ويسلمها الى أبى عبد الله ابن سعدان ليحملها الى نقيب الغلمان بالقصر . فقلت : السمع والطاعة . فانسيت ذلك وسألنى عنه بعد أربعة أيام فاعتذرت بالنسيان فخاطبنى بأغلظ خطاب فقلت : أمس كان استهلال الشهر والساعة تحمل المادة وما ههنا ما يوجب شغل القلب بهذا الامر . فقال : المصيبة بما لا تعلم مافى فعلك من الغلط أ كثر منها فيما استعملته من التفريط ألا تعلم انا اذا أطلقنا لهؤلاء الغلمان مالهم وقد بقى فى الشهر يوم كان الفضل لنا عليهم واذا انقضى الشهر واستهل الآخر حضروا عند عارضهم فاذكروه فيعدهم ثم يحضرونه فى اليوم الثانى فيعتذر اليهم ثم فى الثالث فتبسط فى اقتضائه ومطالبته ألسنتهم فتضيع المنة وتحصل الجرأة ونكون الى الخسارة أقرب منا الى الربح . ولعل عضد الدولة نظر [٧٠] فى هذا الوقت الى ما وجد فى سيرة المعتصم رضوان الله عليه وهل يكبر ابنى هاشم ان يقتدى باقوالهم أو يهتدى بافعالهم وهم الاصدقون أقوالا والا كرمون أفعالا والاشرفون أنسابا جبال الحلوم وبحار العلوم وأعلام الهدى وساسة الدين والدنيا وفرسان الحروب والمحاضر وأملاك الاسرة والمنابر الى مكارمهم ينتهى الكرم وبمآثرهم تنجلى الظلم المعتصم بينهم المعتصم

﴿ خبر مأثور فى سياسة جند ﴾

يقال ان جندا كانوا بدمشق فطالبوا عاملها برزق استحقوه وشكوا اليه

ضيقة وحاجة فاحتج بأن المال الحاصل للحمل وانه لايقدم على أخذ شيء منه وسيقيم لهم وجوها من بعد ودعتهم حاجتهم الى ان مدّوا أيديهم وأخذوا بعض ما يستحقون وكتب العامل على البريد الى الحضرة بذلك .

وكان المتصم بنيّة الغزو وقام يكتب جوابه وقال : انتفيتُ من الرشيد لئن لم يعيدوا المال الذي أخذوه ساعة وصول هذا الامر لاجعلن وجه الغزاة اليهم [٧١] ولاجعلنهم حصائد السيوف . فعاد الجواب أسرع ما يكون إلى العامل فاحضر الجند وقرأ عليهم الكتاب ونظر بعضهم الى بعض وقالوا : هو المتصم وانه يقول ويفعل . وتبادروا الى رد ما أخذوه فما كان طرفة عين حتى اجتمع المال كانه لم يبرح وسألوا العامل التنصل عنهم الى المعتصم وذكر صورتهم التي أحلت في أمثالها المحرّمات فكتب بذلك الى الحضرة فامر المتصم بالجواب وذم فعل العامل وتبين خطيئته كيف جنى على السياسة وجرأ الجند بتأخير أعطياتهم عن أوان وجوبها وحذّره أمثالها وأمره باطلاق ما اجتمع لهم من مال استحقاقهم وإسلافهم عطاء آخر لحسن طاعتهم

﴿ ونعود الى ذكر مانختاره من كتاب التاريخ [١] ﴾

وحدث أبو الحسن ولد عمارة قال : دخل بعض الاتراك الخواص الى ديوان الجيش ومعه صك يريد ان يثبته فقال للكاتب : اثبته . فقال : أنا مشغول بعمل استدعاه الملك وما أنا متفرغ لعمل صكك [٧٢] اليوم. فاخذ الحساب من يده ووضعه في الارض وقال له : قدم أمري أولا . فكتب صاحب الخبر بذلك في وقته فلم يستتم الكاتب اثبات الصك حتى استدعاني عضد الدولة وقال . قد جرى من فلان الديلمي كذا وكذا فاخرج الى

---

(١) والواضح ان هذا تاريخ هلال الصابي

ديوانك واستدع الصك من كاتبك وحرّقه بين يديك وتقدم بأن تجر رجل الديلمي من موضعه الى باب العامة ووكل به من النقباء من يطالبه بالخروج الليلة من البلد الى ديلمان . ففعلت ذلك وتقدم فيما بعد الا تعمل أعمال الجند الا في أيدي المدبرين

وقيل انه كان رفع أسفار بن كردويه عن قبول الظلامات فيه ومطالبة كتّابه بحضور مجالس الحكم فيما يتعلق به اجلالا له . وان أحد التناء تظلم منه في معاملة ورفع قصة الى عضد الدولة فوقّع على ظهرها : أخونا [أبو] زهير يرتفع عن مثل هذا الفعل والدعوي عليه بذلك باطلة . وان التوقيع حُمل الى أسفار فانصف الرجل [1]

وحكى عن بعض التناء انه قال : حصلت ضيعتي في أيام عضد الدولة في اقطاع أسفار بن كردويه وكان من الظلم على حال معروفة وكان عضد الدولة قد رفع عنه وعن زيار بن شهراكويه المدوني (٧٣) في كل فصل . وتتابعت عليّ جوائح ولم تحصل لي ما يفي بالخراج فاجتمع لاسفار عليّ ثلاثة آلاف وستمائة درهم اعتقلني بها وأساء اليّ وقيدني وأدخل يده في

---

(١) ويشبه هذه الحكاية مارواه الشابشتي (وترجمته في ارشاد الاريب ٦ :٤٠٧) في كتاب الديارات عن عبد الله بن خرداذبه انه حضر مجلس المأمون يوما وقد عرض عليه أحمد بن أبي خالد رقاعا فيها رقعة قوم متظلمين من اسحق بن ابراهيم فلما قرأها المأمون أخذ القلم وكتب على ظهرها : ما في هؤلاء الاوباش الا كل طاعن وأش اسحق غرس يدي ومن غرسته انجب ولم يخاف لاعدا عليه أحدا . ثم كتب الى اسحق رقعة فيها : من مؤدب مشفق الى حصيف متأدب يابني من عز تواضع ومن قدر عفى ومن راعي أنصف ومن راقب حذر وعاقبة الدالة غير محمودة والمؤمن كيّس فطن والسلام . وليراجع أيضا قصة المأمون مع أحمد بن هشام في كتاب المحاسن والمساوي للبيهقي في باب محاسن النظر في المظالم ص ٥٢٩

ياتي فاقمت في حبسه سبعة أشهر . فأنس بي الموكل وعلم ان لا أتمكن من الهرب مع القيد الذي في ساقي فكان يستخلفني موضعه عند خلو الباب وانتصاف النهار ويمضي الى منزله فيتشاغل بشغله ويعود . وضاق صدري فادّى بي سوء الحال وشدّة القنوط الى أن اخترت الموت على الحياة فحملت نفسي في بعض الايام عند مضى البواب وخلوّ الباب على ان خرجت أمشي بالقيد . وكان أسفار ينزل في دار صاعد بن مخلد بدرب الريحان والزمان صائف والماء ناقص فلزمت شاطىء دجلة حتى وصلت الى الميدان الذي تحت دار عضد الدولة والناس يرونى فى طريقى فمن منكر لى يقول « مجنون وقد أفلت » ومن عارف بى قد علم انى هارب . فلما وقفت فى الميدان رأيت الستائر ممدودة وعضد الدولة قائم على الروشن وأنا لا أعلم وعلى ابن بشارة الفراش على قرب منه فصحت ودعوت فبادر الىّ علي بن بشارة وأومى الىّ « أن اسكت وصر الى باب[٧٤] البستان » . فصرت اليه وخرج الىّ وقال : من أنت وما قصتك ؟ فشرحت له حالى وظلامتي من أسفار فأجلسني عند البوابين وعاد واذا به قد خرج فأدخلني وقال : ان الملك كان واقفاً وقت مجيئك وهو الذي رآك فاذا رأيته فقبّل الارض بين يديه وأكثر الدعاء له . فمشيت وأنا أحجل في القيد حتى قربت منه في الموضع الذي شاهدته أولا فيه فتداخلني من الهيبة والجزع مالم أملك نفسي معه فقبلت الارض مراراً ودعوت له دعاء كثيرا وبكيت وسكت فقال لعلى بن بشارة : قل له حتى يشرح صورته . فقلت . مالى لسان يطاوعني على القول لعظم ما قد تداخلني من الرهبة والخوف . فقال : تكلم ولا تخف . فقلت : ان أسفار قبض ضيعتي وظلمني بما لا قدرة لي عليه وحبسني في القيد

منذ سبعة أشهر . فأطرق ساعة ثم قال لي : عد الى دار أبي زهير واعلمه انك جئتنا وشرحت حالك لنا وانا أمرناك بالعود اليه . فقلت : يا مولانا أخافه وجهات في قولي هذا . فقال . لا تخف فانا من ورائك وعد لتعرف ما ينتهي اليه أمرك . فقبلت الارض وخرجت أجرّ نفسي وأحجل في قيودي حتى وافيت باب أبي زهير فاذا البوّاب [٧٥] قد عاد فلم يجدني وبث الركابية والغلمان في طلبي وعرف أبو زهير خبري فضرب البواب مائة مقرعة والدنيا قائمة على ساق . فلما رآني الغلمان صاحوا « ها هوذا » وقالوا : أين مضيت ؟ فقلت : مضيت الى الملك عضد الدولة فاوصلني وشكوت اليه أمري فامرني بالعود الى القائد وعدت . فلما سمع الغلمان ذلك ذكروه لاسفار فاحضرني وقال : أين كنت ؟ قلت : يا صاحب الجيش لما ضاق صدري وغلب يأسي صبري قصدت باب الملك فوجدته قائما على الروشن وبين يديه الاستاذ علي بن بشارة فدعوت له وشكوت اليه حالي فاوصلني وحدثته حديثي فامرني بالعود اليك فقلت « أخاف ان أعود » فقال « عُد فانّا من ورائك » وقد جئت . فقال اسفار : نؤاخذ اذا . وأحضر من فك القيد وأعطاني عمامة وثوبا ومائة درهم وقال : انصرف مصاحبا . فقلت : ضيعتي . فقال : اخرج اليها وتصرّف فيها ولا تطمع مستأنفا في كسر خراجها . فدعوت له وخرجت من عنده فمضيت من فوري ذلك الى روشن عضد الدولة وصحت ودعوت له فدنا خادم من الروشن وأومى اليّ ان « تقدم الى الباب » فتقدمت اليه فجاءني الخادم فقال: [٧٦] من أنت ؟ فقلت: المحبوس الذي كان منذ ساعة بحضرة مولانا . وتقدم اليّ بالعود فدخل وخرج اليّ علي بن بشارة فادخلني ووقفت [illegible] على عتبة البيت الذي

بناه على دجلة وغلمان وقوف بالقرب منه فقبلت الارض ودعوت له فقال :
كيف جرى الامر ؟ فشرحت له الحال وأريته الثياب والدراهم التى
أعطانيها اسفار فاستدنى على بن بشارة وأسرَّ اليه شيأ لم أسمعه ثم قال لى :
كم عليك لابى زهير ؟ فقلت ثلاثة آلاف وستمائة درهم. قال : نحن نؤديها
اليه عنك لتبرأ منها فى ديوانه وتكون مقابلة له على الجميل الذى عاملك به.
فقبلت الارض ودعوت له وأخذ على بن بشارة بيدى ودخلت الى الخزانة
فأخذ ثلاثة آلاف وستمائة درهم فى كيس واستدعى أحد نقباء النوبة وقال
له : امض مع هذا الرجل فاحمل هذا الكيس الى أبى زهير أسفار وقل له
« هذه الدراهم التي أنفذناها اليك اعوض عملك على هذا الرجل فأثبتها فى
ديوانك باسمه » فخرجت والنقيب معى والكيس معه وصرنا الى دار أبى
زهير ودخلنا اليه فلما وضع النقيب الكيس بين يديه وأدي الرسالة قام قائما
وقبل الارض ثلاث [1] دفعات وقال : أنا عبد وخادم وهذا مال مولانا.
وهب لى خمسمائة درهم وللنقيب خمسمائة وانصرفنا

الذى مضى في هذين الخبرين هو تدبير لطيف وتوصل جميل الا أن
رفع العدوي عن أحد الاتباع وان كان عظيم القدر مضر بالسياسة اى
اضرار والقاعدة اذا وضعت على ذلك كانت « على شفا جرف » هار . ولقد
رأينا فى زماننا من سياسة ملك الاسلام عضد الدولة البارسلان رحمه الله وكان
أقوى جندا ما هو أوفى جدا . وأين كان من الملوك من يصول كصولته
ويهاب كهيبته ! ونقتصر هاهنا على ايراد خبر واحد من أخباره التى ينتهى
القول بنا [1] الى ذكر أيامه بمشيئة الله سبحانه

(١) لعله : بها

{ ذكر خبر في اقامة سياسة }

حكي ان غلاما خصيصاً بسنكاو أخذ من بعض المزارعين بطيخاً على قارعة الطريق بغير رضاه وانتهى الخبر الى عضد الدولة رحمه الله فطلبه فأخفى شخصه رجاء أن يسكن غضبه ويعفو عنه أو يقتصر من عقوبته على السوط دون السيف. فاستدعى بسنكاو الى بين (٧٨) يديه وأقسم لئن لم يحضر الغلام ليقيمن السياسة فيه بدلا عنه (وسنكاو يومئذ صاحب الجيش ومعه جمرة العسكر وأمره قوي وجانبه منيع وهو أشد الترك بطشا وأخشن الجند جنباً) فملكه الرعب وكان قصاراه البدار باحضار الغلام فلما أحضر وسّطه بالسيف وأجرى الفرس بين شلويه على سنة لهم في قتالهم. ويوشك أن يكون لهذه السياسة باطن بأن تكون قد سبق للغلام جريمة يستحق بها القتل وأتبعها بهذه الصغيرة التي يجري في مثلها التعزير فقتله عضد الدولة رحمه الله بالجريرة الكبيرة التي أوجبت قتله وأظهر للعامة انه قتله بصغيرته الظاهرة لهم اقتداء بخبر وجدته في بعض الكتب مرويا عن المعتضد بالله رضي الله عنه وهو أنه كان سائرا في موكبه فتظلم أحد الرعية من بعض الجند فيما يقارب قصة البطيخ فأمر باحضاره وسحبه الى السجن وحبسه الى أن يعود الى مستقر عزه فيأمر فيه. فلما كان في اليوم الثاني وأصبح الناس رأوا رجلا مصلوبا فتحدثوا بقتل الجاني بالامس وصلبه. فدخل أحد خواص (١) المعتضد اليه وقال له (٧٩) عند خلو مجلسه : يا أمير المؤمنين قد كان التعزير

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن حمدون النديم والحكاية موجودة في ارشاد الاريب ١ : ١٥٩ وفي كتاب الاذكياء لابي الفرج بن الجوزي ص ٤٢ قصة بطيخ أخذه بعض غلمان جلال الدولة رواها من تاريخ هلال الصابي

فيما جرى يقنع من غير صلب. فقال له: أتعرف الرجل. قال: نعم. قال: فامض الى السجن فانظر. فلما دخل رأى الرجل حيا وهو مقيد فعاد وقال: قد وجدته حيا. قال المعتضد: انما أمرت باخراج غيره من المفسدين الذين قطعوا الطريق وأخذوا المال وقتلوا ووجب صلبهم فهو الذي رأيتموه مصلوبا وظهر للعامة أن المصلوب هو الجاني بالامس ايداعا للرهبة فى قلوبهم فما تعديت حدود الله. ولقد وفق المعتضد بالله رضى الله عنه وهل يدافع عن حسن سياسة يضرب بها المثل؟

واتفق أن بعض أمراء مصر كثر المفسدون فى أيامه فقتل وتعدى حدود الله التى أتت بها الشريعة فتضاعف الفساد حتى وقف أمره فأشير عليه باتباع الشرع فأحضر أحد الفقهاء المجتهدين وشاوره واستفتاه وعرض عليه من فى السجون وذكر له أحوالهم فافتاه بما أمر الله تعالى به فأقام الحدود فيهم بالعدل من غير زيادة ولا نقصان وسلك هذه الطريقة الحميدة فيمن ظفر به من المفسدين فما مضى من الزمان الا قليل حتى استقامت له الاحوال فانقطع الفساد فثمرت البلاد (٨٠) وليس للمخلوقين أن يحتاطوا بصلاح الامة بزيادة على أمر الخالق رب العالمين سبحانه وتعالى.

وما أحسن سيرة هذه الدولة التركية فان مندوبا للمظالم قد وسموه « بأمير داذ » معناه أمير العدل يجلس للمظالم والى جانبه حاكم من أهل العلم يرجع ذلك الامير الى رأيه وكلمه وينفذ ما تأمر الشريعة فى الجند والرعية. وكل عبد من عباد الله تعالى فى امداده بحسن التوفيق لم يهذب بسياسة الاقرب فالاقرب ولم يدلل بهيبته الاصعب فالاصعب. نسب[1] الى احدى

---

(١) في الاصل: ونسب

خطتين اما ظلم فى طبعه واما عجز في نفسه وكلتاهما غير حميدة . ولم يكن مثل ذلك يخاف على عضد الدولة بن بويه مع كمال فضله ولعله سمح لاسفار وزيار بهذا الفعل ان الخبر صحيح [1] لمداراة عاجلة ليتلافاها من بعد بسياسة شاملة فان غوره كان بعيدا وصبره لمداواة كل خطب عتيدا . وهو من الملوك الذين لا يقدح الثلم فى سياستهم بحال ولا يجد العيب في سيرهم أدنى مجال

﴿ ونعود الى سياقة الاخبار ﴾

حدث أبو اسحاق ابراهيم بن هلال [2] الصابى قال : لما ورد عضد الدولة فى (٨١) الدفعة الثانية خرجت لاستقباله الى المدائن وخدمته وخفت أن يتطرق على دارى الشاطئة [3] الترك فى سورة الدخول لاننى من حواشى البختيارية وسألته انفاذ من يحرسها فانفذ معى أحد النقباء الاصاغر وتقدمت عائدا والنقيب معى . فكان يمضى أكثر النهار فى أشغاله فاتفق ان هجم على الدار أحد القواد الاكابر وطرح أصحابه أحمالهم وفرشوا فرشهم وربطوا دوابهم وتقدموا الينا بالانتقال فأيسنا من دورنا ومضى غلمانى يطلبون النقيب فلما حضر سلم على القائد وقبل يده ووقف بين يديه وأخذ يحادثه ثم قال له الديلمى : فيم جئت ؟ قال : أنفذنى الملك لاحفظ هذه الدور ممن يتعرض لها . فقال له : هذا كاتب من أصحاب بختيار فأىُّ شيء بينه وبين الملك ؟ قال : كان بخدمة وله موضع منه . قال أبو اسحق : فوالله ما استتم النقيب كلامه حتى نهض القائد الديلمى ورمى بكرسى كان جالسا عليه وقال لغلمانه : ارفعوا . وركب فى الحال وخرجوا بعده فما رأيت هيبة أعظم من هيبته

(١) يريد ان كان الخبر صحيحاً (٢) وفي الاصل هليل (٣) وأما هذه الدار فليراجع ما قال فيها حفيده هلال في كتاب الوزراء ص ٢٨٨

﴿ وأما ذكر ما فعله فى أمر الحماية (٨٢) ﴾

فانه حمى البلاد من كل مفسد وحفظ الطرق من كل عائث وهابه الحواضر والبوادي

وكان منه فى قتل داود بن مصعب العقيلي آمر بني عقيل وسيدها بأبى القاسم ابن الباهلي ما شاع ذكره

﴿ ذكر مكيدة فى قتل دواود بن مصعب ﴾

وكان من خبره أن عضد الدولة أنفذ أبا القاسم ابن الباهلي الى داود برسالة يدعوه فيها الى الطاعة والدخول الى بغداد وضم اليه عشرين رجلا من الحمداية وواقفه على الفتك ان وجد غرة منه . فلما حصل عنده وكان نازلا بالقرب من سنجار أورد عليه ما تحمله ورغبه فى الخدمة فقال له داود: أما الطاعة فأنا ألزمها وأما الدخول الى الباب فما جرت لى عادة به . فلم يزل يراوضه وهو مقيم على أمره فيما بذله وامتنع عنه . وعول ابن الباهلى على اغتياله وواقف فراشاً كان معه على ذلك وطلب الغرة فوجدها عند رواح الجمال والبقر والغنم فان الصياح يكثر والرجال والنساء مشغولون بأبلهم ومواشيهم وضمها الى (٨٣) بيوتهم وحلب ألبانها فعمل على فعل ما يريد فعله فى هذا الوقت واستأذن على داود في بعض المشايا وحضر عنده وأخذ فراشه معه (وقد خرج اليه بسره) ورسم له أن يمسك داود اذا خلا مجلسه وغمزه بعينه واستصحب سكينا ماضية في كمه . وراحت الابل والمواشى فارتجت الحلة باصواتها وضوضاء الناس وحادثه ساعة ثم غمز الفراش فوثب وأخذ يدي داود ومسكهما وضربه ابن الباهلى بالسكين فى صدره وكرر ذلك حتى أصاب مقتله وخرج غير عجل ولا مضطرب والفراش خلفه طالبا

للصحراء والبعد عن البيوت كأنه قاضى حاجة وقد أعد له وللفراش فرسين فركباها وسارا سيرا رفيقا حتى أوغلا فى الصحراء ثم حثا وعدلا عن طريق الموصل وتعسفا الطريق الى برقعيد ونزلا منها الى دجلة وانحدرا في سفينة. ودخل أصحاب داود عليه بعد ساعة فوجدوه طريحا قتيلا ولم يجدوا ابن الباهلى فعلموا ان الفعل له ومضى قوم من الفرسان يتبعون أثره فى الطريق المؤدية الى الموصل فلم يجدوه فاخذ من كان معه من الحمدانية فقتلوا صبرا ومضت على ذلك السنون وقتل ابن الباهلى بالكوفة قتله بنو عقيل .[٨٤]

وقد قيل « كل قاتل مقتول » وهو أسهل الامرين لان ما جاء من الوعيد فى القرآن وفى الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قتل نفسا بغير حق مع مايلقاه فى الدار الآخرة أشد نكالا وأعظم عقابا وأدوم عذابا نسأل الله تعالى العفو والعافية فى الدنيا والآخرة

وذكر أبو الحسن محمد بن عيسى الهيتى قال: أخرجت الى هيت لتقرير ارتفاعها وارتفاع الانبار على أبي العلاء الحسن بن محمد الاسكافى فورد علينا فى بعض الايام كتاب من عضد الدوله يرسم فيه المسئلة عن اعرابي من بني عقيل تناول شيأ من بعض زواريق المعادن والمطالبة باسمه وحاله . فاحضرت الملاحين وسألتهم عن هذه الحال فلم يعرفوها فكتبت بذلك وورد الجواب بان نزيد فى البحث فلم أزل أتعرف وأسأل كل واحد حتى ذكر لى بعض الملاحين ان فلانا العقيلي اعترض سفينة من سفن المعادن وهي مصعدة والتمس من بعض المدادين قطعة من شاروفة فأخذها قهرا من صدره وانه لم يجر سوى ذلك فأحضرنا المسيب بن رافع وطالبناه بالاعرابى فقال: ما تريدان منه . فأعلمناه ان الملك طلبه. قال أبو الحسن

المبتى : وكان بيني وبين (٨٥) المسيب أنسة ومودة فاقسم علي ان اطلعه على الصورة فذكرتها له فانصرف واجما وغاب عنا يومين ورجع ومعه جماعة من أهل المطلوب وبني عمه وسألونا الامساك عنه وانتهى الامر فيما بيننا وبينهم الى أن تصححوا ذنبه . قال أبو الحسن . فلم أتجاسر على مكاتبة عضد الدولة بذلك وكتب به أبو العلاء وعنده انه قد أبرأنا منه فعاد الجواب اليه بانكار ما كان منه فى قبول ما قبله من المال واطماع القوم فى الرضاء عنهم وان الغرض حسم مواد الفساد في الطرق وقيل له فيما خوطب به : لولا أنها أول جناية لك لاتقذنا من بحسن تقويمك وتأديبك . وكوتبت أنا بالتماس الاعرابى وأخذ المسيب بتسليمه واطماعه واطماع بني عمه في الصفح عنه اذا سلموه فاعدت خطاب المسيب والقوم فى احضار الرجل فأحضروه وسلموه فاعتقلته وكتبت بحصوله فورد الكتاب بأن أطالبه بالشاروفة التى أخذها فاذا أحضرها خنق بها فى الموضع الذى أخذها منه وصلب ففعلت ذلك . ثم راسل عضد الدوله المسيب ووجوه بنى عقيل بانه متى لم يضمن أكابركم أصاغركم ويلزموا عهدتهم ويضبطوا الطرق (٨٦) ويحموا مواد الفساد صرفناكم من ممالكنا . فشملهم الخوف على العبور الى الجانب الشامي وأوغلوا في البرية .

ومن العجب من حسن سياسة عضد الدولة اطماع المطلوب فى الصفح عنه اذا حضر واطماع بني عمه فى مثل ذلك اذا أحضروه ثم الغدر به بعد تسليمه . قال الله تعالى : الاّ الذينَ تابوا منْ قبلِ أنْ تقدروا عليهمْ فاعلموا أنّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ . واستجابة الرجل الى الحضور طمعاً فى الامان قبل القدرة عليه هو توبة فالغدر به بعد بذل الاطماع في العفو قبيح ان كان

ما ذكر في هذه القصة صحيحاً

ومن بعض توصله ما وجدنا في عين التاريخ وهو ان عضد الدولة أنفذ أحمالا من الامتعة الى مكة مع تجار أو حاج فلما انتهوا الى بعض الطريق عند بعض أحياء العرب خرج عليهم قوم منهم فقطعوا عليهم فقال المأخوذ: هذه الاحمال لعضد الدولة الملك .فسبوه عند ذكره وعاد المأخوذ الى حضرة عضد الدولة وحكى ذلك . فتقدم بعمل شيء كثير من الحلاوات المسمومة وأعاد المأخوذين وأصحبهم أمتعة وجعل تلك الحلاوة المسمومة في جملتها وقال : تعمدوا لقاء القوم فاذا وقعوا [٧] عليكم فقولوا « ان هذه الامتعة والحلاوات أنفذها عضد الدولة لفقراء مكة » فاذا أخذوا الاحمال فعودوا لوقتكم . ففعلوا ذلك وصادفوا القوم فاخذوا ما صحبهم وأكلوا من تلك الحلاوات فهلكوا [١]

فان كان هذا الخبر صحيحا فانه كيد يأباه كل ذى دين ويأنف منه كل سلطان مكين فذو الدين يراه من أعظم الآثام وذو السلطان يراه عجزا وضعفا في الانتقام . وفيه تغرير نفوس من لا ذنب له فهل كان يأمن ان يأكل من ذلك النساء والولدان ومن عسى ان ينزل بالحي من ضيف بريء الساحة قال الله تعالى : ولا تزر وازرة وزر أخرى . واستفتى رجل ابن عباس رضوان الله عليه في قتل أولاد المشركين فقال : ان علمت منهم ما علمه الخضر عليه السلام من الغلام الذى قتله فاقتلهم اجابا للحجة عليه بانه لا يجوز له قتل من لم يبلغ الحلم منهم .

(١) وردت هذه الحكاية في كتاب الاذكياء ص ٤١ رواية عن تاريخ محمد بن عبد الملك الهمذاني

ومن غريب مكايده التي تتداولها الألسن ما كاد به طائفة من القفص والبلوص حين أوغل في بلاد كرمان لتنظيفها منهم [1] فانه انتهى اليه ان قوما منهم بيوتهم من وراء جبل بحيث لا يمكن الوصول اليهم الا بعد سلوك مضيق اذا وقف فيه عدد قليل [٨٨] منع عسكرا كثيرا فلما أيس من الوصول اليها بالقوة أعمل الفكر في الحيلة وراسلهم بأني لا أنصرف عنكم الا باتاوة . فقالوا : مالنا مال نؤديه اليك . فقال : أنتم أصحاب صيد وأريد من كل بيت كلبا. فهان عليهم ذلك فانفذ من عدّ بيوتهم فأخذ منهم كلابا بعددها. ومن شأن الكلاب ان يلوذ بصاحبه ويبصبص له وحوله ويحتك به ويألف بيته حتى انه اذا أفلت من فراسخ كثيرة عاد الى مربضه . فأمر بأن يشد في أعناقها حلق النفط الابيض ونجتمع عند مضيق الجبل ثم تضرب النار في النفط ويخلي سبيلها ويتبعها العسكر ففعلوا ذلك وأسرعت الكلاب عدواً وأحس القوم بركوب العسكر فلقوهم في المضيق وطلب كل كلب صاحبه لائذا به من حرق النار فكلما احتك بالرجل أسرت النار اليه وأفرجوا عن الطريق والكلاب تتبعهم وتعدّت النار اليهم فاحترق عدد كثير منهم . وهجمت الكلاب على البيوت فخلا أهلها وأسرع العسكر وراءهم ووضعوا السيف فيهم واستأصلوا شأفتهم .

فأما ما أقامه من الهيبة وأودعه [٨٩] صدور الرعية من الرهبة فانه كان قد منع كل واحد من حمل السلاح بالحضرة الا من كان مستخدما في المعونة أو مرتبطا في جملة الرجالة المرتزقة فان وجد مع غيرهم سلاح أخذ وحبس وألزم جناية وحظر أيضا ان يضرب واحدا واحدا أو يمد اليه يده فمن فعل ذلك

---

(١) وذلك في سنة ٣٦٤ كما تقدم ذكره (٢ · ٣٥٩)

أخذ وعوقب وحبس واغرم فكانت أيدي الناس مقبوضة . قال صاحب التاريخ : واني لاذكر في درب ابان من الجانب الشرقي وأبو اسحق جدى [1] اذ ذاك في الاعتقال وكان في هذا الدرب رجل شيرازى رث البزّة يذهب في أمره مذهب التطايب ويضحكنا اذا جلس معنا فبينما هو في بعض الايام قاعد مع والدى على باب دارنا ومعنا رجل يعرف بابن مواتة من أولاد الشهود والجيران اذ اجتاز بائع رمان فدعاه ابن مواتة وساومه وجرى بينهما ما رفع له ابن مواتة يده فلطمه . فقبض الرجل الشيرازى يده على كم ابن مواتة وقال : قم الى دار الملك . قال له : أصنع ما ذا ؟ قال : أطالع بما فعلته من لطم الطواف ويؤخذ بحقه منك ثم يجرى [10] حكم السياسة فيك . لقد مات ابن مواتة خوفا وجزعا وعطف والدى على الشيرازى يسأله الامساك والطواف يقول عند ما شاهده من الحال ؛ قد وهبت وسامحت . وهو يقول له : اذا وهبت حقك وهب السلطان حقه . ويقول لوالدي : لا أتمكن من الامساك لان خبرنا قد رفع الساعة الى الحضرة واذا أمسكت صار لى ذنب أهلك به وتنقطع معيشتي وأنا أرزق رزقا سلطانيا على نقل هذه الاشياء . وانتهت الحال الى ان قبل والدي وابن مواتة يده نخلى عنه وقال ؛ قد دخلت معكم في خطر أسأل الله تعالى السلامة منه . وصرنا بعد ذلك نخافه ونرهبه . وكان معلمو الصبيان موافقين على ان يسألوا أولاد الجند الذين في مكاتبهم عن أمور آبائهم ومتصرفات أحوالهم في منازلهم ويكتبون بذلك الى ديوان البريد ولهم على ذلك رزق دارٌ

---

(١) أبو اسحاق هو ابراهيم بن هلال الصابي وحفيده هو هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابي وهو « صاحب التاريخ »

﴿ ذكر حيله لطيفة عادت باقامة هيبة عظيمة بين رعية بعيدة ﴾

﴿ خبر الحلاوى [٩١] ﴾

كان أحد جواسيس عضد الدولة العائدين من مصر ذكر لعضد الدوله فى جملة ماأخبر به انه تقدم الى شيخ حلاوي فى زقاق القناديل بمصر فدفع اليه درهما تاجيا ليبتاع به شيأ مما بين يديه فردّه عليه وتنازعا فيه فشتمه وشتم الآمر بضرب الدرهم وانه سأل عن اسم الحلاوى حتى عرفه وسماه . قال أبو عبد الله ابن الحسين بن محمد الحلاوى الموصلى ' بينما أنا فى منزلى في بعض الليالى اذ طرق بابى نقيب ومعه نفّاط فزعت منه وخرجت اليه فقال لى ابن محمان يستدعيك . فمضيت معه اليه فلما حضرت بين يديه وجدت عنده فراشاً من دار عضد الدولة فقال لى ان مولانا سأل عن صانع حاذق فوصفت له ورسم انفاذك الى الدار فصر مع هذا الفراش اليها . فقلت ' السمع والطاعة . فنزلنا سمارية من سمارمات النوبة كانت مقدمة فى المشرعة وانحدرنا وصعدنا الى الدار فوقفنى فى الصحن ودخل ثم خرج فادخلنى الى الحجرة التي فى ظهر القبة الخضراء واذا عضد الدولة جالس وشكر قائم فلما رأيته قبلت الارض مراراً فقال الملك : قد أزعجت فلا بأس عليك وما دعوناك الا لخير . [٦٢] فقبلت الارض ثم قال : قد احتجنا الى استخدامك فى أمر تنفذ فيه الى الموصل وتقدمنا باطلاق نفقة لك تخلفها امبالك تخذها من أبى الثناء (يعنى شكرا) فقلت : السمع والطاعة . فقال : انصرف وانظر فى أمرك وادفع النفقة الى أهلك ولا تعرض أنت لاخذ شيء منها فما بك فى طريقك حاجة اليها . فخرج شكر وأعطانى عشرين دينارا وانصرفت بها الى أهلى وذكرت لهم الصورة ووصيتهم بما أريد. فلما كان

من غد آخر النهار وحضر من يستدعيني فصرت معه الى الدار ووصلت الى حضرة عضد الدولة بين العشاء والعتمة فقال لى : اخرج فى هذه الساعة مع من نسلمك اليه الى مصر فاذا حصلت بها فاقصد باب الجامع وسل عن منير الخادم الابيض فانه يكون هناك يبيع القراح المسمنة وهو معروف فاذا رأيته فقل له « صديقك يقرئك السلام » فسيقوم من موضعه ويمشى فاتبعه الى منزله فاذا دخلت فانزع ثياب سفرك التى عليك والبس الثياب التى يسلمها اليك وخذ معه ما تريده لنفسك واقصد بعد ذلك زقاق القناديل فانك سترى شيخا حلاويا اسمه كذا ويعرف بكذا فاسأل عنه لتتحقق انه هو ثم اجلس عنده فاذكر له صنعتك [٩٣] ومعرفتك بأمر الحلواء وتوصل الى أن تعمل عنده من يومك والزمه وخفف مؤنتك عليه وان دعاك الى منزله فصر معه فاذا عملت معه خمسة عشر يوما أو أكثر وعرفك الناس واشتهر عملك بجودة الصنعة فاستأجر بازاء دكانه دكانا وابتع ما تريده من آلة ومتاع واستدع ثمن ذلك من منير الخادم فان زبون الحلاوى سيعدل اليك ويقف أمره ويسئلك الشركة فاذا سألكها فأجبه اليها وشاركه وأقم فيها معه شهرا . ثم أظهر له شوقك الى بغداد والى عيالك الذين بها وصفها عنده وعظّم الكسب بها فى عينه وابعثه على الخروج اليها وعده المواعيد الكثيرة فان احتج عليك بأهله وولده فقل له « معى دنانير وأنا أدفعها اليك لتجعلها نفقة لهم مدة غيبتك عنهم » واعلمه انك تفعل ذلك ايثاراً لصحبته وأنه اذا حصل ببغداد أنزلته دارك وجعلته فى دكانك وأعطيته قسما وافراً من الربح مما تتجر فيه من مالك فان أحب بعد ما يشاهده المقام أقام وان آثر العود الى مصر زوّدته من طرائف العراق ما يعود به الى أهله واجهد

فى حمله منك الى حضرتنا واخدم في ذلك خدمة تحظ[1] بحسن العاقبة فيها وتناول من منير ما تحتاج اليه لنفسك وله واحفظ السر واحترس من حيلة تتم عليك واجتز على طريق الموصل في عودك . فلما سمعت ذلك كله قلت: السمع والطاعة وأرجو أن يوفقني الله لما أهّلت له . فاخذ شكر بيدى وعدل بي الى موضع ونزعت ثيابي والبست مبطنة ودفعت الىّ عشرون دينارا وقال: هـذه نفقة طريقك . ثم استدعى اعرابيا اسمه حسان جالسا فى الصحن وسلمني اليه وقال له : هذا الرجل فاحفظه واوصله[1] الى حيث وقفت عليه . فأخذ الاعرابى بيدى ونزلنا فجلسنا فى سمارية من سماريات النوبة وصعدنا باب خراسان ومشينا الى وجه الجامع فاذا هنالك أربعة أجمال ورجلان من العرب وركبا وركب الاعرابي وركبت وسرنا ومازلنا من موضع الى موضع آخر حتى وصلنا الى مصر فى سبع وعشرين ليلة فخطى القوم وقال لى صاحبي منهم : امض فى حفظ الله وهات علامة وصلك . فقلت : العلامة ان مولانا قال لى اذا عدت فخذ فى طريق الموصل ولا والله ماسألوني من أنا ولا فى أى شيء توجهت

(٩٥) وقصدت باب جامع فاذا الخادم الابيض فسلمت عليه وقلت له ما وصيت به فرحب بى ومشى معى فى الحال الى منزله ونزع ثيابى وأعطانى ثيابا نظافا من عنده . وجرى الامر مع عضد الدولة[2] مدة مقامى بمصر على ما كان مثله عضد الدولة حتى كانه حاضر معنا وما زلت أرفق بالحلاوى وأعده وأمنّيه حتى أجاب الى الخروج . فعدت الى الخادم وودّعته ونزعت الثياب التى أعطانيها ولبست البطنة التى وصلت بها وأخذت نفقة وتوجهت

---

(١) فى الاصل : رواصله (٢) لعله : وجرى الامر مع من وصفهم عضد الدولة

أنا والشيخ الحلاوى معى وما زلنا ننتقل من مكان الى مكان حتى وصلنا الموصل وأقاربي بها فنزلنا عند بعضهم . واستأجرنا في كورة [1] البريد وما زلنا ننتقل الى أن وصلنا الى بغداد وانحدرنا الى منزلي والشيخ معى لنجدد الوضوء ونصلي ونعبر . فما استقررت حتى حضر نقيب من الدار يستدعيني ومن معى فعجبت من ذلك وكان صاحب الخبر قد كتب بخبرنا فبادرت ومعى الشيخ وعبرنا الى الدار وجلسنا في موضع منها الى ان خلا وجه عضد الدولة . ثم أدخلت والشيخ معى وقد طار لبه وعظم رعبه وهو يحتسب الله عليّ وأنا أسكن منه وقد تداخلني له الرحمة الشديدة وعدل بي الى موضع فيه شك فنزعت ما كان عليّ من الثياب وأنا أراها بعد أخذت (٩٦) وحملت الى حضرة الملك فأعطيت ثيابي التي نزعتها عند خروجي ومثلت بين يديه أنا والشيخ فقال كيف جرى الامر ؟ قلت : كما مثله مولانا قال للشيخ : أأنت فلان بن فلان الخلاوي ؟ قال : نعم قال لا تخف وان كنت قد أسأت الى نفسك وحشمتها السفر عن منزلك بالفضول من قولك وفعلك . فبكى الشيخ بكاء شديداً فتركه قليلا ثم قال: ياهذا هبك رددت الدرهم الذي من ضربنا ولم تحب اخذه من الرجل الغريب الذي وقف بك فما بالك شتمته وشتمت الذى أمر بضربه ؟ ولولا أن في تأديبك والفتك بك وأنت شيخ غريب ولعل وراءك من يتوقعك ومادته منك بعض الاثم واللوم لامرنا بتقويمك لكنا نهب جنايتك لمن خلفك من عيالك وقد تقدمنا باطلاق نفقة لك تردك الى بلدك فلا تعاود مثل ما كان منك وتحدث في بلدك بصفحنا عنك وعن جرمك ومننا

(١) لعله : ركوبة

عليك. فبكى الشيخ حتى كاد يموت ولم يكن له لسان يجيب به وخرجنا وأعطاني شكر عشرين دينارا وقال . اصرفها في نفقتك . واعطى الشيخ دنانير وحمله الى منزلي وأكرمته واستأجرت له ما ركبه في بعض القوافل الى الموصل (٩٦) . فذكر ان الشيخ لما عاد الى مصر تحدث بحديثه وشاع ذلك هناك فكان الغريب اذا جلس الى بعض أهل البلد صاحوا : الحذر الحذر . فتمسك الناس عن ذكر عضد الدولة وقال الحسين الحلاوى : كانت في المبطنة التي لبستها ماطفات وما علمت بها الا بعد عودي

وأما ذكر مراعاته للقوانين وحفظها في الاحوال جميعا فانه كان لا يعول في الامور الا على ذوي الكفايات ولا يقضي فيمن لا غناء عنده حقوق ذوي الشفاعات ولا يجعل لمن حوله من ذوي المناصب ولا لاحد من الاقارب والاباعد مساغا في الجنس المفوض الى كل فرقه منهم ويجرى الامر في ذلك على أحسن نظام وبزمه بأحسن زمام. قال أبو محمد الحسن ابن أبي الفرج ابن مسلمة [1] الشاهد قال : أحب أبو العباس محمد بن نصر بن أحمد بن مكرم الشاهد أن تقبل شهادة أبي يعلى محمد ابنه وكان أبو عمر محمد ابن عبد الله بن أيوب القطان صهره على ابنه وعاملا لابي زهير أسفار (٩٨) ابن كردويه ومختصا به وقال أبو العباس لابي عمر: أنا أعلم نبوك عن [2] أبي يعلى ابني لما تنكره من أخلاقه وقد أحببت أن تقبل شهادته وشرعت في أخذ الخطوط بتزكيته وهذا أمر هو في يدك فان ساعدتني عليه مشى وان وقف فما يقف الا بك . فقال له . والله لا تركت ممكنا . فقال أبو العباس : القائد [أبو] زهير كثير القبول منك قليل الخلاف عليك وان خاطب عضد

---

(١) في الاصل : المسلمة (٢) وفي الاصل : على

الدولة على ذلك مع حصول التزكية لم يقع امتناع عليه فيه وأريد أن تجعل هذه الحاجة أكبر حوائجك اليه . فقال : افعل . قال أبو عمر : فدخلت الى أسفار وقلت له : ياصاحب الجيش قد خدمتك الخدمة التي وجب بها الحق لي عليك ولي حاجة فيها قيام جاهي في البلد قد جعلتها ثمرة أملي فيك . فقال لي : ما هي ؟ فقلت : أبو العباس يريد أن تقبل شهادة أبي يعلى ابنه واستشفع بي اليك في خطاب عضد الدولة . فقال : افعل وقد جرت العادة فيما بيني وبين الملك بان أراسله فيما أريده على لسان ثقة . وأحضر الرجل الذي أشار اليه فحمله في ذلك رسالة استوفاها فمضى وعاد وقال : يقول لك الملك : مالك وللخطاب في مثل هذا الامر ؟ [٩٩] قال أبو عمر : فاستدعاني أسفار حتى سمعت الجواب فقلت : ياصاحب الجيش والله ما يقبل مني أبو العباس ذلك ولا يقدّر الا اني قد قصرت في مسئلتك مع علمه بموضعي منك وموضعك من الملك وانك لا ترد في الكبير فضلا عن الصغير . فقال : ما جرت لي عادة بمعاودته ولكني أعاوده بعد أيام . ومضت على ذلك مديدة فاعاد الرجل الرسالة وجدد السؤال فعاد مثل الجواب الاول . وأظهرتُ الوجوم والانكسار ومضت أيام وهو يراني كاسف البال فقال لي : ياأبا عمر قد عملت على الركوب الى الدار في غد . ووصل الى حضرة عضد الدولة ووقف ساعة ثم قال : قد راسلت مولانا في أمر أبي يعلى ابن مكرم دفعتين وعاد الجواب يرسم فيه الامساك ولي في تمام هذا الامر جاه والقوم الذين سألوني في ذلك في اختلاط وأمل قوي ومتى وقف انكسر جاهي عندهم وعند الناس . فضحك وقال : يا با زهير مالك والخطاب في مثل هذا وفي الشهادة والشهود ؟ انما يتعلق بك الخطاب على زيادة قائد أو تقويد خاصة

نقل رتبة الى رتبة فاما قبول الشهادة فليس لنا ولك قول فيه وهو متعلق بالقضاة ومتى عرفوا من انسان ما يرون معه قبول (...) شهادته فعلوا ذلك بغير أمر ولا شفاعة شافع اليهم واينا واذا أقمت عذر نفسك عنده من سألك بمثل ما قلنا لك عرف صحة ذلك واعترف أبنار بهذا الجواب وحدث أبا عمر به ووقف الامر في قبول شهادة أبي يعلى الي أن توفي عضد الدولة

وأما ما ذكر من صدقاته ومبراته وما تأدى [1] ذلك من فضل احتياطه ومراعاته فانه كان يخرج عند افتتاح مال كل سنة شيئا كثيرا في البر والصدقة ويكتب الى العمال في النواحي بتسليمه الى قضاتها ووجوه أهلها ليصرفوه الى ذوي الحاجة والمسكنة قال أبو نصر خواشاذه : أعطاني عضد الدولة في بعض الايام توقيعا على انه بثلاثين الف درهم للصدقة ورسم وزن ذلك وتفرقته بحسب ما جرت به العادة وكان قد غلط وكتب « يخرج من الخزانة ثلاثون بدرة الصدقة » فرددته وقلت : يا مولانا المال ثلاثون الف درهم والتوقيع ثلاثون بدرة (...) فقال أن يه . فقال . إني أعود فيها فاخرجها فاخرجتها فاطلقت في الصدقات .

وقد شوهد في كثير من تذاكره مما كان يوقعه في تقاويمه « نذرنا الامر الفلاني كيت وكيت وكذا وكذا الف درهم للصدقة » في مواضع كثيرة فكان لا يهم بعزم ولا يكون في سرور أو هم الا وهو يقدم نذرا اما في السرور فلكماله واما في الهم فلزواله وذلك مبني على جميل اعتقاد وحسن يقين وصحة ايمان واقرار بالمعاد

وكان يضيق للكتاب والعمال المتعطلين اذا شكوا أحوالهم وقصورهم أو اطلع

---

(١) لعله : تعدى

على ذلك منها ما ينسب الى الاسلاف التي لا يحاسبون بها عند استعمالهم واستخدامهم . وكان المستخدمون يستسلفون من أبي يعلى سليمن بن الحسن الناظر في التمور والامتعة البصرية على ما يسبب به أرزاقهم ما يأخذون به منه التمر وما يجري مجراه بفضل في ثمنه فيرغب الطالب في الاخذ للحاجة والاتساع بالسلف ويرغب المعطي في الاسلاف للزيادة في الاثمان والفائدة مردودة للسلطان وتوفي عضد الدولة وعلى المتصرفين والمتعطلين من هذه الاسلاف مال جزيل كثير. وبازاء ذلك من احتياطه ما (١٠٢) ذكره أبو نصر خواشاذه قال : حضر نيروز وأراد أن يقطع عضد الدولة فيه قباء سقلاطون يجلس فيه للتهنئة فقال لي : احضر من الخزانة ثوباً يصلح للقباء . فمضيت فاخترت منها ثوبا حسنا مستعملا ظننته به فلما وضعته بين يديه تأمله وأخذه ورماني به وقال : ليس من هذا طلبت . فظننت أنه قد استرذله وأراد ما هو أرفع منه فعدت وأخرجت من بابة أخرى ما هو أجود منه فاحضرته فلما ملأ عينه مسه قال لي : يا أعمى القلب ليس من هذا . فبقيت متحيرا لا أدري ما أصنع ورجعت الى الخزانة فقال لي أبو نصر بندار : مالي أراك ضيق الصدر وقد أخذت ثوبين ورددتهما . فعرفته الصورة فضحك وقال : لو أعلمتني لكفيتك ما اشتغل قلبك به وقام وفتح سفطا فيه ثياب سقلاطونيات متقاربات يسوي الثوب منها خمسة دنانير وأخذ منها واحدا منها فتركه(١) بين يدي وقال : أحمله اليه فانه يرضيه فاخذته وحملته فلما وضعته بحضرته وشاهده وأدخل يده فيه وقلبه قال : هذا جيد . فتقدم بقطعه واعداده ولبسه في يوم ذلك الفصل ووهبه لبعض الديلم (١٠٣)

---

(١) لعله : فطرحه

فاما محبتـه للعلوم وتقريب أهلها فانه كان يكرم العلماء أوفي اكرام وينعم عليهم أهنأ انعام ويقربهم من حضرته ويدنيهم من خدمته ويباحثهم في أجناس المسائل ويفاوضهم فى أنواع الفضائل فاجتمع عنـده من كل طبقة أعلاها وجنى له من كل ثمرة أحـلاها . وصنفت فى أيامه المصنفات الرائعـة فى أجناس العلوم المتفرقة فمنها كتاب الحجـة فى القرآآت السبع وهو كتاب ليس له نظير فى جلالة قدر واشتهار ذكر ومنها كتاب الايضاح فى النحو وهو مع قلة حجمـه يوفى على الـكتب الـكبار التي من جنسـه في قوة عبارة وجودة صنعة [١] وحكي أبو طالب أحمد بن بكر العبدى [٢] صاحب كتاب شرح الايضاح ان عضـد الدولة كان ضنينا بهذا الـكتاب محبا للاختصاص بقراءته دون كل أحـد وان رجلا توصل الى كتبه بخطـه بحيلة فامر عضد الدولة بقطع يده لنفاسة الـكتاب فى نفسه وحـلاوته في قلبه حتي سئل فى أمره فعفى عنه . ومنها الـكناش العضدي فى الطب [١٠٤] المؤلف في أيامه [٣] الموفي على غـيره بيانا وحسن ترتيب وكمالا وغير ذلك من المقالات الرياضية والرسائل الهندسية

وأما ما عمله من الآثار الجليلة فانه جدد بفارس وخوزستان منها ما هو باقي

---

(١) ومؤلفه أبو علي الحسن بن احمـد الفارسي وردت ترجمته في ارشاد الاريب ٣ : ٩ وفيه ان عضـد الدولة كان يقول : أنا غلام أبي علي النحوى في النحـو وغلام أبي الحسـين الرازى الصوفى فى النجوم . وأبو الحسـين هو عبـد الرحمن بن عمر كذا في كشف الظنون ٧٨٠٨ وفى تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي ص ٤٤٠ انه عمل كرة للملك عضـد الدولة وزنها ثلاثة آلاف درهم (٢) وردت ترجمتـه في ارشاد الاريب ١ : ٣٨١ (٣) ومؤلفـه علي بن العباس المجوسي يعرف بابن المجوسي وليراجع ترجمته فى تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي ص ٢٣٢

الاثر عند الناظر شائع الخبر عند السامع . وعمد الى مصالح بغداد فاوجدها بعد العدم وأعادها الى زمانها بعد الهرم واستدر أفاويق الاعمال بعد ان كانت متصرمة واستمد ينابيع الاموال بعد ان كانت مستهدمة [1] وفعل في تجديد العمران وبناء البيمارستان ووقف الوقوف الكثيرة عليه ونقل أنواع الآلات والادوية من كل ناحية اليه [2] ما يدرك العيان بعضه الى الآن . وعمل السكور وأنفق فيها الاموال وأعد عليها الآلات ووكل بها الرجال وألزمهم حفظها بالليل والنهار وراعى ذلك منهم أتم مراعاة فى آونة المدود الجوارف وأزمنة الغيوث الهواطل وأوقات الرياح العواصف . فقيل انه لما سدّ المطهر بن عبد الله بثق السهلية رتب عليه ابراهيم المعروف بالاغرّ وأمره بالمقام عليه (١٠٥) ومواصلة تمايته الى حين انقضاء المدود . قال ابراهيم : فاقمت على هذا السكر زمانا طويلا والرجال معى وشتيت شتاء طويلا وكان لى منزل بجسر النهروان وبينى وبينه مدى قريب فكنت لا أتجانبه على الالمام به ولا على دخول الحمام اشفاقا من ان يكتب صاحب الخبر بجسر النهروان بخبرى . فلما مضت المدة الطويلة على هذه الجملة من حالى عصفت ريح فى بعض الليالى وورد معها مطر شديد فدخلت القبة المبنية على السكر أستتر بها من الريح والمطر واجتهدنا فى أن نشعل سراجا فلم يدعنا عصوف الريح وضجرت وضاق صدرى ونازعتنى نفسى أن أقوم فأمضى فى الظلمة الى جسر النهروان وأبيت فى منزلى وأعاود بكرة موضعى . فبينما أنا فى ذلك وقد حققت عزمى عليه اذ سمعت كلاما على باب القبة فقلت لغلامى : انظر ما هو . فخرج وعاد وقال : انسان على جمل قد أناخ عندنا . ودخل

(١) لعله : مستهدمة (٢) فى الاصل : مما

الرجل وسلم فرددت عليه وقلت للغلام : اشعل سراجا . فقدح وأشعل وجاء بالنار فى نفاطة فاذا الرجل من خواص عضد الدولة عربى قد ورد من بغداد فقلت له : ما تشاء . فقال : استدعانى الساعة الاستاذ شكر وقد خرج من حضرة (١٠٦) الملك فقال : أمر مولانا ان تمضى على جمازة وتقصد بسكر السهلية وتدخل الى القبة التي على ظهر المروحة فان وجدت ابراهيم الاغر هناك فاعلمه اننا نجازيه على خدمته وطول ملازمته وادفع اليه هذا الكيس فيه الف درهم ليصرفه فى نفقته وان لم تجده وكان قد دخل الى داره بجسر النهروان فاقصده واهجم عليه فى منزله وخذ رأسه واحمله . واترك الكيس بين يديّ وقال : احمد الله على ما كفاك اياه . وعاد من وقته فبقيت حيران وعزمت على نفسى الا ادخل جسر النهروان

﴿ وأما ذكر ما رتبه فى تربية أولاده ودبر به دار مملكه ﴾

﴿ بفارس عند غيبته عنها ﴾

فان له من محاسن التدبير فى أمثاله التي مثلها لاصحابه في تذاكير وُجدت له ما يدل على علو همته وحسن سياسته في تربية أولاده وقسمة أيامهم بين آداب البراعة والشجاعة وأوقات الجد واللعب والاقتصاد فيما يجري بينهم من الترافه والتهاجر وتهذيب من يلوذ بهم (١٠٧) ويكون في جملتهم فان الاخلاق بالممازحة تعدى وبالمجاورة تسرى . وترتبت الامور بدار مملكه بفارس فى حال غيبته بالعراق وغيرها لتجرى على السداد وتستمر على الاستقامة والاطّراد فكان اذا بعد عنها بجثمانه لم يبعد عنها بسلطانه كالشمس التي يبعد جرمها عن العالم وضياؤها فيه موجود . والقليل من ذكر سيرته ينبيء عن الكثير فنجتنب الاطالة والاكثار اذ قد شرطنا الاقتصار والاختصار .

ونذكر الآن طرفا مما رواه صاحب التاريخ من أخبار أضافها الى جملة محاسنه وهي بضدها أشبه فافردناها عنها اذ لا تستوي الحسنة ولا السيئة ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور

﴿ ذكر الرسوم التى أحدثها عضد الدولة ﴾

زاد فى المساحة واحدا في عشرة بالقلم وأضافه الى الاصول وجعله رسما جاريا واستمر الى هذه الغاية فى جميع السواد . وأحدث جنايات لم تكن ورسوم معاملات لم تعهد وأدخل يده فى جميع الارحاء وجبي [(١٠٨)] ارتفاعها وجعل لاهلها شيأ منه وكثرت الظلامة من ذلك فى آخر أيامه . . . ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . . . فأزاله صمصام الدولة بعده وأطلق الارتفاع للملاك . وجعل للمراعى وفرائض الصدقات دوانا وأفرد له عمالا وكتّابا وجهابذه فارتفع من أعمال السواد ما زاد على الف الف درهم فى السنة . وأدخل يده فى وقوف السواد ورتب لها ناظرين متصرفين وقرر لاربابها اجارة تطلق لهم عنها فتحصل منها جملة كثيرة وصارت في المقبوض وخرجت فى الاقطاعات من بعد ذلك . وقرّر على أسواق الدواب والحمير والجمال مما يباع فيها من جميع ذلك وفعل في ضرائب الامتعة الصادرة والواردة ما زاد فيه على الرسوم القديمة وحظر عمل الثلج والقزّ وجعلهما متجرا للخاص وكانا من قبل مطلقين لمن يريد عملهما والمتجر فيهما

ولعل صاحب التاريخ قصد بايراد هذه الاخبار فى محاسنه الفضيلة فى اقامة وجوه المال واستنباط ينابيعه . ولا خير في مال يسيء ذكرا ويحبط أجرا وكلما يجمع من أشباه تلك الوجوه فانه جمعٌ تبديد وما يشرب من

أمثال هذه المناهل فانه شرب تصديد [١] (١٠٩) والخبر المشهور المروى [٢] عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : من سن سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة .

﴿ ذكر أخبار ضبط مسرف لايليق بملك ﴾

حدّث أبو على ابن مكيخا صاحب ديوان الخزائن قال : سألت عضد الدولة فى بعض الايام وقد صادفت منه طيب نفس واقبالا على زيادة فى عادته وذكرت له تضاعف مؤنتى وقصور مالى عن كفايتى فقال لى : أليس الموجب لك فى كل شهر كذا وكذا ولك من رسم الكسوة كذا وكذا في الفصلين ؟ قلت : نعم . قال : فأنت تحتاج لراتبك ومؤنك وغلمانك ودوابك الى كذا وكذا فما وجه الاستزادة هذا فأنت تأكل فى كل أيامك مع أبي منصور نصر بن هرون . فقبلت الارض وتأخرت فاذا هو يحاسبنى ويعتد علىّ بما آكله على مائدة أبى منصور

وحكى أبو على أيضا ان عضد الدولة (١١٠) رأى له يوما بغلة بمركب حديد ثقيل فتركه مدة وقبض عليه وألزمه مالا فعرض في جملة ما يبيعه من رحله دست ديباج كان له وبلغ عضد الدولة خبره فاستدعاه ليشاهده ويحتسب له بما يقوّم به قال أبو على : وقد كنت أعطيت فيه ألفا وخمسمائة درهم فقال : احتسبوا له بالف ومائتى درهم . فقلت : قد دفع به الف وخمسمائة درهم وثمنه علىّ أكثر من ذلك . فغاظته هذه المراجعة وتقدم الى الخادم بان يسلم الىّ دستا دونه بكثير الا انه شبيه به فاخذته ولم يمكنى أن أقول شيأ

---

(١) لعله : صديد (٢) لراجع كتاب الاعتصام ١ : ٢٣١

فى أمره فاجتهدت ان يحتسب لى بألف ومائتى درهم المبذولة فقال : لاحاجة بنا الى دسته . وكان قصاراى ان يبتُّ هذا المسلَّم بتسعمائة درهم

وحدث أبو الحسن رستم بن أحمد قال : استكتبنى عضد الدولة لابي جعفر الحجاج بن هرمز عند وروده من ديلمان ورسم لى أن أعمل تذكرة بما يحتاج اليه راتبةً في كل يوم ونفقاته فى كل شهر فعملت وأحضرت التذكرة وكان فيها رطلية شمع فى كل ليلة فوقف عليها ونقص كثيرا منها وزاد فى أبواب وقال : رطل شمع فى كل ليلة سرف [١١١] وينبغى ان يكون في كل أسبوع رطلية وان يوافق الفراش على ان يتركها فى تورها وتُقدم بين يديه المنارة عليها سراج بفتيلتين فان حضر من يحتشم رُفعت وأحضر التور والشمعة فاوقدت فاذا انصرف شيلت وأعيدت المنارة فقلت : السمع والطاعة . وجرى الامر على ذلك

وحدث أبو الحسن على بن أبي على الحاجب قال : كان لعضد الدولة فرجية سقلاطون مبطنة بقماقم فكان يلبسها كثيرا في الطريق بين بغداد وهمذان . وكان أحد الديلم قد أغرى بطلبتها وواصل المسألة فى بابها وعضد الدولة يعده ويدفعه حتى زاد لجاجه فعارضه وما فى موكبه وقال : يامولانا قد طال الوعد بهذه الفرجية وأسئل انجازه اليوم . فاغتاظ وقال : نعم . وكان يمشي فى ركابه أصحاب الركاب ومن جانبه الايمن أحمد بن أبى حفص وفى جانبه الايسر ابن فارس فقال لهما سراً وأرسل كمى الفرجية : اقربا منى وأفتقا البطانة من الظهارة واجذباها وسلماها الى الركابدار . ففعلا ذلك ونزل عضد الدولة وحضر الديلمي مذكرا فاخرجت اليه في الحال طاقا بغير بطانة [١١٢] فبقى متعجبا وأخذها وأمسك

فلما خلا الملك استدعاهما وقال لهما : أنا أعلم انكما فضوليان وكانى بكما وقد قلتما « ما أشح هذا السلطان ! طلب منه بعض خواصه فروة منذ أمد ودافعه بها فلما أراد عطاءها له أمره بكذا بخلا بالبطانة » فقبلا الارض وقالا : لا اله الا الله يامولانا ان تصورنا بهذه الصورة . فقال : بلى أنتما كذلك فاعلما ان فى جوانبنا من الثياب السقلاطون ما يمكننا ان نعمّ به عسكرنا لو أردنا ان نعطى جميعها وهذه البطائن الوبر قليلة وانما تحمل الينا منها فى السنة من البلاد البعيدة الخارجة عن ممالكنا المدّة اليسيرة ولو وهبنا لهذا الديلمى بطانة الفرجية لرفعناه الى منزلة لا يستحقها لانه أقل من أن يدفع اليه مبطنا ثم طلب منا غدا من هو أجل منه جبة مبطنة بوبر فخرج ما فى خزائننا من هذا الجنس الى نفر قليل

وقد ذكر ارسطاطاليس فى رسالته المشهورة : ان الملوك ملك سخىّ على نفسه سخى على رعيته وملك شحيح على نفسه شحيح على رعيته وملك سخى على نفسه شحيح على رعيته وملك شحيح على نفسه سخى على رعيته فسابقهم الى الفضل (١١٣) من كان سخيا على نفسه سخيا على رعيته وتاليه من كان شحيحا على نفسه سخيا على رعيته وعضد الدولة كان كذلك الا ان طلب الدرجة العليا أعبق بذوى الكرم وسبب الغاية القصوى أولى باولى الهمم . ولعل بعض من يقرأ كتابنا يقول « اما كان يسع طىّ هذا البساط وقطع هذا الرباط فكم قد طوى من خبر ومحا من أثر » بلى ولكنا أردنا الخير وقصدنا النفع حتى اذا تأمل المتأمل ذلك وتلك الاحاديث الجميلة والافاعيل الشريفة استلذ من طيبها واستروح من نسيمها الى كل ما يهزّ أريحيته لفعل الخير وبناء المجد واطابة الذكر واقتناء الحمد . فاذا انتهى الي ما قد ذكر

أخيرا وجد من الكدر في المنهل والشرق بالزلال الذي شربه ما يحذره اهمال اليسير من رياضة أخلاقه فيصفيها تصفية الذهب الخالص . والسعيد من تأدب بغيره والكمال عزيز في كل حال وقد قيل

لاسلم من قول الوشاة وتسلمي * «سلمت» وهل حيٌّ من الناس يسلم [١١٤]

﴿ ذكر وفاة عضد الدولة سامحه الله ﴾

توفي عن سبع وأربعين سنة وأشهر وعلته التي توفي بها مشهورة . ولم تكن أمثال هذا العمر عمله ولا في أضعافه أمله ولكن في خفاء مواقيت الاجال مشغلة با كاذيب الامال . وما أحسن قول عدي بن زيد

ليس شيء على المنون بباق * غير وجه المهيمن الخلاق [١]

ذاك عضد الدولة سامحه الله أعجب بصحة عقله وفيه دهاء وهذا عضد الدولة البارسلان رحمه الله أعجب بقوة بأسه ومنه ليعلم ان البشر لا يملك شيأ وان الملك لله الواحد القهار .

ونورد ههنا كلمات قيلت عند وفاة عضد الدولة فيها حكمة بالغة وموعظة نافعة

ذكر أبو حيان التوحيدي في كتاب الزلفة [٢] انه لما صحت وفاة عضد الدولة كنا عند أبي سليمان السجستاني [٣] وكان [١١٥] القومسي حاضرا والنوشجاني وأبو القسم غلام زحل [٤] [و] ابن المقداد والعروضي والاندلسي والصيمري فتذاكروا الكلمات العشرة المشهورة التي قالها

---

(١) الاغاني ٢ : ٢٦ والمهيمن المسبح (٢) وردت ترجمته في ارشاد الاريب ٥ : ٣٨٠ وذكر فيه من تصنيفه : كتاب الزلفة جزء (٣) هو محمد بن طاهر بن بهرام المنطقي وردت ترجمته في تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي ص ٢٨٢ وهو مصنف كتاب صوان الحكمة وصحب أبا جعفر ابن كاكويه ملك سجستان (٤) هو أبو القاسم ابن الحسن المنجم وترجمته في تاريخ الحكماء ص ٢٢٤

الحكماء العشرة عند وفاة الاسكندر فقال الاندلسي : لو قد تقوض مجلسكم هذا بمثل هذه الكلمات لكان يؤثر عنكم ذلك . فقال أبو سليمان : ما أحسن مابعثت عليك [1] أما أنا فأقول : لقد وزن هذا الشخص الدنيا بغير مثقالها وأعطاها فوق قيمتها وحسبك انه طلب الربح فيها فخسر روحه في الدنيا . وقال الصيمري : من استيقظ للدنيا فهذا نومه ومن حلم بها فهذا انتباهه . وقال النوشجاني : ما رأيت غافلا في غفلته ولا عاقلا في عقله مثله لقد كان ينقض جانبا وهو يظن انه مبرم ويغرم وهو يرى انه غانم . وقال العروضي : اما انه لو كان معتبرا في حياته لما صار عبرة [في] مماته . قال الاندلسي : الصاعد في درجاتها الى سفال والنازل من درجاتها الى معال . وقال القومسي : من جد للدنيا هزلت به ومن هزل راغبا عنها جدت له انظر الى هذا كيف انتهى أمره والى أي حظ [2] وقع شأنه واني لاظن ان الرجل [116] الزاهد الذي مات في هذه الايام ودفن بالشونيزية أحفظهما [3] وأعز ظهيراً من هذا الذي ترك الدنيا شاغرة ورحل عنها بلا زاد ولا راحلة . وقال غلام زحل : ما ترك هذا الشخص استظهارا بحسن نظره وقوته ولكن غلبه ما منه كان وبمعونته بان . وقال ابن المقداد : ان ماء أطفأ هذه النار لعظيم وان ريحا زعزعت هذا الركن لعصوف . فقال أبو سليمان : ما عندي [4] في هذا الحديث أحسن مما سمعت أبا اسمعيل الخطيب الهاشمي لما نعاه على المنبر يوم الجمعة يقول في خطبته : كيف غفلت عن كيد هذا الامر حتى نفذ فيك وهلا اتخذت دونه جنة تقيك . ماذا صنعت باموالك والعبيد ورجالك

---

(١) لعله : عليه　(٢) لعله : حضيض　(٣) لعله أخف ظهرا (٤) في الاصل : عندك

والجنود وبخولك العتيد وبدهرك [1] الشديد هلاّ صانعت من عجل [2] على السرير وبذلت له من القنطار الى القطمير من أين أتيت وكنت شهما حازما وكيف مكنت من نفسك وكنت قويا صارما من الذى وطأ [3] على مكروهك وأناخ بكلكله على ملكك لقد استضعفك من طمع فيك ولقد جهلك من سلم العز لك ! كلا ولكن ملكك من أخسرك بالتمليك وسلبك من قدر عليك بالتهليك [4] ان فيك لعبرة للمعتبرين [5] وانك لآية للمستبصرين جاقى [117] الله جنبك عن الثرى وتجاوز عنك بالحسنى ونقل روحك الى الدرجات العلى وعرفنا من خلفك خيرا وعدلا يكثر من أجلهما الدعاء وثناؤنا عليك انه على ذلك قدير وهو عليه بصير [6]

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر في قيام صمصام الدولة بالملك ﴾

كانت سعادة عضد الدولة قوية في أحواله حتى في موته فانه انكتم أمره مع عظم قدره للسياسة التى تدمها في الامور والهيبة التى أودعها بنات الصدور واختياره من الاصحاب كل من كان بحسن التدبير خبيرا وبخدمة الملوك جديراً [7] فلما توفى أخفي خبره فأحضر الامير أبو كاليجار المرزبان الى دار

(١) لعله : وبدهائك (٢) لعله جملك (٣) لعله واطأ (٤) في الاصل بالتهر لك (٥) فى الاصل ان فيك لمعتبرين (٦) وفيه قال سبط ابن الجوزى في كتابه مرآة الزمان . بين كلام هؤلاء وأولئك المتقدمين المتكلمين على تابوت الاسكندر كما بين الملكين في المساواة (٧) قال يحيى بن سعيد الانطاكي في تاريخه : وفوض عضد الدولة تدبير الامور بعده الي أبي الريان حمد بن محمد منتسبا الى خلافة أبي منصور نصر ابن هرون النصراني لضرورات كانت بين المطهر وبينه فلما مضى المطهر لسبيله أفرد أبو منصور فاعتل عضد الدولة ودعى في علته ابنه الاكبر أبا الفوارس شرف الدولة وزين الملة من شيراز الي بغداد . وكان لعضد الدولة غلام خصي اسود يسمى شكر مستوليا على جميع أموره فلم يمكن أحد من أولاده الدخول عليه في علته مع تطلوها واستشعر شرف

المملكة كانه مستدعي من قبل عضد الدولة فلما حضر أخرج الامر اليه بولاية العهد والنيابة فى الملك واستخلاف أخيه أبي الحسين أحمد بن عضد الدولة بفارس على أعمالها . وكتبت عن عضد الدولة كتب بذلك الى كل صقع حسب العادة وضمنت ذكر القبض على أبي الريان حمد بن محمد وذم أفعاله واستدعاء (١١٦) أبي منصور نصر بن هرون الى الحضرة ليقوم مقامه في أعماله وأنفذ مع كل كتاب نسخة يمين بالبيعة لتؤخذ على الامراء والقواد وأتباعهم من الاصحاب والاجناد . وروسل الطائع لله فى ذلك وسئل كتب عهد له مقرون بالخلع والالقاب واللواء وامضاء ما قلده عضد الدولة من النيابة عنه فانعم بالاجابة ولقبه صمصام الدولة وشرفه بالعهد واللواء والخلع السلطانية وجلس صمصام الدولة جلوساً عاماً حتى قرئ العهد بين يديه وهناه بما تجدد لديه . ونظر أبو عبد الله ابن سعدان فيما كان أبو الريان ينظر فيه من أمور الاعمال واستمرت الحال فى اخفاء وفاة عضد الدولة الى أن تمهد الامر لصمصام الدولة

وفى هذا الوقت أزيل ما كان قرر على الارحاء والطحون وأجرى الناس على رسومهم القديمة .

وفيه خلع على ابي الحسين أحمد وأبي طاهر فيروزشاه ابني عضد الدولة للتوجه الى شيراز وأعمالها وخرج معهما أبو الفتح نصر اخو أبي العلاء عبيد الله بن الفضل برسم النيابة عن أخيه فى مراعاة أمرها

الدولة ان أباه قد مات وان شكرا يكتم موته تهجم ودخل الى الموضع الذى عضد الدولة متضجعا فيه فرآه في حال الحياة وخرج ولم يعد يدخل اليه فاستوحش أبوه منه ونفاه الى كرمان ومات عضد الدولة وأجلس في الامارة المرزبان صمصام الدولة وشمس الملة

﴿ ذكر ما جرى عليه أمرها [١] ﴾

لما أفضى الامر الى صمصام الدولة قبض على الامير أبي الحسين في الدار ببغداد ووكل به . وكانت والدته ابنة ملك الديلم [١] وشوكة الديلم قوية فعزمت على قصد الدار منكرة عند اجتماع الديلم فيها فاذا حصلت فيها استغاثت بهم وهجمت على صمصام الدولة وانتزعت ابنها منه . فعرف صمصام الدولة ذلك فخاف وراسلها رسالة جميلة ووعدها بالافراج عنه وتقليده أعمال فارس وفعل ذلك ووافقه على المبادرة ليعدل الى شيراز قبل ورود شرف الدولة أبي الفوارس اليها وأزاح علته في جميع ما يحتاج اليه . فسار الى الاهواز وعليها اذ ذاك أبو الفرج منصور بن خسره فلما وصل اليها طالبه بمال والتمس منه ثيابا وأشياء أخر فمنعه اياها ظاهرا وحملها اليه باطنا مراقبة لصمصام الدولة وانتسجت بينهما حالة جميلة واستقر أن يستوزره عند تمهد أموره فأشار عليه أبو الفرج بالمجيل الى أرجان فان وصلها وقد سبق شرف الدولة الى شيراز أسرع الكرة الى الاهواز . فلما وصل الى أرجان ورد الخبر بحصول شرف الدولة بشيراز فكر راجعا ودخل الاهواز وعول على أبي الفرج في مراعاة [١٢٠] الامور وتدبير الاعمال وأظهر المباينة وارتسم بالملك وتلقب بتاج الدولة وأقام الخطبة لنفسه وعرف صمصام الدولة ذلك فجرد اليه أبا الحسن على بن دبعش الحاجب في عسكر كثير . وندب الامير أبو الحسين أبا الاعز دبيس بن عفيف الاسدي للقائه [٢] فالتقيا بظاهر قرقوب ووقعت بينهما وقعة أجلت عن هزيمة ابن دبعش فأسر وحمل الى

---

(١) هو أبو الفوارس ماناذر بن جستان بن المرزبان السلار بن احمد بن مسافر كذا في مرآة الزمان في ترجمة سنة ٣٧١ (٢) وفي الاصل بالقباء .

الاهواز وشهره بها . فاستولى الامير أبو الحسين على ما كان معداً بالاهواز وبقلعة رامهرمز من الاموال وفرقها فى الرجال وصرف همته الى جمع العساكر وأرغبهم فمالوا اليه واثالوا عليه فاشتد أمره وسار [الى] البصرة فملكها ورتب أخاه أبا طاهر فيروز شاه بها ولقبه ضياء الدولة . وجري أمره على السداد ثلاث سنين الى ان انصرف الى اصبهان وقبض عليه شرف الدولة وحمله الى قلعة في بعض نواحي شيراز

وفي هذه السنة سار شرف الدولة أبو الفوارس شيرزيل من كرمان الي شيراز واستولى على الامر

﴿ شرح الحال فى ذلك (١٢٢) ﴾

لما توفي عضد الدولة كتب بعض الخواص بالخبر الي كرمان فسار شرف الدولة عند وقوفه على ذلك الى فارس كاتما أمره

﴿ ذكر رأى سديد في كتمان أمر حتي تم ﴾

فلما وصل الى اصطخر قدم ابراهيم ديلمسفار أمامه وأمره بالاسراع الى شيراز واخفاء خبره والقبض على أبي منصور نصر بن هرون ففعل ابراهيم ذلك ودخل دار أبي منصور على غفلة من أهلها ووجده فى مجلس نظره فقبض عليه ووكل به وقال للديلم : هذا أبو الفوارس فاخرجوا لخدمته. فتلقاه العسكر ودخل البلد واستقر . ثم اظهر وفاة عضدالدولة وجلس للعزاء وأخذ البيعة على أوليائه وأطلق لهم ما جرت به العادة من العطاء

بذا قضت الايام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد(١)

---

(١) البيت للمتنبي.

[و] أزال التوكيل عن كورتكين بن جستان وقلده اصفهسلارية عسكره وأفرج عن الاشراف أبي الحسن محمد بن عمر [١] وأبي أحمد الموسوى [١٢٢] [٢] واخيه ابي عبد الله وعن القاضى ابي محمد [ابن] معروف [٣] وعن ابي نصر خواشاذه بعد ان طال بهم الاعتقال وضعفت في خلاصهم الآمال وكما تطرق النوائب من حيث لا يحتسب فقد يأتى الفرج من حيث لا يرتقب . فأما أبو منصور ابن هرون فانه وكل امر مطالبته الي المعروف بالشابشتى الحاجب فعسفه حتي انه انتهى به الى أن ملا طستاً بالجمر ووضعه على صدره فمات

﴿ ذكر اتفاق عجيب ﴾

كان ابو منصور ابن هرون يبغض هذا الشابشتى في ايام نظره ويبعده من بين يديه ويقول : اني أكره هذا الرجل كرها لا أعرف سببه . حتى كان هلاكه على يده وبان ان تلك الكراهية لعلة خافية

---

(١) وفيه قال الحافظ الذهبي في ترجمته سنة ٣٦٠ : محمد بن عمر بن يحيي بن الحسين بن احمد بن يحيي بن الحسين بن الشهيد زيد بن على الزيدى العلوى أبو الحسن الكوفي نزيل بغداد كان رئيس الطالبين مع كثرة المال والضياع واليسار . . وكان وافر الجاه والحدمة ناب عن بني بويه ولما دخل عضد الدولة بغداد قال له :امنع الناس من الدعاء والضجة وقت دخولى . ففعل فتعجب من طاعة العامة له . ثم فيا بعد قبض عليه وأخذ أمواله نبقي في السجن مدة حتي أطلقه شرف الدولة فأقام معه وأشار عليه بطلب المال فتم لهذلك ودخل معه بغداد وعظم شأنه . فقيل أنه أخذت منه لما صودر الف الف دينار عينا (٢) وفي تاريخ الاسلام أنه الحسين بن موسى بن محمد بن موسي بن ابراهيم ابن موسي الكاظم الشريف الطاهر ذو المناقب ويلقب أيضاً بالاوحد والد الرضى والمرتضي ولد سنة ٣٠٤ وقد ولاه بهاء الدولة قضاء القضاة فلم يمكنه القادر بالله وولى النقابة خمس مرات وتوفي سنة ٤٠٠ (٣) هو عبيد الله بن احمد المعتزلي قاضي القضاة ولى بعد عمر بن اكثم وتوفي سنة ٣٨٨

﴿ ذكر اغترار بسلامة عاجلة آلت بصاحبها الى هلاك ﴾

كان سبب سوء رأي شرف الدولة في نصر بن هرون اغترار نصر بيومه وترك النظر لغده وانه كان يصابقه في أيام عضد الدولة [١٢٣] في آرائه ويستقصى عليه في أسبابه ثم لعداوة كانت بينه وبين أصحابه فهم لا يزالون يوغرون صدره عليه ويقبحون أثره لديه . ومن سوء التدبير التقصير بأهل بيت الملك فكم قد جرّ ذلك من وبال ؛ ولم يكن سبب هلاك محمد بن عبد الملك الزيات الوزير على يد المتوكل على الله الا ما سبق من تقصيره في ايام أخيه الواثق بالله والخبر مشهور [١] .

وفي هذه السنة اغتال أبو الفرج ابن عمران أبا محمد أخاه [٢] وانتصب في موضعه وكتب الى الحضرة يظهر الطاعة ويسئل التقليد والولاية

﴿ ذكر حسد حمل صاحبه على قطيعة رحم ﴾

كان أبو الفرج جاهلا متهورا فحسد أبا محمد على موضعه فأعمل الحيلة في الفتك به . واتفق ان أختهما اعتلت فقال أبو الفرج لابي محمد : ان أختنا مشفية فلو عدتها . ففعل وركب اليها ورتب أبو الفرج في دارها قوما ووافقهم على مساعدته فلما دخل أبو محمد وقف أصحابه لانها دار حرم . وحمل أبو الفرج سيفه على عادته ومشى من ورائه فلما تمكن منه [١٢٤] جرد السيف وضربه وخرج القوم الذين رتبهم فساعدوه على الاجهاز عليه ووقعت الصيحة فصعد أبو الفرج اليهم مطلعا عليهم من سطح الدار وقال : قد فات

---

(١) ليراجع تاريخ الطبرى ٣ : ١٣٧٠　(٢) هو الحسن بن عمران بن شاهين صاحب البطيحة قد تقدم ذكره وفي الاصل بن عمر بن أبان والصواب في الكامل لابن الاثير ٩ : ١٧ .

الامر ولكم عندي الاحسان . فسكتوا ثم وضع فيهم المطايا فاطاعوه وأمّروه .

وفي هذه السنة قتل أبو علي الحسن بن بشر الراعي بنصيبين وكان واليها وعاملها

﴿ ذكر سيرة عادت بخسران دنيا وآخرة ﴾

كان هذا ابن الراعي ظالماً شريرا وخبره في سمل عينه قد تقدم في كتاب تجارب الامم [1] ثم ولي نصيبين فأساء الى أهل البلد واستحل محارمهم فلما شاعت الاراجيف بعلة عضد الدولة وبعد ذلك بموته ثار العامة وقصدوا داره للفتك به فخرج في لباس امرأة وغمز عليه فأخذ وقتل ومثل به ثم أحرق . واستولى أحد الاكراد على البلد وورد الخبر بذلك فاخرج أبو سعد بهرام بن أردشير لتلافي الامر فلما وصل الى الموصل تقاعد به أبو المطرّف عاملها وازاح المستولي عليها منها ولحق بباد . وكان أمر باد قد قوي بميافارقين فعجل بهرام الى قصده واستهان بامره وواقعه فأجلت الوقعة عن هزيمة بهرام (١٢٥) وأسر جماعة من الديلم الذين معه . وشمت أبو المطرّف به وكتب الى أبي القاسم سعد الحاجب يطعن على بهرام ويقول : انه قد جني على الدولة وأطمع باداً واني قد عملت على مكاتبة باد واعلامه موقع الخطأ في المكاشفة . فأجابه سعد بجواب يقول فيه : أنا وارد « والسيف أصدق أنباء من الكتب » . فلما وصل الى أبي المطرف الجواب قال

سيوف نمري يالوي بن غالب حداد ولكن أين بالسيف ضارب

فبلغ ذلك سعداً فاحفظه وأسرّ في نفسه عليه

(١) ليراجع ما تقدم ٢ : ٣٧٧

﴿ ذكر خبر باد ومبدأ أمره ﴾

باد لقبٌ وهو أبو عبد الله الحسين بن دوشنك من الاكراد الحميدية وكان يتصعلك كثيراً ويمضي الى الثغور ويغزو بها دائما وكان فظيع المنظر عظيم الهيكل . فلما حصل عضد الدولة بالموصل حضر على الباب بوساطة زيار بن شهراكويه [1] ثم هرب

﴿ ذكر فراسة دلت على دهاء [126] ﴾

يقال انه لما خرج من بين يدى عضد الدولة مضى على وجهه هاربا فسأله أصحابه عن سبب هربه فقال : شاهدت رجلا ظننت ان لا يبقى عليّ بعد حصولى فى يده . وطلبه عضد الدولة فى أثر خروجه آمرا بالقبض عليه وقال : هذا رجل ذو باس وبطش وشرّ وغدر ولايجوز الابقاء عليه . فأخبر بهربه وحصل بثغور ديار بكر وأقام بها الى ان استفحل أمره . ثم خرج اليه أبو القاسم سعد الحاجب فكان من أمره معه ما سيأتى ذكره فى موضعه

﴿ ودخلت سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة ﴾

وفيها ركب صمصام الدولة الى دار الخلافة وخلع عليه الخلع السبع والعمة السوداء وسُوّر وطُوّق وتُوّج وعُقد له لواآن وحمل على فرس بمركب ذهب وقيد بين يديه مثله وقرئ عهده بتقليده الامور فيما بلغت الدعوة من جميع الممالك وعاد الى داره . وجددت له البيعة وأطلق رسومها وأقيمت الدعوة وغُيّرت السكة

---

(١) هو أبو الحرب ذكره ابراهيم الصابى فى رسالة كتبها عن صمصام الدولة فى سنة ٣٧٥ الى ابى القاسم سعد الحاجب وهو مقيم بنصيبين على محاربة باد الكردى يأمره فيه ان ينفذ الى الحضرة الوثيقة المكتتبة على باد

وفيها خلع على أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان خلع الوزارة وكان رجلا باذلا لعطائه مانعا للقائه فلا يراه أكثر من يقصده الا ما بين نزوله من درجة داره الى زبزبه ومع ذلك فلا يخيّب طالب احسان منه في أكثر مطالبه لكن يسير البشر أملك للقلوب من كثير البر . فبسط يده فى الاطلاقات والصلات وتقرير المعايش والتسويغات وأحدث من الرسوم استيفاء العشر من جميع ما نسبب به الاولياء والكتّاب والحواشي من أموالهم وارزاقهم والتوقيع في آخر الصكاك الى العمال بمقاصّة أربابها به وجمعه عليهم وأخذه منهم وصرفه فى مشاهرات غلمان الخيول ونفقاتهم . وانضاف الى ضيق خلقه ما اتفق فى وقت نظره من غلاء سعر فتطيرت العامة ورجموا زبزبه وشغبوا الديلم عليه لاجله وهجموا على نهب داره وانتهت الحال الى ركوب صمصام الدولة الى مجتمعهم حتى تلافاهم وردّهم .[127]

وفيها ورد زيار بن شهراكويه وأبو القاسم سعد بن محمد الحاجب عائدين من جرجان فندب أبو القاسم الى الموصل لقصد باد وتلافى خطئه وجدد معه عسكرا اجتهد في عدته وعدّته .

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر سعد بن محمد مع باد [128] ﴾

سار سعد فلما حصل بالموصل قبض على أبي المطرّف عاملها وفي نفسه عليه تمثله بالبيت الذي تقدم ذكره واعتقله بالموصل . ويمم سعد الى لقاء باد وهو واثق باقتناصه وربّ واثق خجل فتوافقا على خابور الحسينية فانهزم سعد واستولى باد على جميع الديلم فاسر بعضا وقتل بعضا ثم ضرب رقاب الاسرى صبرا وسار الى الموصل . وقد كان سعد سبقه اليها عند الهزيمة فثار العامة به وخرج ناجيا بنفسه حتى بلغ تكريت وكتب الى الحضرة بخبره فأجيب

بان يقيم في موضعه

﴿ ذكر حصول باد بالموصل وافراجه عن أبي المطرّف ﴾

لما حصل باد بالموصل أفرج عن أبي المطرف واستوزره . وقويت شوكته بما تم له من كسر عساكر السلطان دفعة بعد أخرى واستولى على الاعمال وجبي وجوه الاموال وخرج عن حكم البوادي والمتطرفين وصار في اعداد الخوارج المتجوفين وأرجف بانه حدّث نفسه باخذ سرير الملك وقامت له هيبة في النفوس وعظم ذلك على صمصام الدولة وابن [١٢٩] سعدان وزيره وقطعهما الهم به عن سائر الامور . ولم يبق في الحضرة من يندب لهذا الامر مع استفحاله الا زيار بن شهراكويه فوقف على المسير اليه وخلع عليه واستظهر له في المدد والعُدد وأخرج معه شُكرا في الغلمان الاتراك وسار الى الموصل وانضم اليهما أبو القاسم الحاجب من تكريت وواقعوا باداً في صفر سنة أربع وأجلت الوقعة عن انهزام باد وأسر كثير من أقاربه وأصحابه وورد الخبر بذلك فسكن ما عليه الناس من الاراجيف به . ثم وصل الاسارى الى بغداد فشهروا

﴿ ذكر ما جرى عليه أمرهُ بعد الهزيمة ﴾

لما انهزم باد وخيّم زيار بظاهر الموصل خرج سعد الحاجب الى الجزيرة من الجانب الشرقي في عدد وافر وحصل باد في أطراف بلاده يجمع الرجال الى نفسه ليقصد ديار بكر . فرأى ابن سعدان ان ؟ ب الى سعد الدولة ابن حمدان وبذل له تسليم ديار بكر اليه على ما كانت مع أبيه واستدعى منه تجريد أصحابه اليها قبل استيلاء باد عليها فانفذ ابن حمدان أصحابه الى ميافارقين فاقاموا مديدة ثم انصرفوا ولم يكن لهم [١٣٠] طاقة بمقاومة باد وملك باد

ميافارقين وسار الى تل فافان مرهبا وراسل في الصلح وتثاقل العسكر الذي مع سعد عن المسير معه الى لقائه فعمل على العدول الى الحيلة ودس رجلا لقتل باد غيلة [1]

﴿ ذكر حيلة جيدة لو وافقت قضاء ﴾

يقال ان الرجل الذي دسّه دخل على باد في خيمته ليلا ووصل الى موضع منامه وضربه بالسيف ضربة على رجله ظن انها على رأسه وصاح باد وهرب الرجل فلم يُلحق ومرض باد لتلك الضربة حتى أشفي واجتهد سعد في انتهاز الفرصة منه عند مرضه فلم يطاوعه من معه . وكان شُكر قد توجه مع الاتراك الى نصيبين على ان يكون مسيرهم ومسير سعد من الجانبين فاضطرب من كان معه من الاتراك عليه . وراسل باد زيارا وألقى عليه نفسه وردّ أمره اليه فمال زيار للصلح غير مظهر للميل مراقبة لابي القاسم سعد وأشار على باد بسلوك سبيل الاستصلاح معه أيضا . فلما أعيت سعدا الحيل وكثرت عليه الاسباب والعلل وعلم ان كثير الاجتهاد مع معاندة الايام ضائع وقليله مع مساعدتها نافعٌ صالح بادا على (١٣١) ان تكون له ديار بكر والنصف من طور عبدين من غربيها وعاد سعد الى الموصل وزيار بها وانحدر زيار الى الحضرة وأقام سعد بمكانه . وكان أمر هذه الوقعة والصلح في سنة أربع ولكن سياقة الحديث اقتضت ايراده هنا في اخبار سنة ثلاث

وفي هذه السنة قتل المظفر بن علي الحاجبُ أبا الفرج محمد بن عمران وأجلس أبا المعالي ابن أبي محمد الحسن بن عمران في الامارة ثم استولى المظفر على الامر بعد .

---

(١) وفي الاصل : لغيلة

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر في ذلك ﴾

قد تقدم ذكر ما كان من أبي الفرج في قتل أخيه أبي محمد فلما جلس في الامارة قدم القوم الذين ساعدوه وجفا مشايخ القواد فاحفظ الاكابر تقدم الاصاغر . وكان المظفر أحد قواد عمران الذين أبلوا معه في حروبه فاتفق هو والمعروف بابن الشعراني اصفهسلار الجند وقالا لشيوخ القواد : قد فعل هذا الرجل ما فعل من استحلال محرّم أخيه وصبرنا عليه مع وجوب حقّه وحق أبيه ولم يقنعه سوء فعله حتى استأنف حط منازلنا وتقديم أراذلنا ولا تأمن ان يتعدى الامر من [١٣٢] بعد الى ازالة نعمتنا واطّراح حرمتنا . فاتفقت كلمة الجماعة على كراهيته ثم تكفل المظفر لابن الشعراني بامر قتله وتكفل ابن الشعراني بامر جنده وتواعدا على ذلك

﴿ ذكر تهوّر سلم صاحبه بالاتفاق ﴾

ثم ان أبا الفرج ركب من دار الامارة الى بناء استحدثه وعرف المظفر خبره فقصده الى الموضع ودخل عليه فلما رآه أبو الفرج قال له : فيم حضرت؟ قال : علمتُ ركوب الامير فاحببت خدمته . وحضر من أعطاه كتابا فلما أخذه وتشاغل بقراءته جرد المظفر سيفه وثار اليه فضربه . وبادر [١] من كان بين يديه من خواصه الى المظفر بسيوفهم وهو كالجمل الهائج يدافعهم عن نفسه وأكبّ على أبي الفرج ضربا حتى فرغ منه وقد أصابته جراحة في يده وضربات في ذباب سيفه . ونزل في ورجيته [٢] الى المنصورة التي بها دار الامارة وأخرج أبا المعالي ابن أبي محمد ابن عمران وهو صغير السن فاقامه أميرا وأطلق المال وأرضى الجند . ومضى أبو الفرج بعد أخيه سريعا صرع

---

(١) وفي الاصل : وباد (٢) كأنه مشتق من ورج كلمة فارسية معناها المرتبة

أخاه فاصبح بعده صريعا وباع دينه بدنياه فخسرهما جميعا وكذلك كل قاتل مقتول وكل خاذل[١٣٣] مخذول وكن كيف شئت فكما تدين تدان .

﴿ ونعود الى ذكر ما جرت عليه الحال بعد ذلك ﴾

لما فعل المظفر ما فعله أظهر الصرامة وقيل له في التوثقة من العسكر بالايمان فقال : التوثقة سيفي من استقام غمدتهُ عنه ومن اعوجّ سللتهُ عليه . وكتب الى الحضرة بما فعله من أخذ ثار أبي محمد واعادة الامر الى ولده[١] وسأل في تقليده وأنفذ من استحلف صمصام الدولة له ولنفسه فأجيب الى ذلك جميعه وأخذ المظفر أمره بالرهبة وقتل الشعراني مع بضعة عشر نفسا من القواد الذين ساعدوه في يوم واحد . ومضت أيام والمظفر يتولى الامور وأبو المعالي صبي لا فضل فيه ولا تدبير ثم نازعت المظفر نفسه الى التردى برداء الامارة والتفرّد بها لفظا ومعنى

﴿ ذكر منصوبة عملها المظفر في اظهار أمارته ﴾

أمر كاتبه أن يكتب كتابا عن السلطان اليه بالتعويل في تدبير الامور[١٣٤] عليه ثم أمره باحضار ركابي غريب وتسليم الكتاب اليه ومواقفته على الدخول بالكتاب عند احتفال المجلس بالناس مغبّر الثياب والوجه كأنه بشعث الطريق ففعل ذلك . فلما كان في غد ذلك اليوم واجتمع الناس دخل الركّابي على تلك الصورة وأوصل الكتاب اليه فلما أخذه المظفر قبّله ودفعه الى الكاتب فقرأه وأظهر الاستبشار وقال لابي المعالي في الوقت : قم الى أمك . وتظاهر بالامارة ثم أحضر الجند وتوثّق منهم (وقد كان أباد من خاف جانبه ولم يبق الا من أمن بوائقه) وتلقب بالموفّق واستمال القلوب

---

(١) وفي الاصل : والده

وعدل عن الطريق الاول

﴿ ذكر ما اعتمده من حسن السيرة ﴾

لما استتب له الامر على ما أراد حمل الناس على محجة العدل وخفض لهم جناح اللين وكف يده عن القتل واستعمل الرأفة بعد تلك الفظاظة والرحمة بعد تلك القساوة . ورد على أرباب الضياع ما كان قبضه عمران وولده منهم وأجرى على أبي المعالي وأمه جراية واسعة وأقرهما في دارهما مدة طويلة ثم أمرهما بالانصراف فانصرفا الى واسط وكانت جرايته (١٣٥) دارّة عليهما مع بعدهما عنه . ومضت مدة فعهد في الامر الى أبي الحسن علي بن نصر الملقب أخيرا بمهذب الدولة ولقبه اذ ذاك بالامير المختار والى أبي الحسن علي بن جعفر من بعده وهما ابنا أختيه

وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة مؤيد الدولة بجرجان وجلس صمصام الدولة للعزاء به وجاءه الطائع لله معزيا

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر في وفاة مؤيد الدولة والى ان ﴾
﴿ استقرت الامارة لفخر الدولة من بعده ﴾

لما انصرفت عساكر خراسان الواردة مع فخر الدولة وقابوس الانصراف الذي تقدم ذكره استقر مؤيد الدولة بجرجان وجعلها داره وأقام أبو الحسن علي بن كامة عنده . واتصلت الاخبار باشتداد علة عضد الدولة والعهد على صمصام الدولة في الملك من بعده وأخذ البيعة له على جنده وتفرقة الاموال بالحضرة على الرجال فشغب الجيش بجرجان وأفردوا خيمهم الى ظاهر البلد والتمسوا الزيادة والاحسان (١٣٦) وتوسط زيار بن شهراكويه والحسن بن ابراهيم الامر معهم حتى سكنوا وعادوا . فاستأذن بعد ذلك زيار

ومن كان معه في المسير الى بغداد فرفق مؤيد الدولة بهم ايثارا لمقامهم فلم يفعلوا نزاعا الى أوطانهم مع ما تجدد لهم من أمر صمصام الدولة على ما قد ذكر فقضى عند ذلك حقوقهم وأذن لهم في الانصراف فانصرفوا شاكرين

﴿ ذكر ما دبره مؤيد الدولة في الاستيلاء على الملك ﴾
﴿ وحالت المقادير دونه ﴾

لما علم مؤيد الدولة بوفاة عضد الدولة سمت نفسه للاستيلاء على الممالك والقيام مقامه فيها وكان قد أنفذ أبا على القاسم الى فارس متحملا لرسالة الى الامير أبي الفوارس ابن عضد الدولة فورد كتاب أبي على هذا عليه بوقوع الخطبة له في بلاد فارس وثبوت اسمه على الدينار والدرهم . وقدم أبو نصر خواشاذه ورسول من الامير أبي الفوارس اليه فلبث عنده أياما وعاد بالجواب ثم راسل أخاه فخر الدولة بالوعود الجميلة (١٣٧) وبذل له ولاية جرجان وتقويته بما يحتاج اليه من الاموال فلم يسكن فخر الدولة الى قوله وأقام بموضعه . وبينا الحال على ذلك اذ جاءه الامر الذي لا يغلب والنداء الذي لايحجب فخضع لامر الآمر مطيعا ولبّى دعوة الداعي سريعا قضية الله سبحانه في الاولين والآخرين ومشيئته في الذاهبين والغابرين قال الله تعالى : لقد أحصاهم وعدّهم عداً وكلّهم آتيه يوم القيامة فرداً

﴿ ذكر كلام سديد للصاحب ابن عبّاد ﴾

ولما عرضت لمؤيد الدولة علة الخوانيق واشتدت به قال له الصاحب : لو عهد أمير الامراء عهداً الى من يراه سكن اليه الجند الى ان يتفضل الله تعالى بعافيته وقيامه الى تدبير ممالكه لكان ذلك من الاستظهار الذي لاضرر فيه . فقال له : أنا في شغل عن هذا وما للملك قدرمع انتهاء الانسان

الى مثل ما أنا فيه فافعلوا ما بدا لكم . ثم أشفي فقال له الصاحب : تُب يامولانا من كل ما دخلت فيه وتبرأ من هذه الاموال التى لست على ثقة من طيبها وحصولها من حلها واعتقد متى أقامك الله وعافاك صرفها في وجوهها وردّ كل ظلامة عرفتها و قدرت على ردها . ففعل[١٣٨] ذلك وتلطف به وقضى نحبه وكان الصاحب اقتدى في هذا القول بقصة ابن أبى دؤاد مع الواثق بالله رضى الله عنه الا أن تلك قول وفعل

﴿ خبر حسن فيه تنبيه على فعل خير [١] ﴾

يقال انه لما اشتدت علة الواثق التى توفى فيها وكان في حبسه جماعة من الكتاب والعمال وهم في ضنك شديد من المطالبة دخل ابن ابى دؤاد عليه وسأله عما يجد فشكا الواثق بالله شدة ما به اليه فقال : يا أمير المؤمنين ان في حبسك جماعة وراءهم عدد كثير من العيال وهم في ضر وبؤس ولو أمرت بالافراج عنهم لرجوت لك الفرج من هذه الشدة . فقال له : أصبت . وأمر بذلك فأفرج عنهم فلما أصبح حضر ابن أبى دؤاد عنده على رسمه فقال له الواثق : انى وجدت البارحة بعض الخف . فقال ابن أبى دؤاد : وفق الله لامير المؤمنين فقد رفعت البارحة ألوف من الايدى بالدعاء له كانت ترفع من قبل بالدعاء عليه هذا وقد عاد من أفرج عنهم الى دور شعثة وعيال جياع وأحوال مختلة و وقت تطلب ضياعهم [١٣٩] المقبوضة وأعيدت اليهم أموالهم المأخوذة لكان الدعاء أكثر والاجر أعظم . فأمر الواثق عند ذلك بتسليم ضياعهم اليهم واعادة ما أخذ من أموالهم وخرج الامر بذلك على يد ابن أبى

---

(١) وردت هذه الحكاية رواية عن على بن هشام فى كتاب الفرج بعد الشدة ١ : ٩٩ ـ ٩٨

دؤاد فقام بتمامه في يومه وأحيا الله أقواما على يده . ولم يكن قد بقي للواثق أجل فمضي لسبيله واستصحب أجر ذلك الفعل معه وفاز ابن أبي دؤاد بهذه المنقبة بقية الدهر . ونعود الي سياقة الحديث

﴿ ذكر ما دبره ابن عباد بعد وفاة مؤيد الدولة ﴾

كتب في الوقت الى فخر الدولة بالاسراع وأرسل أخاه وبعض ثقاته ليستوثق منه باليمين على الحفظ والوفاء بالعهد . وتجرد الصاحب لضبط الامر ووضع العطاء فى الجند ونصب أبا العباس خسرفيروز بن ركن الدولة في الامارة تسكينا للفتنة وازالة للخلف في عاجل الحال وكتب الناس مثني [١] وفرادى الى فخر الدولة بالطاعة وهو يومئذ بنواحي نيسابور على حالة مختلفة [٢] واضاقة شديدة

وقد أنفذ نصر بن الحسن بن فيروزان [٣] الى الصاحب بخارا مع من نفذ من جهة قابوس من (١٤٠) وجوه قواده حين استدعاهما صاحب بخارا للخلف الواقع بينه وبين ابن عمه عبد الملك بعقب انهزام عساكره بباب جرجان فاعتذر اليه في تاخرهما عنه بنفوسهما وأنفذ اليه أصحابهما المذكورين فلما ورد الى فخر الدوله كتاب ابن عباد وتلاه كتب وجوه العساكر أولا فأولا سار على الفور وعرف قابوس الخبر فارسل اليه : أن بيننا ما أريد مفاوضتك فيه . فأجابه : بأنني قد توجهت ولا قدرة لى على العود بعد التوجه و مهما أردت فاكتب به . وبادر يطوى المنازل نحو جرجان

---

(١) وفي الاصل : مثنى الامارة (٢) لعله : مختلة (٣) هو خال فخر الدولة وله قصة مع الصاحب ابن عباد : ارشاد الاريب ٢ : ٣٠٦

﴿ ذكر وصول فخر الدولة الى جرجان ﴾
﴿ واستقراره في دار الامارة ﴾

لما ورد الخبر بقرب وصول فخر الدولة الي جرجان قال الصاحب ابن عباد للجند : انما أخذت البيعة عليكم لابى العباس خسر فيروز على انه خليفة أخيه فخر الدولة فبادروا الى تلقيه وخدمته . فبدوا عند ذلك أبا الحسين محمد بن علي بن القاسم العارض للاستباق بجماعتهم فسار اليه ولقيه بالتعزية باخيه والتهنئة بالملك والتوثق (١٤١) للاولياء فأكرمه فخر الدوله وتقبل منه ما أورده . وبادر الناس بعد أبي الحسن الى خدمته فوجاً فوجاً وهو يقربهم ويدنيهم ثم تلقاه الصاحب أبو القاسم ابن عباد مع الامير أبي العباس خسر فيروز وأكابر القواد فرحب به فخر الدولة وبالغ في اكرامه وتناهى في اعظامه ونزل بظاهر المدينة في الموضع الذي كان مؤيد الدوله معسكراً فيه عند قتال عسكر خراسان ثم دخل البلد من غده وأخذ البيعة له بالطاعة والخالصة واستقرت الامارة عليه .

وكذلك الدهر ينقلب من حال الى حال وينتقل باهله بين أسفل وعال والبؤس والنعيم فيه الي زوال

﴿ ذكر كلام اختبر به ما في نفس فخر الدولة ﴾

لما انتظم الامر لفخر الدولة قال له الصاحب : قد بلغك الله يا مولاى وبلغني فيك ما أمله لنفسك وأمله لك ومن حقوق خدمتي عليك اجابتي الى ما أوثره من ملازمة داري واعتزال الجندية والتوفر على أمر المعاد . وقال له: لا تقل أيها الصاحب هذا فاني ما أريد الملك (١٤٢) الا لك ولا يجوز أن يستقيم أمري الا بك واذا كرهت ملابسة الامور كرهت ذلك بكراهيتك

وانصرفت . فقبل الارض شكرا وقال : الامر أمرك . وتلا ذلك انه خلع عليه خلع الوزارة وأ كرمه منها بما لم يكرم وزير بمثله

ثم عمل فخر الدولة والصاحب جميعاً على أخذ علي بن كامة والاستيلاء على ماله وأعماله وعلما أنهما لا يقدران عليه لجلالة قدره فعدلا الى أعمال الحيلة في أمره

﴿ ذكر حيلة تمت في قتل علي بن كامة ﴾

اجتمع رأيهما على مواقفة شرابي كان له على سمه فوصلا اليه وقررا أمور ذلك واتفق ان علي بن كامة عمل دعوة واحتفل فيها واحتشد وسأل فخر الدولة والصاحب الحضور عنده فواعداه بذلك وراسلا الشرابي بفعل ما تقرر معه في هذا اليوم وأعطياه سما موجبا . ودخل علي بن كامة خزانة الشراب يتخير الاشربة ويذوقها فطرح الشرابي السم في بعض ما ذاقه فأحس في الحال باضطراب جسمه فدخل بيتا وطرح نفسه فيه وألقى عليه كساه وعلم فخر الدولة (١٤٣) خبره فتأخر عن الحضور . وأطعم الناس وسقوا وتركه أصحابه في موضعه وعندهم انه نائم ولم يقدموا على انباهه فلما كان من غد رأوه على حملته فدخلوا اليه فوجدوه ميتاً . فأنفذ فخر الدولة الى داره من توكل بها والي خزائنه من استظهر عليها والى قلاعه من أخذها والى أعماله من تولاها وكان لعلي بن كامة أولاد فلم يتم لهم الامر مع فخر الدولة .

وليس العجب من فخر الدولة في سم الرجل كالعجب من الصاحب الذى سال بالامس في الخبر الذي تقدم هذا الخبر في الاذن له في ملازمة داره والتوفر على أمر المعاد

ووصل أبو نصر شهر بسلار بن مؤيد الدولة الى حضرة فخر الدولة في هذا الوقت فا كرمه

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان أبو نصر باصبهان مقيما نائبا عن أبيه مؤيد الدولة في ولده وحرمه فلما عرف خبر وفاته بادر بمن خف معه يريد جرجان فبلغه في بعض الطريق خبر استقرار فخر الدولة في الامارة فأقام بموضعه وكاتبه يستأذنه في الاتمام الى حضرته فاجابه بالجميل وصلة [١٤٤] الرحم وأمره بالاتمام والمسير فسار ووصل الي جرجان فاكرم غاية الاكرام

وقدم أبو على القاسم بن علي بن القاسم عائدا من فارس مع المال المحمول وقد كان مؤيد الدولة أنفذه اليها حسب ما تقدم ذكره . وأنفذ فخر الدولة أبا القاسم القاضي العلوى رسولا الى الامير أبي الفوارس ابن عضد الدولة وأقام بجرجان يجمع الاموال ويملأ بها القلاع الي أن ورد اليه تاشي هاربا من خراسان فانزله بجرجان وترك عليه ارتفاعها وانصرف هو الى الرى وأقام تاشى بها الي ان توفى وقيل مات مسموما

وفي هذه السنة شغب الاتراك ببغداد وبرزوا متوجهين الي شيراز بعد ان كانت طائفة منهم قد سارت قبلهم ولحقت بفارس . وركب زيار بن شهراكويه في أثر هؤلاء ورد أكثرهم وأخذ أبا منصور ابن أبي الحسن الناظر وكان قد خرج هاربا وولده مع شرف الدولة لم يقبض عليه فرد بعد ان جرح لانه مانع عن نفسه واعتقل . وكان خال ولد أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف فلما عرف عبد العزيز هربه من الليل خاف أن يسعي أبو عبد الله ابن سعدان به الى صمصام الدولة ويوغر صدره عليه وينسب هربه اليه فرأى أن يسبق باظهار ابراء الساحة قبل أن [١٤٥] ينتهز عدوه الفرصة

﴿ ذكر رأي سديد وقع لعبد العزيز بن يوسف ﴾
﴿ أمن به ما خاف وقوعه ﴾

وذلك انه غلس في صبيحة تلك الليلة الى الدار وجلس في الدهليز وراعي قيام صمصام الدولة من منامه وانتظر حضور علي ابن أبي علي الحاجب وكان له صديقا فلما حضر الحاجب خرج اليه عبد العزيز بما في نفسه وسأله الاستئذان له على خلوة قبل كل أحد فدخل الحاجب وأعلم صمصام الدولة بحضوره فاذن له فلما حضر قبل الارض وبكا بكاء شديدا وقال : قد خدمت عضد الدولة وخدمتك ولم تعهد مني الا الصدق والمناصحة . وحلف بطلاق صاحبته أخت أبي منصور وبالايمان المغلظة ان كان عرف خبر أبي منصور فيما عمل عليه من الهرب أو شاوره فيه . فسكن منه صمصام الدولة وخاطبه بما طابت نفسه به وانصرف من بين يديه وقد زال اشفاقه وخوفه . وحضر من الغد ابن سعدان وأشار الي أبي القاسم عبد العزيز في هرب [(١٤٦)] أبي منصور في أثناء كلامه اشارة لم يتقبلها منه صمصام الدولة وقال : أبو القاسم بريء من هذا الامر ولا علقة له فيه . فامسك حينئذ ابن سعدان وزادت العداوة بينهما وجد أبو القاسم في افساد حال ابن سعدان حتى تم له القبض عليه والانتصاب في مكانه حتي يأتي شرح ذلك من بعد باذن الله تعالى

﴿ ودخلت سنة اربع وسبعين وثلثمائة ﴾

وفيها شرف فخر الدولة من حضرة الطائع لله بالخلع السلطانية والعهد واللواء وزيادة اللقب وسلم جميع ذلك الي أبي العلاء الحسن بن محمد بن سهلويه رسول فخر الدولة

﴿ شرح ما جرى عليه الامر فى ذلك ﴾

لما توفى مؤيد الدولة وانتصب فخر الدولة فى موضعه شرع أبو عبد الله ابن سعدان فى اصلاح ما بين صمصام الدولة وبينه وكاتب الصاحب أبا القاسم ابن عباد فى ذلك وتردد بينهما ما انتهى الى ورود أبى العلاء ابن سهلويه للسفارة فى التقرير وتنجز الخلع السلطانية لفخر الدوله [١٤٧] فاكرمه أبو عبد الله ابن سعدان اكراما بالغ فيه وأقام له من الانزال وحمل اليه من الاموال ما جوزيه حدّ مثله . واتصلت مدة مقامه من المكاتبات ما دل على اظهار المشاركة بين الجندين فى كل تدبير وتقرير وتجديد السنّة التى كانت بين الاخوة عماد الدولة وركنها ومعزّها من الاتفاق والالفة . وسدّى الصاحب فى ذلك قوله وألحم وأسرج فيه عزمه وألجم حتى انه كان لا يجرى أمر ولا بال بحضرة فخر الدوله الا كتب به مساهما ولا يعرف حالا يتعلق بمصلحة صمصام الدولة الا أشار بها مناصحا

﴿ فى جمل من كتب الصاحب بشرحه الى الحضرة ﴾

ذكر وصول أبى سعيد أحمد بن شبيب صاحب جيش خوارزم رسولا من أمير خراسان متحملا من الرسالة أعطف الاقوال. وورود كتب أبي [العباس] تاش (١) مشتملة من التقرب والاخلاص على أجمل الاقوال وان الخطاب دارّ مع الرسول الوارد في الصلح على قواعد أولها طاعة الخلافة (فهى التى لا دين الا بها ولا دنيا الا معها) ثم ان لا يفرج لهم عن شيء من هذه [١٤٨] البلاد ولا يكون منهم في باب تنفيس قول أو فعل في معونة واسعاد وان يُردّ الى بخارا ويستخدم فى أبعد الاطراف وان يقتصر على المال المبذول الذي يجري

(١) ليراجع التاريخ اليميني ١ : ١٣٤

مجرى المعونة من أمير المؤمنين لهم على ما سد[1] اليهم من الثغور. وانه قد أخرج مع الرسول العائد أبو سعد صالح بن عبد الله فاذا استتب التقرير واستحصف العقد أنفذت نسخته على شروطه الى بغداد حسب ما يقتضيه التمازج بين الحضرتين.

﴿ ومما نطقت به الكتب من المشورة والرأى ﴾

الحث على استمالة الامير أبي الحسين واستخلاص طاعته وان فخر الدولة قد راسله وخاطبه في ذلك بما يجري مجرى التقدمة والتوطية ومتى أريد التكمل بالتمام فهو على غاية الطاعة. وقد أثبت على الدينار والدرهم اسم فخر الدولة وكتب من البصرة باقامة الدعوة كما أقامها بالاهواز وليس يتجاوز ماينهج له ولا يتعدّى مايحكم به والصواب طلب الوازر والتعاطف وترك التباين والتخالف. ولا يقال هذا الامن طريق ابتغاء المصالح اصمصام الدولة وجمع الاهواء (١٤٦) المتفرقة اليه ورد القلوب النافرة عليه.

ثم لما طال مقام ابني سهلويه وتمادت به الايام ساء ظن فخر الدولة والصاحب ووردت كتب على ابن سعدان بالمعاتبة. وكان السبب في تأخر ذلك خطبٌ باد واتساع الخرق فيه وشغل ابن سعدان به عن كل أمر ينجزه وارب يقتضيه فلما ورد الخبر بهزيمة باد واستقر الامر فى ذلك وأسفر الخطب عن المراد كما قد تقدم ذكره خلا ذرع ابن سعدان وخوطب الطائع لله على ما يجدده لفخر الدوله من الخلع السلطانية فاجاب. وجلس على العادة فى أمثالها وحضر أبو العلاء الرسول وأحضرت الخلع السبع والعمة السوداء والسيف والطوق والسواد واللواء والدابتان بمركبي الذهب وقرىء العهد

(١) لعله: أسند

بتولية الاعمال التي في يده وأضيف الى لقبه الاول فلك الامة وسُلّم جميعه الى أبي العلاء . وضُم اليه أبو عبد الله محمد بن موسى الخازن وخرجا الى جرجان وساما ذلك وعادا وأقام أبو العلاء برسم النيابة عن فخر الدولة بالحضرة الى آخر أيام صمصام الدولة .

وفي هذه السنة ورد كتاب أبي بكر محمد بن شاهويه مبشراً باقامة الدعوة لصمصام الدولة بعمان [١٥٠]

﴿ ذكر ماجرى عليه الامر بعُمان الى ان عادت ﴾

﴿ الى شرف الدولة ﴾

كان المتولى بها في الوقت أبو جعفر أستاذ هرمز بن الحسن [(١)] من قبل شرف الدولة فما زال ابن شاهويه يفتل له في الذروة والغارب حتى أماله الى الحملة وازاله عما كان عليه من الانحياز الى شرف الدولة وكان صغوه مع من ببغداد لكون أبي علي الحسن ولده بها فجمع الاولياء والرعية بعمان على طاعة صمصام الدولة وخطب له على منابر تلك الاعمال . ووصل الخبر الى بغداد فاظهرت المسرة وجلس صمصام الدولة للتهنئة وكتب كُتب البشائر الى أصحاب الاطراف على العادة وأنفذ الى أستاذ هرمز العهد بالتقليد مع الخلع والحملان . وأحضر ابنه أبو علي الحسن وخلع عليه ونقله من رتبة النقابة الى رتبة الحجبة . ولما عرف شرف الدولة عصيان أستاذ هرمز أخرج اليه أبا نصر خواشاذه في عسكر استظهر فيه ووقعت بينهما وقعة أجلت عن ظفر أبي نصر وحصول أستاذ هرمز أسيرا تحت اعتقاله واستيلائه على رجاله وأمواله . وعند بلوغ أبي نصر ما أراده من ذلك [١٥١] رتّب بعمان

(١) وفي الاصل « الحسين » وهو غلط

من يراعيها ويشحنها بمن يحميها وعاد الى فارس ومعه أستاذ هرمز فشهر بها ثم قرّر عليه مالا ثقيلا وحمل الى بعض القلاع مطالبا بتصحيحه

وفى هذه السنة أفرج شرف الدولة أبو الفوارس عن أبي منصور محمد ابن الحسن بن صالحان وعن أبي القاسم العلاء بن الحسن وعن أبي الحسن الناظر أخيه واستوزر أبا منصور من بينهم وردّ الامور الى نظره

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر فى اعتقالهم والافراج عنهم ﴾
﴿ والتعويل على أبي منصور في الوزارة ﴾

ولما وصل شرف الدولة أبو الفوارس الى شيراز قبض على نصر بن هرون كما تقدم ذكره واستوزر أبا القاسم العلاء بن الحسن فقصر أبو القاسم ف أمور الحواشي والخواص وهم أفسدوا رأى شرف الدولة فيه وأغروه به وبأخيه أبي الحسن الناظر على سخيمة كانت فى نفس فخر[1] الدولة على أبي الحسن فقبض بعد مدة يسيرة عليهما وعلى أبي منصور محمد بن الحسن ابن صالحان معهما وأمر بحملهم الى بعض القلاع . ورد النظر الى أبي محمد[(١٥٣)] علي بن العباس بن فسانجس والى [2] أبي الحسن محمد بن عمر العلوي فانه أشار به للمودة البغدادية التي جمعتهما وبقي أشهرا ثم قبض عليه . وأفرج فى هذا الوقت عن هؤلاء المعتقلين وعول على أبي منصور في الوزارة من بينهم فاتفق له بالعرض ما صار سببا لثباته فيها

﴿ ذكر اتفاق حميد صار سببا لثبات قدم ﴾

حكى أبو محمد[3] ابن عمر ان شرف الدولة أنفذ رسولا الى القرامطة فلما

---

(١) لعله يريد شرف الدولة (٢) وفى الاصل : من (٣) لعله : أبو الحسن محمد

عاد الرسول من وجهه سأله عن مجارى الاحوال فقال له فى جملة الاقوال:
ان القرامطة سألونى عن الملك فوصفت لهم حسن سياسته وجميل سيرته
فقالوا: من حسن سيرة الملك انه استوزر فى سنة واحدة ثلاثة لغير ما سبب.
فحصل هذا القول فى نفس شرف الدولة ولم يغيّر على أبي منصور أمرا وبقى
فى خدمته الى ان توفى

وأما أبو الحسن الناظر فانه أنفذ الى جرجان برسالة وتوفى بها.

وأما أبو القاسم العلاء فانه أقام فى داره الى ان خرج شرف الدولة
الى الاهواز فخرج معه على ما (١٠٣) سيأتى ذكره فى موضعه

وفى هذه السنة قبض على أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان
ومن يليه وعلى أبي سعد بهرام وأبي بكر بن شاهويه وسائر أصحابهم ونظر
أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف فى الامور ودبّرها مديدة

﴿ ودخلت سنة خمس وسبعين وثلثمائة ﴾

فيها شورك بين أبي القاسم وبين أبي الحسن أحمد بن محمد بن برمويه فى
الوزارة وتنفيذ الامور وخلع عليهما جميعا

﴿ شرح الحال فيما جرى عليه أمر هذه الوزارة المشتركة ﴾

كانت الحال فيما بين أبي القاسم وبين أبي الحسن بن برمويه ثابتة على
الاخاء جائزة على الصفاء وكانا يتجاوران فى منازلهما ويتزاوران فى مجالسهما
فهما أبدا عاكفان اما على معاشرة واما على مشاورة فلما توفى أبو الحسن
على بن أحمد العمانى كاتب والدة صمصام الدولة سعى أبو عبد الله ابن
سعدان لابي نصر والده فى كتابتها فعمل أبو القاسم عبد العزيز فى (١٠٤)
عكس ذلك للعداوة التى بينهما

﴿ ذكر كلام سديد لعبد العزيز بن يوسف فى تحذير ﴾
(صمصام الدولة من الحجر عليه)

قال له : ان أبا عبد الله قد استولى على أمورك وملك عليك خزائنك وأموالك واذا تم له حصول والده مع السيدة حصلنا تحت الحجر معه وهذا أبو الحسن ابن برمويه رجل قد خدم عضد الدولة وهو أسلم ناحية وأظهر أمانة وأليق بخدمة الحرم لانه كان خصيا خصاه [ابن] الياس [(١)] واشتراه عضد الدولة من البلوص عند حصوله فى أسرهم . فوقر هذا القول فى سمع صمصام الدولة وقبله وقلد أبا الحسن كتابة والدته . فلما نظر أبو القاسم بعد أبى عبد الله ابن سعدان استخلف أبا سعد الفيروزاباذى وأبا عبد الله ابن الحسين بن الهيثم فاستوحش أبو الحسن ابن برمويه بعدوله عنه بعد ان قدر ان الامور تكون مفوضة اليه للحال التى بينهما فواصله أياما على رسمه ثم انقطع عنه وصار يجتاز ببابه ولا يدخل اليه . وشرع مع والدة صمصام الدولة فى طلب الامر لنفسه فتغير أبو القاسم [(١٥٥)] عليه واعتقد كل واحد منهما عداوة صاحبه

﴿ ذكر رأى ضعيف أشارت به والدة ﴾
(صمصام الدولة عليه فعمل به)

خاطبته على أن يجمع بين أبى القاسم وبين أبى الحسن فى الوزارة فاجابها اليه وخوطب أبو القاسم فى ذلك فامتنع وجدت السيدة في الامر وتردد من الخطاب ما انتهى آخره الى الزامه الرضا به فخلع عليهما وسوى فى الرتبة والخطاب بينهما وجلسا جميعا فى دست واحد فى دست الوزارة المنصوب،

---

(١) هو اليسع بن محمد بن الياس وكان انهزم الى خراسان بعد استيلاء عضد الدولة على قلعة بردسير فى سنة ٣٥٧ كما تقدم ذكره

وتقرر أن يكون اسم أبي القاسم متقدما في عنوانات الكتب عنهما . فلم يتم ذلك واستعلى ابو الحسن بقوة سره واستظهاره بعناية السيدة به وخوف الناس منه وصار الامر سخيفا بهذا الرأى الضعيف . والدولة اذا كفلها النساء فسدت أحوالها ووهنت أسبابها وبدا اختلالها وولى اقبالها والامر اذا ملكنه انتقضت قواه وانهدم بناه ولم تحمد عقباه والرأى اذا شاركن فيه قل سداده وضل رشاده وعند ذلك يكون الفساد الى الامور أسرع من السيل الى الحدور . لا جرم أن أبا القاسم احفظه ذلك وما عاملته السيدة(١٥٦) من نصرة أبي الحسن عليه و [لما] رأى ان أبا الحسن أشد بطشا في عداوته من ابن شهرا كويه (١) شرع في اخراج الملك من يدى صمصام الدولة واستغوى أسفار بن كردويه ووافقه على ذلك

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر في عصيان أسفار ﴾

كان قد تردد بين صمصام الدولة وبين زيار بن شهرا كويه أسرار اطلع عليها أبو القاسم بحكم امتزاجه بالخدمة وخرج بها الى أسفار وخاض فيها الغمرات وأشعر قلبه وحشة أخرجته من أنس الطاعة . وتقرر بينهما في ذلك ما أحكما عقده ودخل معهما في هذا الرأى المظفر أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وأبو منصور أحمد بن عبيد الله الشيرازى كاتب الطائع يومئذ وقد كان صمصام الدولة اعتل علة أشفى فيها فواقف أسفار أكابر العسكر وأصاغرهم على خلع صمصام الدولة واقامة الامير أبي نصر (وسنه في الوقت خمس عشرة سنة) خليفة لاخيه شرف الدولة ووعدهم بمواعيد الاحسان واستظهر عليهم بمواثيق الايمان وابتدأ الفتنة بالتأخر عن الدار واستعمال

(١) وفي الاصل : ابن شهران

التخيّ وتردّدت [١٥٧] اليه من صمصام الدولة مراسلات التأنيس والتسكين فما زادته الا اغراء وتنميراً. فصار اليه أبو القاسم عبد العزيز وأبو الحسن ابن برمويه وأبو الحسن ابن عمارة العارض برسالة من صمصام الدولة هي ألطف مما تقدم فلما حصلوا عنده امتنع من لقائهم وقبض عليهم وجمع العسكر وأحضر الامير أبا نصر ونادى بشعار شرف الدولة وأفرج عن أبي القاسم لان القبض عليه كان بموافقة منه واجتمعوا على تدبير الامور وترتيبها وتولى المظفر بن الحسن بن حمدويه وأبو منصور الشيرازى أخذ البيعة على الجند. وبلغ صمصام الدولة الخبر وقد أبلّ من مرضه فتحير فى أمره وجمع غلمان داره وراسل الطائع لله فى الركوب فاستعفى وامتنع منه

﴿ ذكر رأى سديد واتفاق حميد اتفقا لصمصام الدولة ﴾

﴿ أسفر بهما الامر عن الظفر ﴾

لما رأى الخطب معضلا استنصر فولاذ بن مانادر [١] مستصرخا وبذل له المواعيد الكثيرة على ذلك وكان فولاذ مع القوم فيما عقدوه لكنه أنف من بعد رتبة الانحطاط لا ستمرار عن رتبة المتابعة. وكان من [١٥٨] حميد الاتفاق اظلال المساء وحجاز الليل ولو سار أسفار فى الوقت الذى اظهر فيه ما اظهره الى صمصام الدولة لاخذه ولم يكن له دافع عنه لكنه ظن ان لن يفوته الامر وكان قدرا مقدورا. فصبحوا وقد خالفهم فولاذ وانحاز الى صمصام الدولة فحضر لديه وأكّد العهد والعقد عليه وتنجز منه توقيعا بجميع ما التمسه من جهته وتكفل له بالذب عن دولته والقيام بخدمته. وانضاف الى صمصام الدولة

---

(١) وفى الاصل : مادذار . هو ملك الديلم وابنه ولاذ مذكور مع الصاحب ابن عباد : ارشاد الاريب ٢ : ٣٠٥

فولاذ ورجاله والجيل وهم اقاربه واخواله وغلمان داره وعدتهم كثيرة وشوكتهم قوية ففتح خزائن السلاح والمال وعجّل لهم واعطاهم ووعدهم من بعد ومنّاهم وسار بهم فولاذ معدا للقاء القوم .

﴿ ذكر تدبير جيد دبره فولاذ في أمر الحرب ﴾

نزل الى زبزب صمصام الدولة وجلس على كرسيه في دسته وعلى رأسه علامته ومن ورائه وامامه الزبازب والطيارات حتى ظن الناس ان صمصام الدولة قد خرج بنفسه . وسير العسكر بازائه على الظهر فلما انتهى الى الجزيرة بسوق يحيى وجد الجيل وعدتهم قليلة يقاتلون ديلم أسفار وقد[١٠٦] ثابتوهم وصابروهم . فصعد من الزبزب وعبى المصاف وسار قليلا قليلا حتى صدم عسكر أولئك (وعندهم ان تحت العلامة صمصام الدولة) فانكسروا . ورآهم اسفار من روشنه موليّن فايقن بالهزيمة فركب وولى هاربا وتبعه طائفة من أقاربه وشيعته وأبو القاسم عبد العزيز وأفلت أبو الحسن ابن عمارة العارض جريحا وأخذ الامير أبو نصر وحمل الى صمصام الدولة . فرقّ له لما شاهده وعلم انه كان لا ذنب له فلم يؤاخذه وتقدم باعتقاله وترفيهه فكان في الخزانة محروسا مراعى . ونهبت دور الديلم والاتراك العاصين ودور أتباعهم وأشياعهم

وقتل في الليلة التي وقعت في صبيحتها الهزيمة أبو عبد الله ابن سعدان

﴿ ذكر مكيدة لعبد العزيز في أمر ابن سعدان ﴾
﴿ صارت سببا لقتله ﴾

لما قبض اسفار على أبي القاسم وأبي الحسن ابن برمويه وأبي الحسن ابن عمارة

انتهز أبو القاسم الفرصة وأرسل فى الحال الى صمصام الدولة يغريه بابن سعدان ويوهمه ان الذى جرى كان من فعله وتدبيره وأنه لا يؤمن ما يتجدد منه في محبسه فسبق فى هذا القول الى ظنه . وكان أحمد بن حفص المصري عدوًا له فزاد بالاغراء به فامر حينئذ بقتله وقُتل معه أبو سعد بهرام على سبيل الجرف وقد كان خليفته وقت نظره وقُتل أبو منصور غيظا لابى القاسم . قال الله تعالى : واتقوا فتنة لا تُصيبن الذين ظلموا منكم خاصةً . [(١٦٠)]

وكان أبو بكر ابن شاهويه معتقلا فسلم لحسن اتفاق

﴿ ذكر اتفاق عجيب سلم به ابن شاهويه من القتل ﴾

كان محبوسا في حجرة تتصل بالحجرة التي فيها هؤلاء لكن بابها خلف الاخري فاذا فتح ذلك غطى هذا فلا يُوبَهُ له فانستر لهذه العلة وسكنت سورة الفتنة فافرج عنه من بعد . وأطلق أبو الريان حمد بن محمد من الاعتقال وعول عليه في الوزارة وعلى أبي الحسن على بن طاهر في كتابة السيدة وكتب الكتب بذكر البشارة الى فخر الدولة وسائر الاطراف وقبض على أخوي أبي القاسم وكتّابه وأصحابه . وكان المظفر أبو الحسن ابن حمدويه وأبو منصور الشيرازى هربا من دار اسفار يوم الهزيمة فظفر بهما وقرر أمرهما على مال صودرا عليه . [(١٦١)]

وخلع الطائع لله على صمصام الدولة وجدد له تشريفا واكراما وخلع على أبي نصر مولاد بن مانادر الخلع الجبله وخوطب بالاصفهسلارية بعد ان استحلف على الوفاء والمناصحة .

ومضى اسفار بن كردويه وأبو القاسم ومن معهما الى الاهواز مفلولين

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر اسفار وعبد العزيز بن يوسف ﴾
﴿ والاتراك الخارجين من بغداد ﴾

خرجوا من بغداد الى جسر النهروان وساروا الى الاهواز فلما حصلوا بها تلقاهم الامير أبو الحسين وأرغبهم فى المقام فاما الاتراك فانهم أظهروا الموافقة وأسرّوا غيرها ثم ركبوا فى بعض الايام غفلة وساروا . فتقدّم الامير أبو الحسين الى سابور بن كردويه بتتبعهم وردّهم فركب وراءهم ولحقهم بقنطرة اربق فلم يكن له بهم طاقة وجرت بينهم مناوشة ورموه فاصابوا بعض أصحابه ومضوا هم وعاد هو . وأما اسفار بن كردويه فانه أقام بالاهواز مكرما وكان أخوه سابور زعيم [٣٢] الجيش فقدم عليه اسفار لكبر سنه وجلالة قدره وأقام على ذلك الى ان أقبل شرف الدولة من فارس فانفذه الامير أبو الحسين الى عسكر مكرم لضبطها في خمسمائة رجل من الديلم فلما حصل شرف الدولة بالاهواز صار اسفار اليه فامر بالقبض عليه وحمل الى بعض القلاع بفارس وكان بها الى ان توفى شرف الدولة وأفرج عنه عند الافراج عن صمصام الدولة وأقام بفارس مديدة ومضى الى الري . وأما أبو القاسم عبد العزيز فان أبا الفرج منصور بن خسره تكفل بامره وأعظم منزلته وعرف له حق تقدمه فجازى أبو القاسم احسانه بسوء النية فيه وحدّث نفسه بطاب مكانه وأنهى ذلك الى بعض من عوّل عليه فيه فاحس أبو الفرج واستظهر لنفسه بالتوثيق من الامير أبي الحسين ومن والدته بالعين على اقراره في نظره وترك الاستبدال به . ولم يزل يتوصل حتى غيّر نيّة الامير أبي الحسين في أبي القاسم ونقصه في المنزلة التي كان أنزله اياها في ابتداء وروده واطّرح الرجوع في شيء من الامور الى رأيه وجزاء سيئة

سيئة مثلها والبادى أظلم . وبقي على هذه الحال الي ان ورد شرف الدولة فقبض عليه مع اسفار وأنفذ الي القلعة وأفرج عنه بعد وفاته

وفي هذه (١٦٣) السنة ورد اسحق وجعفر الهجريان في جمع كثير وهما من القرامطة الستة الذين يلقبون بالسادة فملكا الكوفة وأقاما بها الخطبة لشرف الدولة . فوقع الانزعاج الشديد من ذلك بمدينة السلام لما كان قد تمكن في قلوب الناس من هيبة هؤلاء القوم وقوة بأسهم ومسالمة الملوك لهم لشدة مراسهم حتى ان عضد الدولة وعز الدولة قبله أقطعاهم اقطاعات بواسط وسقي الفرات فكانت مآربهم تقضى ومطالبهم تمضى وأبو بكر ابن شاهويه صاحبهم يجري بالحضرة مجرى الوزراء في حاله والاصغاء من الملوك راجع الي أقواله وأكابر الناس يخشونه محتملين لكبره منقادين لامره ولاسبب الا اعتزاؤه الي هؤلاء القوم

﴿ ذكر ماجرى عليه امر اسحق وجعفر القرمطيين ﴾

لما ورد الخبر باستيلائهما على الكوفة بداهما أبو الريان بالمكاتبة وسلك معهما طريق الملاطفة والمعاتبة ودعاهما الي الموادعة والمقاربة وبذل لهما ما يحاولانه . وعول على أبي بكر ابن شاهويه في (١٦٤) الوساطة معهما وكان قد أطلقه من الاعتقال وتلافى بالاحسان اليه والاجمال . فعدلا في الجواب الي التعليل والتدفيع وجعلا ما كان من القبض على ابن شاهويه حجة في اللوم والتقريع وزاد الخطب معهما في بث أصحابهما في الاعمال ومد أيديهما الي استخراج الاموال حتي لم يبق للصبر موضع ولا في القوس منزع .

وحصل المعروف بابي قيس الحسن بن المنذر وهو وجه من وجوه قوادهم بالجامعين في عدد كثير جرد اليهم من بغداد أبو الفضل المظفر بن محمود

الحاجب في عدة من الديلم والاتراك والعرب وأخرج أبو القاسم ابن زعفران الي ابراهيم بن مرح العقيلي لنسييره في طائفة من قومه . وحصل أبو الفضل الحاجب بجسر بابل والقوم بازائه فعقدوا جسرا على الفرات فلى ان فرغ منه وصل ابراهيم وابن زعفران وحصلا مع القرامطة على أرض واحدة وتناوشوا وتطاردوا وفرغ الجسر وعبر سرعان الخيل من الاتراك وفرسان الديلم وحملوا مع ابراهيم بن مرح وأصحابه على القوم حملة واحدة انكشفت عن هزيمتهم وأسر أبو قيس زعيمهم مع جماعة من قوادهم وأسرع اليه ابراهيم بن مرح فضرب عنقه لثار له عنده وعاد الفل الى الكوفة . وجاء البشير الى بغداد فاظهرت البشارة بها (١٦٥)

﴿ ذكر ما كان من القرمطيين بعد قتل أبي قيس صاحبهما ﴾

لما عاد الفل اليهما هزتهما الحمية (وللقرامطة نفس أبية) فجهزا جيشاً جعلا عليه قائدا من خواصهما يعرف بابن الجحيش واستكثروا معه من العدد والعدة : ووصل الخبر بذلك الى بغداد فاخرج أبو مزاحم بحكم الحاجب في طوائف من العسكر وعبر الى القوم وهم بغربي الجامعين وواقعهم وقعة أجلت عن قتل ابن الجحيش وأسر عدد من قوادهم وانتهاب معسكرهم وسوادهم ونجا من نجا منهم هاربا الي الكوفة فرحل القرمطيان فيمن تخلف عندهما وولوا ادبارهم . ودخل أبو مزاحم الكوفة وقص آثارهم حتى بلغ القادسية فلم يدركهم وعاد الي الكوفة وزالت الفتنة وبطل ناموس القرامطة عند ذلك وذهبت الهيبة التي اسرأبت النفوس منها . ولكل قوم سعادة تجري الي أجل معدود وتنتهي الي أمل محدود ثم تعود الي نقصان وزوال وتغير من حال الى حال الا سعادة الدين فانها الى نماء فاذا انفصلت من

دار الفناء [٦٦] اتصلت بدار البقاء

وفى هذه السنة أفرج عن ورد الرومي ومن معه من الاسرى بسفارة زيار بن شهرا كويه

﴿ شرح ما جري عليه أمر ورد فى الافراج عنه واصعاده الي بلد الروم ﴾

قد تقدم ذكر القبض عليه فى أيام عضد الدولة وبقى فى الاعتقال الى هذا الوقت فسفر زيار في اطلاقه وخاطب صمصام الدولة على اصطناعه [١] فاشترطت عليه وله شروط وتوثق منه فيها ووثق له على الوفاء بها . وأما ما اشترط عليه فهو ان يعترف لصمصام الدولة بالصنيعة ويكون حربا لمن حاربه سلما لمن سالمه من المخالفين فى الدين والموافقين عليه وان يفرج عن جماعة المسلمين بين من أحاطت ربقة الاسر بارقابهم أو طالت يد الحصر في أعناقهم ويعينهم على النهوض الى بلادهم وحراستهم على طبقاتهم في نفوسهم وأموالهم وحرمهم وأولادهم وان لا يجهز جيشاً الى ثغر ولا يغضي العين لاحد من أصحابه في مثل ذلك على غدر وان يسلم سبعة من حصون الروم برساتيقها ومزارعها آهلة عامرة [٦١] وان يفى بقية ما عاش بجميع ما قرر معه واشترط عليه . وأما ما شرط له فالتخلية عن سبيله وحمايته من الايدى الخاطفة حتي يخرج هو ومن فى صحبته موفورين من البلاد التى

---

(١) قال فيه يحي بن سعيد الانطاكى : واتصل بالسقلاروس هزيمة البلغربسيل الملك فراسل صمصام الدولة يسأله اطلاق سبيله لينتهز الفرصة والتمس منه ان ينجده بالرجال والعدد وبذل له القيام بما كان شرطه لوالده عضد الدولة فجنح الى ذلك وأخذ على السقلاروس وعلى أخيه قسطنطين وعلى رومانوس بن السقلاروس العهود والمواثيق بالوفاء بذلك وأفرج عن سائر أصحابه وكانوا زهاء ثلاثمائة رجل وأطلق لهم دواب وصلاحا ما كان أخذه منهم

تضمّنها مملكة صمصام الدولة وان يكون أمر الحصون اذا سلمها مجرى العادة المستمرة في حراسة أهلها واقرارهم على أملاكهم وحقوقهم واجرائهم في المعاملات والجبايات [1] على رسومهم وطسوقهم . واستوثق من أخيه قسطنطين ومن ابنه ارمانوس بمثل ما استوثق منه وكتب بذلك كتب وسجلات استؤذن الخليفة الطائع لله في امضائها فاذن فيها وأمر باحكام قواعدها ومبانيها . فلما استقرت القاعدة أفرج عنه وحمل اليه مال وثياب وجلس صمصام الدولة للقائه

﴿ ذكر ترتيب جلوس صمصام الدوله بحضور ورد ﴾

قال صاحب التاريخ : عهدي بصمصام الدولة وجلس حتى يلقاه ورد ويشاهده ويخدمه ويشكره وقال : كان الوقت شتاء والدار ومجالسها مملوءة بالفرش الجليلة وستور الديباج النسيجة معلقة على [١٦٨] أبوابها وغلمان الخيل بالبزّة الحسنة والاقبية الملونة ووقوف سماطين بين يدى سدّته وكانت قد نصبت في السّدليّ الذهب الذى تفتح أبوابه الى البستان والى بعض الصحن والديلم من بعدهم على مثل ترتيبهم وزيهم الى دجلة . وعبر ورد وأخوه وابنه في زبزب أنفذ اليهم يمشون بين السماطين الى حضرة صمصام الدولة وبحضرته كوانين من ذهب موضوعة فيها قطع العود توقد فلما قرب منه ورد طاطا رأسه قليلا وقبل يده ووضع له كرسي ومخدّة فجلس عليهما . وسأله صمصام الدولة عن خبره فدعا له وشكره بالرومية والترجمان يفسّر عنه وله وقال قولا معناه : قد تفضلت أيها الملك ما لا أستحقه وأودعت جميلا عند من لا يجهله وأرجو أن يعين الله على طاعتك وتأدية حقوق فعلك . وقام

---

(١) وفي الاصل : والجنايات

ومشى الحجاب والاصحاب بين يديه كفعلهم عند مدخله وعبر في الزبزب الى داره .

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر ورد بعد اصعاده من بغداد[١٦٦] ﴾

لما توجه تلقاء بلده استمال كثيرا من البوادى وأطمعهم في العطاء والاحسان [١] وأخذ في المسير حتى نزل على ملطية وبها كليب عاملا لملكى الروم عليها وكايب من أصحاب ورد (كما قد تقدم ذكره فى المشروح الذى وجد بخط ابن شهرام) فاطاعه وحفظ عهده وسلم اليه ما كان معدا عنده فلمّ

(١) قال يحيي بن سعيد الانطاكي ان صمصام الدولة أحضر بنى المسيب ورؤساء بني عقيل ليسيروا معه وبرز به الى ظاهر مدينة السلام فثقل على كثير من المسلمين اطلاقه وأكثروا الكلام في معناه وانتهى الكلام الى السقلاروس فتخوف ان يتعقب الامر فى بابه فسأل العرب ان يهربوا به سرعة فساروا به وبسائر أصحابه الى حللهم واستدعوا أيضا قوما من بنى نمير وسلكوا به في البرية الى ان وصلوا به الى الجزيرة وعبروا الفرات، وحصل فى ملطية في شوال سنة ٣٧٦ وكان كليب البطريق الذي سلم حصن رزويه حينئذ بملطية باسليقا عليها وناظرا فيها فقبض عليه السقلاروس وأخذ ما عنده من المال والكراع والكسوة وقوى به ودعا لنفسه بالملك . وتحيل أيضا نقفور الاورانوس الذى رسل به الملك الى عضد الدولة في باب السقلاروس واستدعى رجلا من البادية وأخذه وأوصله الى بلد الروم وعاد الى باسيل الملك . وتفاقم أمر السقلاروس واجتمع اليه من العرب العقيليين والنميريين الواردين معه عدد كثير من الارمن واستنجد أيضا باد الكردى صاحب ديار بكر وأنفذ اليه أخاه أبا على فى عسكر قوى واضطر باسيل الملك الى ان أعاد ورديس الفوقاس الى الدومستيقية في ذي الحجة من السنة وسير اليه الجيوش ورسم اليه لقاء السقلاروس بعد ان أنفذ اليه من استحلفه بجميع الآثار المقدسة وأخذ عليه العهود والمواثيق بمناصحته وموالاته والمحافظة على طاعته . فكتب الفوقاس الى السقلاروس يلتمس منه أن ينفذ اليه أخاه قسطنطين وهو زوج أخت ورديس الفوقاس فانفذه اليه ورسل به ورديس الفوقاس الى أخيه السقلاروس ليقرر معه ان يتفقا جميعا على منازعة باسيل الملك وحربه وحوزان ملكه ويقتسماه بينهما ويكون الفوقاس في مدينة

به شمله وقوى به حزبه وعمل على المسير الى ورديس بن لاون مظهرا حربه فترددت بينهما رسائل انتهت الى تقرير قاعدة في الصلح على ان يكون قسطنطينية وما والاها من جانبها لورديس بن لاون وما كان في الجانب الآخر من البحر لورد واتفقا بعد توكيد الايمان بينهما على الاجتماع وسار كل واحد منهما للقاء صاحبه فاجتمعا على ميعاد فلما تمكن منه ابن لاون قبض عليه .

القسطنطينية والسقلاروس خارجا عنها فاجابه السقلاروس الى ما أراد وتحالفا وتعاهدا عليه ولما استقر بينهما ما عقداه على ان يجتمع العسكران أنكر ذلك رومانوس بن السقلاروس ولم يوافق أباه على رأيه وأعلمه انها مكيدة من الفوقاس عليه ولم يقبل منه أبوه فتخلى رومانوس ابنه عنه وقصد باسيل الملك وكشف له ما شرع القوم فيه وما تقرر بين أبيه وبين برديس الفوقس . وسار الفوقاس الى حيحان واجتمع مع السقلاروس وتفاوضا فيه ما يحتاجان اليه وانفصلا على وعد ان يجتمعا أيضا وعاد السقلاروس أيضا اليه وعند اجتماعهما قبض الفوقاس على السقلاروس وحمله الى حصن كانت حرمته مقيمة فيه فاعتقله هناك وقال له : تكن مقيما على حالك في هذا الحصن حيث حرمتي فاذا أنا بلغت ماأقصد واستوليت على الملك أوفيت لك ما وافقتك ولم أغدر بك

وكاشف برديس الفوقاس بالعصيان ودعي له بالملك يوم عيد الصليب الموافق لثلاث عشر ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٣٧٧ وملك بلد الروم الى درولية والى شاطيء البحر وبلغت عساكره الى حريصوبولى واستفحل أمره . وحرج باسيل الملك منه لقوة جيوشه واستظهاره عليه ونفدت أمواله فدعته الضرورة الى ان أرسل الى ملك الروس وهم أعداؤه يلتمس منهم المعاضدة على ما هو بصدده فاجابه الى ذلك وعقد بينهما مصاهرة وتزوج ملك الروس أخت باسيل الملك بعد ان اشترط عليه ان يتعمد هو وسائر أهل بلاده وهي أمة عظيمة (وكان الروس يومئذ لاينتمون الى شريعة ولايعتقدون ديانة) وأنفذ اليه باسيل الملك فيما بعد مطارنة وأساقفة وعمدوا الملك وجميع من تحويه أعماله وسير اليه أخته وبنيت كنائس كثيرة في بلد الروس . ولما استقر بينهما أمر التزويج وردت جيوش الروس أيضا واضافت الى عساكر الروم التي لباسيل الملك فتوجهت باجمعهم للقاء

﴿ ذكر غدر ورديس بن لاون بورد وقبضه عليه ﴾
﴿ ثم مراجعته الحسنى بالافراج عنه ﴾

كان ورد قد وثق بما أكده من العهود التي اطمأن اليها واعتقد ورديس (١٧٠) بالبديهة انه فرصة قد قدر عليها فغدر به وقبض عليه وحمله الى بعض القلاع . فلما راجع رويته علم انه أقدم على خطة شنعاء تبقى عليه سمة الغدر وتجلب اليه وصمة في الذكر وأجرى الى فعله نكرا ينفر كل قلب عن معاهدته ويحمل كل قريب على مباعدته فاستدرك الامر بتعجيل الافراج عنه والاعتذار اليه وتجديد المواثيق معه فعادا الى ما كانا عليه من الالفة والاتفاق ودفعا أسباب الفرقة والشقاق . وانصرف ورديس فنزل بإزاء

برديس الفوقاس براً وبحراً الى خريصبولى فاستظهروا على الفوقاس واستولى باسيل على ناحية البحر وملك سائر المراكب التي في يد الفوقاس . وكان باسيل الملك بعد نزول الفوقاس على ظاهر مدينة القسطنطينية واحتوائه على ناحية المشرق قد سير الطاروني المـاجسطرس فى البحر الى طرابزندة وجمع خلقا وتوجه الى شاطىء الفرات فانفذ برديس الفوقاس ولده نقفور المموج الى داود ملك الخزر يستنجده على الطاروني فسير معه غلاما له في الف فارس وسار معه أيضا ابنا بقراط البطريقان صاحبا الخالديات (وهى مذكورة فى تاريخ المقدسي ص ١٥٠) في الف فارس فلقوا الطاروني وهزموه فاتصل بهم في الحال استظهار عساكر باسيل الملك على الفوقاس فى البحر في خريصوبولي فعاد غلام داود الخزري برجاله وكذلك ابنا بقراط الي مواضعهم واحتجوا عليه بانهم قد فعلوا ما أراده منهم من هزيمة الطاروني . وتفرق العسكر الذى مع نقفور بن الفوقاس فسار الى والدته وهي مقيمة بالحصن الذى فيه السقلاروس معتقلا

وخرج باسيل الملك وأخوه قسطنطين في عساكرهما وفى حروش الروس ولقوا برديس الفوقاس في ابدو وهو بالقرب من عبر القسطنطينية وظفروا بالفوقاس وقتل يوم السبت ثالث المحرم سنة ٣٧٩ وحمل رأسه الي القسطنطينية وأشهر بها وكانت مدة عصيانه سنة واحدة وسبعة أشهر

قسطنطينية منازلا لباسيل وقسطنطين ملك [1] الروم وقد اجتمعت الكلمة عليه وانضوى العساكر وأهل البلاد اليه وبقى الملكان فى قل من الناس متحصنين بالمدينة وبحصينها

﴿ ذكر تدبير لملكي الروم عاد به أمرهما ﴾
﴿ الى الاستقامة بعد الاضطراب ﴾

لما انتهت الحال منهما الى الضعف راسلا ملك الروسية واستنجداه فاقترح عليهما الوصلة باختهما فاجاباه الى ذلك وامتنعت المرأة من تسليم نفسها الى من يخالفها فى دينها وتردد من الخطاب في ذلك ما انتهى الى [دخول] ملك الروسية فى النصرانية وتمت الوصلة معه وهديت المراة (١٧١) اليه فانجدهما من أصحابه بعدد عديد وهم أولو قوة وأولو بأس شديد . فلما حصلت النجدة بقسطنطينية عبروا البحر فى السفن للقاء ورديس وهو يستقلهم فى النظر ويهزأ بهم كيف أقدموا على ركوب الغرر فما هو الا ان وصلوا الى الساحل وحصلوا مع القوم على أرض واحدة حتى نشبت الحرب بينهم واستظهر فيها الروسية وقتلوا ورديس وتفرقت جموع عساكره [2] وثاب

---

(١) الصواب : ملكي　(٢) وقال فيه يحيى بن سعيد الانطاكي : ولما سمعت امرأة الفوقاس خبر قتله أطلقت السقلاروس من الاعتقال فاجتمع اليه سائر من كان مع الفوقاس من الخالفين على باسيل الملك وعادلبس الخف الاحمر وانضوى اليه نقفور المعوج بن رديس الفوقاس وراسل السقلاروس الى قسطنطين الملك أخي باسيل الملك فى ان يتوسط حاله مع أخيه باسيل في رجوعه الى طاعته ويصفح له عن سائر ما سلف منه والعفو عما بدأ منه من العداوة وضمن له عنه الاحسان التام فاجابه الى ذلك ونزع الخف الاحمر عن رجله يوم الجمعة حادى عشر تشرين الاول سنة ١٣٠١ وهو مستهل رجب سنة ٣٧٩ فاحضره قسطنطين الملك الى أخيه باسيل ووطيء بساطه وقبل الارض بين يديه واستقرت الحال

أمر الملكين الى الاستقامة والاعتدال واشتد ملكهما بعد التضعضع والانحلال وراءلا وردا واستمالاه وأقراه على ولايته فاقام على جملته مدبدة ثم توفى وقيل انه سُم . وتقدم بسيل في الملك وظهر منه حسن سياسة وأمضاء له رأي وقوة عزم وثبات قلب حتى انه صبر على قتال بلغر خمسا وثلاثين سنة يواقعهم ويواقعونه والحرب [لم تزل] بينهم حتى ظفر بهم وملك ديارهم وأجلى عنها الجم الغفير منهم وأسكنها الروم بدلا عنهم . وشاع ذكره في عدله ومحبته للمسلمين وطال أمده فى بلادهم وملكه بالكف عن بلادهم واحسان معاملته مع من يحصل في ممالكه منهم

وفي هذه السنة هم صمصام الدولة بان يجعل على الثياب الابريسميات والقطنيات [١٧٢] التي تنسج ببغداد : ونواحيها ضريبة العشر في اثمانها

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان أبو الفتح الرازي كثّر ما يحصل من هذا الوجه وبذل تحصيل الف

على أن جعل باسيل الملك لبرديس السقلاروس قربلاط ورتب أخاه وجميع أصحابه وأقطعه بلد الامينافون (الارميناقون) ورعيان جزيا وخراجا مضافا الى نعمته القديمة وصفح عن نقفور بن برديس الفوقس وأقطعه نعمة حسنة . . . . . . وفي مدة عصيان الفوقاس واشتغال الملك باسيل بحربه انتهز البلغر الفرصة وغزوا بلد الروم دفعات وأتوا الى بلد صالونيكي وتطرقوا أعمال الروم التي في المغرب فذهب باسيل الملك لغزوهم وخرج الى دبوطمة في سنة ٣٨٠ وفيها بيت السقلاروس وجمع العساكر فيها واستدعى السقلاروس ليسير معه فى غزواته وكان هو وأخوه جميعا مريضين مدنفين وحمل السقلاروس الى حضرته في سرير وألقى نفسه على رجلي الملك ولما شاهد الملك حاله رسم له المقام في بيته ووصله بقنطار دنانير ليصدق به وتوجه الملك الى البلغرية . وبعد أيام يسيرة مات السقلاروس ومات أخوه قسطنطين بعده بخمسة ايام وكان بين قتل برديس الفوقاس وبين موت السقلاروس دون سنتين

الف درهم منه في كل سنة . فاجتمع الناس بجامع المنصور وعزموا على المنع من صلاة الجمعة وكان المدن تفتتن فاعفوا من احداث هذا الرسم

وفيها مات أبو العباس ابن سابور المستخرج تحت المطالبة بالتعذيب والمعاقبة . فقيل انه عرضت فتوى على أبي بكر الخوارزمي الفقيه مضمونها : ما يقول الشيخ في رجل مذا آب معاتب قد ترددت عليه مكاره هونت عليه الموت هل له فسحة في قتل نفسه واراحتها مما تلاقيه . فكتب في الجواب : انه لا يجوز ولا يحل فعله والصبر على ما هو فيه أدعى الي تضاعف ثوابه وتمحيص ذنوبه . فلما انصرف حاملها قال بعض الحاضرين لزهير بن أبي بكر : هذه فتوى ابن سابور المستخرج . قال أبو بكر : رُدوا حاملها . فردوه فسأله عنها فاخبر انها لابن سابور فقال أبو بكر : قل له : ان قتلت نفسك أو أبقيت عليها [١٧٣] فمانيتك الى الخسارة ومصيرك الى النار

وفيها اتصلت الاخبار بحركة شرف الدولة [١] من فارس طالبا للعراق فاخرج اليه أبو عبد الله محمد بن علي بن خلف رسولا وسفيرا في تقرير الصلح . فورد كتابه من الاهواز يذكر فيه انه صادف شرف الدولة بها فبلغ ما تحمله من الرسالة فقوبل بالجميل الدالّ على حسن النية ووعد باحسان السراح وضم رسول اليه ليقرر أمر الصلح والصلاح .

وبعد ذلك قبض على أبي الريان حمد بن محمد وعلى أصحابه وأسبابه

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان أبو الحسن علي بن طاهر قد استولى على أمور والدة صمصام الدولة بحكم كتابتها وعظمت حاله ومنزلته عندها وعند صمصام الدولة لاجل

(١) وفي الاصل : سيف الدولة

خدمتها . وقد تقدم القول بان تملك النساء لامور الدولة عائد عليها بعظيم الخلل فلا يزال بين النقض والابرام حتى تزيغ القلوب وتزل الاقدام . وكان ابن طاهر هذا وأبو عبد الله ابن عمه قد استوحشا من أبي الريان فافسدا حاله عند صمصام الدولة واستمالا بالسيدة عليه وقرفاه بالميل الى شرف الدولة وان تفوذ [1] ابن خلف لاصلاح (١٧٤) أمره معه وما زالا يعملان الحيلة حتى تم القبض عليه

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر أبي الريان ﴾

حضر الدار على رسمه وجلس ينظر فيما جرت عادته بالنظر فيه . ومن غريب الاتفاق انه فقد خاتمه فى تلك الحال ولم يعلم كيف سقط من يده وطلب فلم يوجد ثم استدعى الى حضرة صمصام الدولة وعدل به الى الخزانة ووقع القبض عليه فكانت مدة وزارته هذه سبعة أشهر وأياما . واستولى أبو الحسن وأبو عبد الله ابن عمه على الامور وكان اليهما مصادر الاوامر فى الاصول ونصبا أبا الفتح ابن فارس وأبا عبد الله ابن الهيثم لمراعاة الفروع وكانا يحضران في حجرة لطيفة فى دار المملكة ويوقعان باخراج الاحوال واطلاق الصكاك واستيفاء الاموال وجرت الحال على ذلك الى ان زال صمصام الدولة . وورد فى أثر القبض على أبي الريان أبو نصر خواشاذه رسولا عن شرف الدولة ومعه أبو عبد الله ابن خلف فتلقاه صمصام الدولة فى خواصه وقواده وأكرمه (١٧٥)

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر فى وروده ﴾

قد كان أبو نصر هذا وأبو القاسم العلاء بن الحسن وأكثر الحواشي الذين

---

(١) وفى الاصل : تفود

مع شرف الدولة يحبون المقام بفارس لانها وطنهم وبها أهلهم ونعمهم وفى جبلة البشر حب الاوطان واختيار الثواء بين الاهل والاخوان . وكان أبو الحسن محمد بن عمر يشير على شرف الدولة بقصد العراق وهم لا يتابعونه فى الرأى على هـذا الاتفاق ويقولون : غرضه العود الى مستقر قدمه والرجوع الى بلده وأملاكه ونعمه وان عضد الدولة منذ أعرض عن فارس وأقبل على العراق لم يكن له بال رخيّ ولا عيش هنى . وكان شرف الدولة يوعيهم لهذا الامر سمعا ويحب المقام بشيراز طبعا لان فيها مولده وبها منشاه ولما قيل

بلاد بها نيطت علىّ تمائمى   وأول أرض مس جلدى ترابها

فلذلك كانت كلمة هـذه الجماعة عنده قوية ومشورتها لديه مقبولة مرضية . فلما ورد عليه ما ورد من كتب صمصام الدولة ووالدته وأبى الريان ببذل الطاعة والخضوع بالتباعة والاذعان باقامة الدعوة [١٧٦] والتظاهر بشعار النيابة وجد هذا القول من قلبه قبولا وأنفذ أبو نصر خواشاذه لاتمام هذه القاعدة رسولا وأصحبته تذكرة تشـتمل على التماس الخلع السـلطانية واللقب واقامة الخطبـة وانفاذ الامير أبى نصر مكرّما واسـتدعاء آلات وفرش وخـدم وجوار عازما على القناعة بذلك فلما حصل بالاهواز وأتته الدنيا طوعا باقبالها وألقت البلاد مفاتيح أقفالهـا بدا له من ذلك الرأى فعزم على قصد العراق مصمما وسار نحو بغداد متمما . وسيأتي ذكر ذلك فى موضعه باذن الله تعالى

﴿ شرح الحال فى مسير شرف الدولة من فارس واستيلائه ﴾
﴿ على الاهواز وانصراف الامير أبى الحسين عنها ﴾

لمـا عزم شرف الدولة على المسـير من فارس كتب الى الامير أبى

الحسين بالجميل والاحسان وبذل له اقراره على ما فى يديه من الاعمال والبلدان وأعلمه ان مقصده بغداد لاستخلاص الامير أبى نصر أخيه وانه لايحدث فى الاجتياز فى بلاده أمرا يضره أو يؤذيه . فلم يقع هذا القول من الامير أبي الحسين موقع التصديق وعرض له من سوء الظن (١٧٧) مايعرض للشفيق . واتفق ان والدته توفيت وهى بنت ملك ماناذر ملك الديلم ولها الحسب الصميم والخطر العظيم وكانت تكاتب شرف الدولة وتجامله وشرف الدولة يجلها لبيتها الجليل ويراقبها لاذعان طوائف الديلم لها بالتبجيل فلما مضت لسبيلها خلا ساور بن كردويه بالامير أبي الحسين فثناه عن هذه الطريقة

﴿ ذكر رأى أشار به ساور على الامير ﴾
(أبي الحسين فى هذه الحال)

قال له : ان هذه الكتب الواردة هى على وجه الخديعة والمكر واذا اغتررت لم تأمن ان تحصل معه فى حبائل الاسر فما سار من فارس الا اطلب الممالك جميعا والاحتواء على عاصيها ومطيعها ولا يبدأ الا بك وما لنا لانحاربه ونقاتله ولنا من العسكر والعدة ما نقاومه ونعادله ؟ فاصغى الى قوله وعمل لامر المحاربة معدًّا وشمر عن ساق المباينة مُجِدًّا . فبينما هو فى ذلك اذ ورد الخبر بنزول قراتكين الجهشيارى ارجان على مقدمة شرف الدولة ونزل شرف الدولة ارجان وسار قراتكين الى رامهرمز . (١٧٨) وتبرّز الامير أبو الحسين الى قنطرة اربق وأنفذ اسفار بن كردويه الى عسكر مكرم لضبطها وبدأ الديلم يتسللون الى شرف الدولة لواذاً وتقطعت الكلمة المجتمعة جذاذا وتحيّز الغلمان الاتراك الى جانب من العسكر ونادوا بشعار شرف الدولة

فاشرف الامير أبو الحسين وسابور بن كردويه وأبو الفرج ابن خسره على ان يوخذوا ويسلموا فمرّج الامير أبو الحسين الى فورة الاختلاط على الجبل وسار من ورائه طالبا صوب المأمونية وراسل سابور بن كردويه بالالحاق به فالحقه بعد هنات جرت له حتى خاص اليه وثلثهما أبو الفرج ابن خسره وتبعهما غلام من غلمان داره فسار هو ومن معه طالبين حضرة فخر الدولة حتى وردوا أصفهان . فكتب منها الى فخر الدولة وهو يومئذ بجرجان يشكو اليه أمره ويرجو منه نصره وكتب فى جوابه وعدا لم يعقبه وفاء وأظهر له ودا لم يتبعه صفاء . ووقع له على الناظر باصفهان بما قدره فى الشهر مائة الف درهم فاجتمع عنده بتطاول مقامه فل من الديلم الذين كانوا فى جملته . وتبين له سوء رأى فخر الدولة فالبس عليه أمره وضل طريق الصواب ٭

﴿ ذكر تدبير سيء (١١٠) التى به نفسه الى الهلاك ﴾

لما يأس من صلاح حاله أظهر لمن كان باصفهان من الاولياء ما لا حقيقة له وأعلمهم ان بينه وبين شرف الدولة مراسلة استقر معها النداء بشعاره والانضواء الى انصاره واستمال قوما من الجند المقيمين بها وعمل على التغلب على البلد . وكان المتولى لتلك الاعمال أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبي (١) وند الخبر اليه فعاجل الامر وقصد دار الامير أبي الحسين فى عدة قوية وأوقع به وأنهزم من كان حوله من افنه وأسر هو وأبو الفرج ابن خسره واعتقلا فى دار الامارة . وأما أبو الفرج فانه قتل من يومه وأما الامير أبو الحسين فانه صفد وحمل الى الري واعتقل بها مدة يسيرة ثم نقل الى قلعة ببلاد

---

(١) وترجمته فى ارشاد الاريب ١ : ٦٥ وابراجع فيه أيضا ٢ : ٣١١ ـ ٣١٠

الديلم ولبث فيها عدة سنين فلما اشتدت بفخر الدولة العلة التي قضى فيها نحبه أنفذ اليه من قتله . ويروى له بيتان قالهما في الحبس وكان يقول الشعروهما

هب الدهر أرضاني وأعتب صرفه
وأعقب بالحسنى وفك من الاسر

فمن لي بأيام الشباب التي مضت
ومن لي بما قد فات في الحبس من عمري (١١٠)

وسار شرف الدولة من ارجان ودخل الاهواز وقد تمهّدت الامور فاطلق من كان اعتقله الامير أبو الحسين من أصحابه وقبض على اسفار وعبد العزيز ابن يوسف وعلي أصفهان بن علي بن كامة الوارد معه وأخرج العلاء بن الحسن الى البصرة للقبض على الامير أبي طاهرا بن عضد الدولة وعلى من كان في جملته من الخواص فقبض عليه وعاد العلاء بن الحسن بعد تقرير أمر البصرة وأعيد الى شيراز للمقام بها . واستدعي أبو منصور محمد بن الحسن ابن صالحان وعوّل على أبي نصر سابور [1] بن اردشير في مراعاة الامور الى ان يصل أبو منصور وأزمع شرف الدولة على المسير الى العراق .

وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة ابن مؤيد الدولة فجلس صمصام الدولة للعزاء وبرز الطائع لله لتعزيته

قال صاحب التاريخ : عهدي بالطائع لله وهو في دسته منصوب على ظهر حديدي وهو لابس السواد والعمة الرصافية السوداء وعلى رأسه شمسة وبين يديه الحجاب والمسودّة وحول الحديدي الانصار والقراء والاولياء في الزبازب . وقد قدم الى مشرعة دار المملكة من باب الميدان فنزل صمصام

---

(١) وفي الاصل : ابن سابور

الدولة اليه وقبل الارض بين يديه وردّه [١٨١] بعد خطاب جرى بينهما فى العزاء والشكر .

﴿ ودخلت سنة ست وسبعين وثلثمائة ﴾

فيها وقع الخوض مع أبى نصر خواشاذه فى انجاز ما وعد به واحكام قواعده ومبانيه فاجيب الى جميع ما تضمنته التذكرة الا انفاذ الامير أبى نصر فانه أرجى أمره الى ان يستبين أمر الصلح

﴿ ذكر ما تقرر الامر عليه مع أبى نصر ﴾
(خواشاذه فى ذلك)

قررت أقسام الصلح على أقسام ثلاثة قسم منها يعم الفريقين وقسمان يخص كل فريق قسم منها . فاما الامر الذى يعم فهو : تألف ذات البين حتى لايدرك طالب نبوة مقصدا فى تنفير وتصافى العقائد حتى لا يجد جالب وحشة مطمعا فى تكدير فان ظهر عدو مباين لاحدهما ناضلاه جميعا عن قوس الموافقة والمساعدة ودافعاه بمنكب المظاهرة والمعاضدة . وان يمنع كل واحد من تعرض بلاد الآخر ولا يطمع فيها جندا ولا [١٨٢] يقطع منها حداً ولا يجير منها هاربا ولا يأوى متحيزا أو موازيا

وأما ما يخص شرف الدولة : فهو ان يوفيه صمصام الدولة فى المخاطبة ما يقتضيه فضل السن والتقديم ويلتزم من طاعته ما يوجبه حق الاجلال والتعظيم ويقيم له الخطبة على منابر مدينة السلام وسائر البلدان التى فى يديه ويقدم بعد اقامة دعوة الخليفة دعوته عليه . وأما ما يخص صمصام الدولة : فهو ان يكف شرف الدولة عن سائر ممالكه وحدودها ويمنع أصحابه كافة عن طرقها وورودها وان يراعيه فى كل أمر يستمد فضله فيه مراعاة الاخ

الاكبر لاخيه وتاليه

وصدر كتاب المواضعة بالاتفاق على تقوى الله تعالى وطاعة الخليفة الطائع لله وامتثال ما أمرهما به من الالفة على الشروط المذكورة . وجعل على نسختين ختم أحدهما بيمين حلف بها صمصام الدولة معقودة بان يحلف بمثلها شرف الدولة .

فلما تحرر ذلك جلس الطائع لله وحضر الاشراف والقضاة والشهود ووجوه أصحاب صمصام الدولة وأبو نصر خواشاذه وقرىء كتابه الى شرف الدولة وزين الملة بالتلقيب والتقليد وسلمت الخلع الكاملة واللواء . وندب أبو القاسم على بن الحسن الزينبي الهاشمي [١٨٣] وأحمد بن نصر العباسي الحاجب ودعى الحاجب للخروج من قبل الطائع لله بذلك وأبو على ابن محمان من قبل صمصام الدولة برسالة جميلة مشتملة على خفض الجناح والاستمالة الى الصلاح والاذعان بالطاعة والولاء والترقيق بالرحم والاخاء وسارت الجماعة على هذه القاعدة المذكورة . ووجد فيما خلفه أبو الحسن ابن حاجب النعمان [١] نسخة أخرى بمثل الذي تقدم ذكره واتصلت بها يمين واشتمل آخرها على لفظ شرف الدولة بذلك وانه قد ألزم ذلك وأشهد الله عليه به وحلف باليمين المذكورة فيه . وعلى ظهرها بخط أبي الحسن ابن حاجب النعمان :

بسم الله الرحمن الرحيم : ثبت بحضرة سيدنا ومولانا الامام الطائع لله أمير المؤمنين أطال الله بقاه وأعز نصره وادام توفيقه وكبت عدوه ما تضمنه الاتفاق المكتوب فى باطن هذا الكتاب وصح عنده التزام شرف الدولة

---

(١) وترجمته في ارشاد الاريب ٥ : ٣٥٩

وزين الملة أبي الفوارس أمد الله تأييده لصمصام الدولة وشمس الملة أبى كاليجار . ولى أمير المؤمنين أدام الله نصره ما شرح فيه بعد ان ألزم له مثله . فحكم مولانا أمير المؤمنين أعز الله نصره عليهما به وجمعهما الى الائتلاف عليه فى طاعته وخدمته وقطع (١٨٤) به بينهما الفرقة والاختلاف . وأمر بهذا التوقيع تأكيدا لما تصافيا عليه والزاما لهما الوفاء به وأنعم بعلامة بخط يده الكريمة فى أعلاه والحكم الشريف النبوي فى منتهاه والله عون مولانا أمير المؤمنين على ما التزماه وتوخياه . وكتب على بن عبد العزيز بالحضرة الشريفة وعن الاذن السامى والحمد لله حمد الشاكرين . علامة الطائع لله « الملك لله وحده » نقش الخاتم فى الاسربجه المسك والعنبر « الطائع لله »

وأمر هذه النسخة عجيب لان هذا الصلح لم يتم وما عاد به أبو نصر خواشاذه ونفذ فيه أبو على ابن محمان لم يلتئم وربما يكون ذلك فيما كتب بالاهواز وأنفذ الى بغداد ثم انتقض والله أعلم

﴿ ذكر ماجرى عليه أمر الرسل الخارجين الى شرف الدولة ﴾

انحدرت الجماعة الى واسط ومدبرها قراتكين الجهشيارى فاكرمهم الكرامات الوافية وأقام لهم الاقامات الكافية وسار أبو على على طريق الظهر . وورد كتاب شرف الدولة فى أثر ذلك الى قراتكين بالقبض عليه وحمله الى الاهواز فركب في جماعة من (١٨٥) الغلمان متبعا له فلحقه بباذبين وقد نزل بها فقبض عليه وعلى جميع ما صحبه مما كان حمل الى شرف الدولة ورده الى واسط واعتقله ثم أنفذه وما كان معه على طريق البصرة . وتوجه أبو نصر خواشاذه في الماء الى البصرة مع رسل الطائع لله وتمم منها الى حضرة شرف الدولة فوجده وقد تغير عما فارقه عليه من حاله وانقادت

له الامور انقيادا ألواء عما كان مائلا اليه . وخلا به أبو الحسن محمد بن عمر فثناه الى ما أراده فلم يكن لابي نصر موضع قول الا فيما علاّ بناء هذا الرأي وشيده . وقد كان العمال والمنصرفون مضوا الى شرف الدولة من كل بلد من أعمال العراق وتقدم أبو علي التميمى من واسط وتلاه أبو عبد الله ابن الطيب من النهروانات وأبو محمد الحسن بن محمد بن مكرم من الكوفة وقصد الناس حضرته على طبقاتهم من كل فج عميق ووافاه الديلم والاتراك فوجا بعد فوج وفريقا أثر فريق . وكان نفوذ قراتكين الجهشيارى الى واسط على مقدمته بعد وصول أبي عبد الله ابن الطيب فضمه اليه ناظرا في البلد وأعماله ومقيما لنفقات قراتكين الجهشيارى ورجاله . فمد ابن الطيب جناحه على الاعمال ويده الى [١٨٦] الاموال فلما حصل [أبو] محمد ابن مكرم بالاهواز كثرت الاقوال على ابن الطيب فيما أخذه من النهروانات عند مفارقته لها وبواسط عند حصوله بها [ه]أخرج أبو محمد ابن مكرم للقبض عليه والنظر بواسط

﴿ ذكر ماجرى الامر عليه فى ترتيب القبض على ﴾
(ابن الطيب واخفاء الحال فيه الى ان تم)

أنفذ أبو محمد من الاهواز وفى الظاهر انه رتب فى اقامة المير لشرف الدولة وعساكره بين الاهواز وواسط وفي الباطن قرر معه النظر بوسط والقبض على أبي عبد الله ابن الطيب واخوته فاصحب كتبا باطنة وظاهرة بذلك . فلما حصل بواسط واجتمع مع قراتكين ووافقه على ما ورد فيه قبض على الجماعة الحاضرين والغائبين فى يوم واحد بتدبير دبره وبقوم قدم انفاذهم الى كل من غاب على ميعاد قرره ومقدار وقته . ورأي ان يسلك مع أبي عبدالله

على طريق المياسرة والمقاربة فاحتسب له بجميع الظاهر [١٨٧] المأخوذ منه فى جملة مال المطالبة واعتمد مع اخوته اظهار بعض التشديد والاستقصاء ثم سهل أمورهم عند التحقيق والاستيفاء وعلم ان أعمال السلطان عوارىّ فتساهل وقارن وجامل وقارب . فمن أحسن فانما يحسن لنفسه ومن أساء انما يسيء اليها والعارية في الحالين مردودة وأيام لينها عند المعار معدودة ومهما سلك الانسان من طريق فنجاحه فيه بهداية وتوفيق

﴿ ذكر مسير شرف الدولة من الاهواز لما ﴾
(استتبت له الامور بواسط)

سار اليها فى عساكر كثيرة بالجموع الظاهرة التجمل وكانت زينته وأهبته فى صاحته من كل نوع على أحسن ما شوهد فقيل ان جماله كانت ثلاثة عشر الف رأس وجمال عسكره أكثر من هذا العدد وغلمان خيوله مع الخدم الف وثمانمائة ما بين غلام وخادم الى ما يتبع ذلك ويشا كله من كل ما يكون للملوك المخولين والسلاطين المموّلين . يقول صاحب التاريخ هذا القول ويستكثر هذا القدر ولو أدرك هذه الدولة القاهرة ورأى سلطانها وغلمانها وأركانها [١٨٨] وعددها ورجالها وزينتها وأموالها لعلم ان الذي استكثره فى قبيل الاقلال ولاقرّ ان البحر لا يقاس بالاوشال .

فلما استقر شرف الدولة بواسط سار قراتكين الى دير العاقول ولما أجلت الاحوال بمدينة السلام حدر بالامير أبي نصر ابن عضد الدولة الى حضرة شرف الدولة مع غلام من الخواص . وزادت أمور صمصام الدولة اختلالا وتناقصت حالا فحالا وشغب الديلم حتى أحاطوا بداره مطالبين بالمال ورفعوا سجف المراقبة ونادى سلار سرخ بشعار شرف الدولة وثار

العامة في عرض هذه الفتنة وكبسوا حبس الشرطة فاطلقوا من فيه وأذنت دولته بزوال وعقدته بانحلال ولم يزل الاولياء والحواشي والنظار والعمال يصيرون الى حضرة شرف الدولة بالاهواز وواسط من غير احتشام ويقدمون من غير احجام فلما رأى صمصام الدولة ووالدته وأبو حرب زيار وفولاذ بن ماناذر ما قد انتهى الامر اليه أجالوا الرأى بينهم

﴿ ذكر رأى سديد رآه زيار فى تلك الحال وأشار به ﴾
﴿ على صمصام الدولة فلم يعمل به[١٨٩] ﴾

أشار بالاصعاد الى عكبرا ليعرف بذلك من هو معهم ممن هو عليهم ويتميز الآنس بهم من النافر عنهم وقال : ان الجيل كلهم في طاعتنا مخلصون وفى سلكنا منخرطون ولا بد من ان ينضاف اليهم قوم آخرون فان رأيتم عدتنا كثيرة وشوكتنا قوية بحيث تسكافي فى المقارعة أخرجنا ما فى أيدينا من المال وأطلقناه للرجال وان ضعفنا عن القراع وعجزنا عن الدفاع تممنا الى الموصل وينضم أبو القاسم سعد الحاجب ومن المساكر الينا ويكثر جمعنا ويقوى أمرنا . فان الديلم والاتراك سيكثرون عند شرف الدولة ثم لا يزال بهم التنافس والتحاسد حتى يحدث بينهم التباين والتباعد وبازائهم منك ملك تعلق به آمالهم وتطمح نحوه أبصارهم وهي الايام والغير والقضاء والقدر والامر يحدث بعده الامر

﴿ ذكر رأى آخر سديد أشار به فولاذ فلم يقبل منه ﴾

قال فولاذ : الصواب المسير الى قرميسين والحصول فى أعمال بدر بن حسنويه ومكاتبة فخر الدولة (وكان فى صلح صمصام الدولة[١٩٠] بحسب ما نسجه ابن عباد بينهما) واستمداد عسكر والمسير على طريق أصفهان الى

فارس والتغلب عليها . وفيها آخر : ان شرف الدولة وذخائره فليس بإزائنا في تلك الاعمال أحد يقاومنا ويدافعنا واذا حصلنا بها لم يستقر لشرف الدولة قدم بالعراق ولم يستمر له أمر على الاتساق ويضطرب أمره وتنحل قواه وينزل في الصلح على حكم اختياره ورضاه .

فمال صمصام الدولة الى رأي زيار في الاصعاد ووقع الشروع في ترتيب أسبابه ثم بدا له من ذلك

﴿ ذكر رأي خطأ استبد به صمصام الدولة في ﴾
(اسلام نفسه الي شرف الدولة)

لما رأي الخرق قد اتسع والامر قد التبس ضاق صدره وقل صبره . وكل ملك لم يكن صدره في النائبات رحيبا وصبره في الحادثات عتيدا ونفسه في المعضلات مديدا أوشك أن يضمحل شأنه ويولي زمانه . فعمل على اطّراح ذلك كله والانحدار الى شرف الدولة ونزل الى زبزبه مستبداً برأيه غير ناظر في بصائره وواردا على أمر غير (١٩١) عالم بمصادره . فلما حصل تحت روشن زيار قدّم الى فنائه وتقدم باستدعائه فنزل اليه وعنده انه يصعد الى داره فلما لم يبصر لصعوده أثرا قال : الى أين أيها الملك ؟ قال : الى أخي . قال : أوَ قد تغير رأيك عما كنا عليه . قال : نعم : قال : لا تفعل فان الملك عقيم والخطب عظيم والملوك لا تصل أرحامها ولا ترعى للقربى ذمامها وفي اسلام النفوس أخطار وحسن الظن في مثل هذه المواطن اغترار فراجع فكرك وتبصر أمرك . فقال له : ما أرى لنفسي رأيا صوابا الا ما عملت عليه . قال له : خار الله لك . ثم قال له صمصام الدولة : فعلى ماذا عملت أنت ؟ قال : اذا كنت قد رأيت ذلك رأيا وأنت أنت لم أرغب بنفسي عن نفسك ولم يكن

خوفى أعظم من خوفك . فقال له : أما أنت فلا أرى لك ان تضع يدك فى يد شرف الدولة . وودعه وانحدر . فلما قرب من معسكر شرف الدولة وقد خيّم بنهر سابس أنفذ من يؤذن بوصوله فوافى أبو نصر خواشاذه فى زبزب وقرب من زبزبه وخدمه ثم قال له : الملك يتعرّف خبر الامير والحمد لله على ما وفقه من هذا العزم الذى يبلغ فيه مراده . ثم صار الى المشرعة وهناك دابة قد قدّمت لاجله (١٩٢) فركبها ونزل عند خيمة شرف الدولة وهو واقف ينتظره وبين يديه حواشيه وخواصه وقد ارتجّ المعسكر بالخبر . فلما وصل اليه قبل الارض ثلاث مرات بين يديه وقرب منه فقبل يده فسأله شرف الدولة عن حاله فى طريقه فاستصوب رأيه فى وروده فاجابه صمصام الدولة جوابا شكره فيه وأراه قوة نفسه به . فوقف قليلا ثم قال له شرف الدولة : تمضى وتغير ثيابك وتتودع من تعبك . فخرج من حضرته وحمل الى خيمة وخركاه قد ضُربتا له بغير سرادق وفى صدر الخركاه ثلاث مخاد فدخل وجلس على المخدتين وأطرق اطراق الواجم وأبصر أمر غلطه فبان عليه أسف النادم : وأخرج أبو الحسن نحرير وأبو بكر البازيار الى بغداد للاحتياط على ما فى دار المملكة والخزائن والاصطبلات

﴿ ذكر ماجرى عليه أمر زيار وفولاذ ﴾

لما انحدر صمصام الدولة ولم يبق لهما ملجأ أعيتهما الحيل وضاقت بهما السبل فخذتا نفوسهما بالانحدار ووقع فى قلوبهما حسن (١٩٣) الظن لتبين مواقع الاقدار فغابت عنهما الاراء وطلت عليهما تلك الانحاء . وقام الرشيد فانحدر بعد صمصام الدولة على الاثر وحملا أمرهما على الغرر فاما زيار فانه قبض عليه بعيد وصوله وقتل وأما فولاذ فاعتقل ثم حمل الى قلعة نهر . وسار

أبو علي التميمي من دير العاقول الى مدينة السلام بعد انحدار صمصام الدولة فدخلها وسكن البلد وورد شرف الدولة ونزل الشفيعي في شهر رمضان واجتمع في عسكره من الديلم الواردين والمقيمين تسعة عشر الف رجل ومن الاتراك ثلاثة آلاف غلام فاستطال الديلم على الاتراك فوقعت بينهم مناوشة

﴿ ذكر الفتنة التي جرت بين الديلم والاتراك ﴾

كان الديلم قد أعجبهم كثرتهم وغرتهم قوتهم فجرت منازعة بين نفر من الطائفتين في دار واصطبل جرت خطبا عظيما

فان النار بالعودين تذكى　　وان الحرب أولها كلام [1]

فاجتمع الديلم بالحلبة وركب الغلمان وجرت بينهم حرب كانت (١٩١) اليد فيها للديلم وقيل انهم ذكروا صمصام الدولة وهموا بانتزاعه

﴿ ذكر اتفاق سلم به صمصام الدولة من ﴾
(القتل بعد أشرافه عليه)

قال أبومنصور أحمد بن الليث: حدثني صمصام الدولة قال: كنت في خركاه بالشفيعي وليس بيني وبين شرف الدولة الا لبدها وثوب خيمة تجاورها وقد ثارت الفتنة وذكرت في الديلم فسمعت نحرير الخادم يشير على شرف الدولة بقتلي ويقول: نحن على شرف أمر عظيم فما يؤمننا ان يهجم الديلم علينا وينتزعونه من أيدينا فيصير الى الملك ونصير الى الاسر. وشرف الدولة يمتنع عليه وعلى من كان يشد رأيه فلما زاد الامر أقيم على باب الخركاه التي كنت فيها غلام بسيف وأطه وصي بقتلي ان هجم الديلم فارتعت وأقبلت على القراءة في مصحف كان في يدي واستخلصت في الدعاء الى الله تعالى

---

(١) الاغاني ٦ : ١٢٨

بالخلاص ففضل الله بالسلامة وتفرق جمع الديلم

﴿ ذكر تفريط جرى من [١٥٥] الديلم في هذه الحرب ﴾
(حتى آل أمرهم الى التسرد والهلاك)

كان الاستظهار للديلم على الاتراك في أول الامر لانهم أفلتوا من أيديهم موالين فحملهم الحنق والطمع فيهم حين قلوا في أعينهم على تتبع آثارهم وتشوشت مصافهم والديلم اذا اضطربت بينهم بانت عورتهم فوجد الاتراك مجالا من ورائهم وأمامهم فحملوا عليهم من وجوههم وظهورهم وكانت الدائرة على الديلم ولم يمض الا ساعة حتى قتل منهم زهاء ثلاثة آلاف رجل وكر الغلمان الى البلد فنهبوا دورهم واحتووا على أموالهم وقتلوا كل من أدركوه منهم وتسرد الديلم فبعض أصعد الى عكبرا وبعض مضى الى جسر النهروان ولاذ الاكثر منهم بخيم شرف الدولة .

وبان سداد الرأي الذي كان رآه زيار صمصام الدولة في الاصعاد الى عكبرا فلو انه عمل منه لكان مع هذه الفتنة قد ثاب أمره الى الصلاح لكن القدر غالب والتسليم للقضاء واجب

ودخل شرف الدولة [١٦] في ثاني هذا اليوم والديلم اللائذون به قد أحدقوا بركابه ونزل في المضارب تحت الدار الملكية . وركب الطائع لله في غد في الحديدي مهنئا له بالسلامة وتلقاه شرف الدولة الى آخر دار الفيل فقبل الارض بين يديه وعاد الطائع لله الى الدار . ووقع الشروع في اصلاح ما بين الديلم والاتراك فيسر الله اتمامه وأخذت العهود على الطائفتين فتصالحوا وتواهبوا وتهذبت الامور وجرت على الارادة وكان ذلك من أقوى دلائل الاقبال والسعادة

﴿ ذكر جلوس شرف الدولة للتهنئة وما جرى ﴾
﴿ أمر صمصام الدوله عليه فى الاعمال ﴾

لما حضر عيد الفطر جلس شرف الدوله جلوسا عاماً ودخل الناس على طبقاتهم وجاء صمصام الدولة فقبل الارض بين يديه ووقف من جانب السرير الايمن وجىء بعده الامير أبو نصر ابن عضد الدولة وفعل مثل ذلك ووقف . وحضر الشعراء فانشدوا وعرّض بعضهم [١٩١] بذكر صمصام الدولة بما فيه غضيضة عليه فانكر شرف الدوله ذلك ونهض من المجلس . ولم يُعرف لصمصام الدولة خبر بعد ذلك الموقف حتى قيل انه حمل الى فارس فاعتقل فى القلعة وسيأتى ذكر ماجري عليه الامر فى كحله ثم عود الملك اليه بفارس في موضعه بأذن الله

ولما حصل شرف الدولة بمدينة السلام سأل عن أبى الريان وطلب فوجد ميتا مدفونا بقيوده في دار أبي الهيجاء عتبة بن عتّاب الحاجب وكان سلم اليه بعد القبض عليه وأمر بحبسه فقتله فاُخرج من مدفنه وسُلّم الى أهله

وفى هذه السنة ورد خبر وفاة أبى تمام المظفر بن على الملقب بالموفق أمير البطيحة واستقرار الامر بعده لأبى الحسن على بن نصر بالعهد الذى عهده اليه حسب ما تقدم ذكره وكتب الى شرف الدولة يبذل الطاعة والخدمة ويسئل التقليد والتلقيب والخلع فاجيب الى ذلك جميعه ولقب بالمهذب أولا ثم بمهذب الدولة من بعد

﴿ ذكر استقرار الامارة بالبطيحة على الملقب بمهذب الدولة [١٦٨] ﴾

لما توفى المظفر انتصب أبو الحسن على بن نصر فى موضعه . وكان أبو الحسن على بن جعفر يفوقه فى كثير من الخلال سخاء وشجاعة وأبوة

ولكنه قدمه ووطىء عنقه تمسكا بالوصية التي أحكم المظفر عقدها وقلدها عهدها . وكان مع تقديمه اياه ينزل نفسه منه منزلة المشارك في الاعمال والمشاطر في الاموال فابقاه على بن نصر وقاربه وأفرد له النواحي الكثيرة والمعايش الجليلة وخلّى بينه وبين ارتفاعها . واستمرت الحال على ذلك (الى) ان توفى على بن جعفر فارتجع على بن نصر ما كان في يديه سوى أملاكه الصحيحة فانه أقرّها على ولديه . وتدرجت الاحوال لعلى بن نصر الملقب بمهذب الدولة في أفعاله الرضية الى الرتبة العلية حتى عظم قدره وسار ذكره واستجار به الخائف فأجاره أمانه ولاذ به الملهوف فوطأ له كنف احسانه وسلك بالناس طريقة جميلة في العدل والانصاف وصارت البطيحة معقلا لكل من قصدها من الاطراف واتخذها الاكابر وطنا فبنوا فيها الدور وشيّدوا فيها القصور وقصدها المعترفد[(١)] (١٩٠) والشعراء من كل صوب وفج الى بابه فاوسعهم جودا ونوالا واكراما وافضالا . وكاتب ملوك الاطراف وكاتبوه وقاربهم وقاربوه وزوجه بهاء الدولة ابنته ونقلها اليه واستعان به في عدة أوقات فأعانه واستدان منه فأدانه وخطب له بواسط والبصرة وأعمالها وصرفت اليه الدنيا أعنّة اقبالها . وتوّجت الايام مفرق مفاخره بمقام القادر بالله رضوان الله عليه في جواره فضاعفت له هذه المنقبة حسباً وصارت له الى استحقاق المدح سببا ولو لا كرم نفسه وخيرها لما مدحت البطيحة ولا أميرها .

نفس عصام سوّدت عصاما وعوّدته الكر والاقداما

وهذه عقبى أفعال الخير فانها تبلغ صاحبها درجة توفى على آماله وتنتهى

---

(١) لعله سقط شيء

به الى منزلة لا تخطر بباله فالسعيد من قدّم عملا صالحا لأخراه وخلف ذكرا جميلا في دنياه . وسيأتى ذكر ما تصرفت به الامور فى مواضعه بعون الله تعالى وحسن توفيقه

﴿ ذكر ما أعتمده شرف الدولة من الافعال (٢٠٠) الجميله ﴾

(عند استقراره بمدينه السلام)

رُدّ على الشريف أبي الحسن محمد بن عمر جميع ما كان له فى سائر البقاع من الاملاك والضياع وجدد عنده آثار النعمة والاصطناع فاستضاف ضياعا الى ضياعه وتضاعفت موارد ارتفاعه فكان خراج أملاكه فى كل سنة الفى الف وخمسمائة الف درهم يصححها فى ديوان السلطان وناهيك بذلك ثروة حال وكثرة استغلال

ورّد على الشريف ابى أحمد الموسوى أملاكه وأقر ابن معروف على قضاء القضاة وراعى الكل من الكتاب والمتصرفين معه (١) وادرّ عليه معاشة ورزقة ورفع أمر المصادرات وقطع أسبابها وذم (٢) طرق السعايات وسد أبوابها

﴿ ذكر اتفاق عجيب دل على حسن نيه وعاد بصرف أذية ﴾

ذكر أبو الفضل مهيار بن حاتم المجوسى استاذ الدار انه سلم الى شرف الدولة (٢٠١) مدرجا فيه سعاية فوقف عليه وطواه وتركه على كرسى مخادّه ونهض من مجلسه وانسيهُ فلما كان بعد أيام ذكره فقال لى : يا با الفضل امض الى ذلك المجلس واطلب مدرجاً تركتهُ هناك . فمضيت الى المكان فلم أجده وسألت عنه فلم أعرف خبره فعدت اليه فأخبرته فقلق عنه وشدد علىّ في الكشف عنه فخرجت من بين يديه وأنا قلق لما رأيت من شغل قلبه

---

(١) لعله : حقه   (٢) لعله : وردم

وأحضرت كل حاضر فى الدار وغائب عنها من الحواشي والفراشين وبالغت فى الوعيد والتهديد وكدت أوقع ببعضهم . فبينما أنا فى ذلك اذ حضر فرّاش ومعه قطعة من قرطاس وقال : وجدت الغزلان عند المخاد وقد أكل أكثره وبقيت منه بقية هى هذه . فدخلت الى شرف الدولة وشرحت له ما قال الفراش وأريته القطعة الموجودة فلما تأملها سرى عنه وقال : هذه قطعة من المدرج وقد كنت عازما على نفية أثره لئلا يقف أحد على خبره فاذا كان الغزال قد كفانا أمره فقد أراد الله تعالى بذلك صرف الاذى عن الناس ولعن الله الشر وأهله . فانظر الى آثار الخير ما أحسن موضوعها واصغ الى أخبار العدل ما أطيب مسموعها وقسها بضدها من الشر والظلم [٢٠٢] تجد لها منظرا فظيعا ومسمعا شنيعا . فطوبى لمن حكّم في التمييز سمعه وبصره ثم وُفّق فى الاختيار للاحسن وتتبع أثره

ونظر أبو نصر سابور بن اردشير فى الاعمال والمعاملات وغمس يده فيما انحل عن الديلم من الاقطاعات ونظر فى الامور وتفذها الى حين ورود أبي منصور محمد بن الحسن بن صالحان على ما يأتى ذكره

﴿ ودخلت سنة سبع وسبعين وثلثمائة ﴾

فيها ورد الامير أبو منصور وتلقاه الناس كافة من مدينة السلام الى المدائن ثم تلقاه شرف الدولة الى الشفيعي فدخل البلد على غاية الاكرام . وانتظمت الامور على يديه كل الانتظام وطالب العمال بعمل المصالح وأخذهم باقامة العمارات ووجد الاسعار متزايدة والاقوات متعذرة فرتب نقل الغلات من بلاد فارس فى البحر وجدّ فى حملها من كل بلد . واستتر سابور ابن اردشير مدة ثم توسط أبو بكر الفرّاش حاله على أخذ الامان له من أبى منصور فآمنه ،

﴿ ذكر بعض أخلاقه وطرائقه [٢٠٣] ﴾

كان الغالب عليه فعل الخير وايثار العدل وحسن الطريقة في الدين فاذا سمع الاذان بالصلاة ترك جميع شغله ونهض من مجلسه لاداء فرضه ثم عاد بعد ذلك الى أمره . قال صاحب التاريخ : ما رأينا وزيرا دبّر من الممالك ما دبره فان مملكة شرف الدوله أحاطت بما بين الحد من كرمان طولا الى ديار ربيعة وبكر وعرضا الى الاحساء والرقة والرحبة وحلوان . وكانت له تجارات وحمولات بنيسابور تقبل توقيعاته عليها في المعاملات وانه عرضت عليه رحال باستحقاق بعض الجند والحواشي فوقّع بمالها على الموصل وعمان نصفين [١]

ونحن نقول كيف به لو أدرك زماننا ورأي هذه الدولة القاهرة التى تجول عساكرها وجند ملكها فى الاقطار [نافذ] بامره فترد مشارع الخليج كما ترد مشارع جيحون وسراياها الآن بالخفار قاربة لورد النيل وكفي بما بين هذه الموارد الثلاث ممالك واسعة الطول والعرض . وأوامر وزيره نافذة فيها بالابرام والنقض . والدهماء ساكنة في جميعها برأيه وتدبيره والهيبة ضابطة لجميعها بسياسته وتقريره . وأين من يوقع على الموصل وعمان ممن يوقع على أعمال الشام وأقاصي خراسان ؛ ان الفرق بينهما بعيد

تريني السها [٢٠٤] وأريه القمر

وأي فخر فى أن يقبل في بلاد المخالفين خط يكتب على معاملة تاجرية [٢] فان يكن ذلك من جهة المناقب فامرُ التجار اذاً أنفذ في المشارق والمغارب لانهم يكتبون بالاموال الجمة على معاملاتهم فيكون أسرع في الرواج من

---

(١) روى هذا بعينه سبط ابن الجوزي في تاريخه مرآة الزمان عن ابن الصابي

(٢) لعله : تجارية

مال الجباية والخراج . وانما الفخر فى نفاذ الاحكام على البلاد التى مهّدتها السيوف للاقلام والملك ما قطر الدم من الصفائح فى افتتاح أعماله ثم جرى المداد فى الصحائف باطلاق أمواله . وليس هذا موضع بسط المقال فى ذكر هذه الفضائل ولكنا ننتهز الفرصة أولا فأولا فى اقامة الشواهد والدلائل على تفصيل والدليل على تفضيل زماننا حسب (١) ما قدّمنا ذكره في صدر كتابنا هذا لتكون أقوالنا محققة بالبيان ودعاوينا مصدّقة بالبرهان . فأحسن القول ما صاحبه الصدق فزانه وأسوأه ما مازجه الكذب فشانه والله تعالى ولىّ حسن التوفيق بمنّه

ونعود الى سياقة التاريخ . وفى هذه السنة ندب قراتكين الجهشيارى لقتال بدر بن حسنويه وخلع عليه الخلع الجليلة وفيها السيف والمنطقة الذهب وخرج شرف الدولة الى معسكره لوداعه (٢٠٥)

﴿ ذكر ماجرى عليه أمر قراتكين في هذا الوجه ﴾

كان شرف الدولة مغيظا على بدر بن حسنويه لانحرافه عنه وتحيزهُ الى فخر الدولة فلما استقرت قدمه وقرُب من طاعته كل جامح شرع فى تدبير أمر بدر . وكان قراتكين قد جز الحد فى التبسط فرأى ان يخرجه في هذا الوجه فاما أن يظفر ببدر ويشفى منه صدره واما ان يستريح من قراتكين فيلقى أمره فجرد معه من العساكر وأصحبه من الخزائن ما استظهر فيه وعرف تداريجه فاستعد واحتشد وتلاقيا على الوادى بقرميسين

﴿ ذكر خدعة تمت لبدر على قراتكين وعسكره لفرطهم وقلة حزمهم ﴾

لما توافقوا انهزم بدر حتى توارى عنه وظن قراتكين وعسكره انه

---

(١) بالاصل : خير

قد مضي على وجهه فنزلوا عن خيولهم وتفرقوا في خيمهم فلم يلبثوا ساعة حتى كر بدر راجعا وأكب عليهم اكبابا أعجلهم من الاستعداد [206] والتجمع وقتل منهم مقتلة عظيمة واحتوى على جميع ما في معسكرهم. وأفلت قراتكين بحشاشة نفسه في شرذمة من غلمانه وعاد في يومين الى جسر النهروان وتلاحق الفل به واحد بعد واحد وحمل اليه من بغداد ما لمّ به شعثه ودخل الى داره. واستولى بدر بعد ذلك على أعمال الجبل وما والاها وقويت شوكته

(ذكر ما جرى عليه حال قراتكين بعد)
(عوده في سوء تدبيره وما انتهى أمره)
(اليه حتى آل الى قتله)

قد تقدم القول فيما كان حصل في نفس شرف الدولة منه لاسرافه في استعمال الدالة واستيلاء كتابه وأصحابه والتجاء كل متعزز الى بابه. وعاد من الهزيمة المذكورة وقد زاد تجبيه وتغضبه وتضاعفت تبسطه وتسحبه وأغرى الغلمان بالتوثب في دار المملكة على الوزير أبي منصور حتى لقوه بالصعب وقالوا له: أنت كنت السبب [207] في هزيمتنا بتأخيرك المال والسلاح والنجدة عنا. فاوطئوا وذعموا عنه ثم وقع الشروع في اصلاح الحال بين الوزير وبين قراتكين فتم. وأسر شرف الدولة من ذلك غيظا فكتمه في قلبه وأمسك مزوّيا في سبب خطابه فلم تمض أيام حتى قبض عليه وقيد ثم قتل من يومه وأنفذ الى داره من قبض على أصحابه وكتابه واحتاط على معاملاتهم وأسبابهم. وخاض الغلمان في الشغب لاجله فلما أيقنوا بقتله وأرضى أكابرهم تبعهم أصاغرهم فامسكوا

وقُدِّم طغان الحاجب بينهم وأُقيم مقامه فيهم فلزموا بعد ذلك الطريقة السوية واستشعروا المراقبة والتقيّة

ومن أعظم الاغلاط دالّة الاتباع على السلاطين وان سبقت خدمهم وسلفت حُرَمهم فانها موذنة بزوال نعمهم منذرة بورود مناهل الحمام . ومثل المدال على السلطان بتمكنه منه كمثل راكب الاسد فبينا تراه عزيزا رفيعا اذ صار بين براثنه ذليلا صريعا ألا وان ذلك لمن أخطر المراكب وأحقها بسوء العواقب . وكفاك بقصة قراتكين تذكرة وتبصرة

ولما تمهدت الامور عُقد مجلس حضره الاشراف والقضاة والشهود وجُددت الوثيقة فيه بين الطائع لله وبين شرف الدولة واستقر ركوب [(٢٠٨)] شرف الدولة الى دار الخلافة

(ذكر ما جرى عليه الامر فى جلوس الطائع)
(بحضور شرف الدولة)

ركب شرف الدولة فى الطيار بعد ان ضربت له القباب على شاطىء دجلة وزينت الدور التى عليها فى الجانبين بأحسن زينة وجلس الطائع لله جلوسا عاما وخلع عليه الخلع السلطانية وتوّجه وسوّره وطوقه وعقد له بيده لوائين أسود وأبيض وقُرِئ عهده بين يديه . وخرج من حضرته فدخل على أخته المصونة بنت الطائع لله وأقام عندها الى وقت العصر ثم انكفأ الى داره والناس مقيمون على انتظاره . ولما حمل اللواء تخرّق واقصلت منه قطعة فتطيّر من ذلك فقال له الطائع لله : انما حملت الريح منه قطعة وتأويل ذلك ان تملك مهبّ الريح.

وكان أبو عبد الله محمد بن أحمد معروفا في جملة من حضر مع شرف الدوله فلما رآه الطائع لله قال له

مرحبا بالأحبة القادمينا أوحشونا وطال ما آنسونا . (٢٠٩)

فقبل الارض وشكر ودعا

وفى هذه السنة ورد الخبر بوفاة سعد الحاجب بالموصل

(ذكر ما جرى عليه أمر سعد بعد انحدار زيار من الموصل الى ان توفى)

لما أراد زيار الانحدار قرر سعدا على الحرب وأبا عبد الله ابن أسد على الخراج فلم يلتئم ما بينهما وحصلا على وحشة . وورد شرف الدولة مدينة السلام فكاتب سعدا بمراره على الامر تأنيسا له وكان من عزمه ان يضربه بابى على التميمى بوعد سبق من شرف الدولة اليه فمات أبو على وبطل ذلك . وعرف شرف الدوله ما يجرى بين سعد وأبى عبد الله ابن أسد من الخلف فى الامور فامر باستدعاء ابن أسد وترتيب ابن أخيه فى مكانه نائبا عنه . وكتب سعد يذكر تضاعف ما تأخر الاولياء من أرزاقهم وفرط مطالبتهم بما اجتمع في استحقاقهم فعول به فى الجواب على بقايا للموصل وأعمالهم[1] بحسب ما ذكره ابن أسد بالحضرة . وأخرج اليه أبو سعد الحسن بن عبدالله الفيروز ابادى وأمر بمحاصرة الديلم على النزول عن الفاضل جميعه أو معظمه فلما وصل أبو سعد الى (٢١٠) الحصباء خيم بها فحمل اليه سعد انزالا فلم يقبلها .

(ذكر رأى سيئ لابى سعد من رد ما حمله)

(ومكيدة لسعد تمت عليه)

كان من غلط الرأى ما اعتمده أبو سعد من رد ما حمله اليه سعد من

---

(١) لعله : أعمالها

الازال فان ذلك عاد بسوء ظنه فيه وأوجس فى نفسه انه لم يفعل ذلك الا عن قاعدة أحكمت فى طلب مكروهه . وكان الديلم يميلون الى سعد ويطيعونه فأوحشهم من أبى سعد ووضعهم باطنا على الايقاع به فشغبوا وراسلوا سعدا : بانك لم تزل تعدنا وتمطلنا بورود من يرد من حضرة السلطان لانظر فى أمورنا وقد ورد هذا الرجل وما رأينا وجها لما كنا نتوقعه وبلغنا انه معوّل على المسير الينا لاستنزالنا عن أموالنا وارضائنا من البقايا وهذا مما لا نقنع به . فاجابهم جوابا ظاهرا أسكتهم به وراسل أبا سعد بان : الصواب ان ترفق بهم اذا راسلوك رفقا لا تلين لهم فيه وتستوفى عليهم استيفاء لا تنفرهم به . فلما حضره رُسلهم (١٢) غلظ فى جوابهم فوثبوا به وهموا بقتله فهرب والقى نفسه الى دجلة فاستنقذ منها الى بعض السفن وهو مجروح وعبر الى الجانب الشرقى الى ان سكنت الثائرة ثم ردّه سعد الحاجب وأنزله داره وأمر بمداواته مما به . ومضت أيام فاعتل سعد الحاجب وقضى نحبه (وقيل ان أبا سعد الفيروزابادى واطأ بعض خواصه على سمه) فلما توفى ظهر أبو سعد وجلس فى داره واحتاط على ماله وتولى الامور الى ان وصل اليه من الحضرة من اجتمع معه على تحصيل التركة وحملها .

وأخرج أبو نصر خواشاذه الى الموصل لحفظ أكنافها وزمّ أطرافها .

وتجدد لباد بن دوشنك مع وفاة سعد الحاجب طمع فى التغلب على البلاد فصار الى طور عبدين وهو جبل مطل على نصيبين

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر أبى نصر خواشاذه مع باد ﴾

(عند اصعاده من الموصل)

لما عرف أبو نصر الخبر دعته الضرورة لقصد نصيبين لدفع باد (٢١٢)

فكتب الى الحضرة يستمد ويستنجد فأمد وأنجد بما هو غير كاف وخاف ان يجري حاله مع باد على ما جرت عليه حال أبي سعد بهرام وأبي القاسم سعد فاستدعى بني عقيل واستدناهم وعوّل في حرب باد عليهم لانهم أخف خيولا وأسرع خروجا وقفولا والا كراد خيولهم بطاء وعددهم للحرب ثقال

﴿ ذكر رأى رآه أبو نصر في اقطاع البلاد حين ﴾
(تعذرت عليه وجوه الاطلاق)

كان الوزير أبو منصور يقصده لشغب بينهما فأخّر أمره وعلّله بالمواعيد ثم كان قدْر ما حمله له بعد تلك المواعيد المكررة ثلثمائة الف درهم وأين يقع ذلك القدر من مثل هذا الخطب ! وكان أبو نصر يعلل من معه بوصول الحمل فلما عرف مبلغه رأى أن يكتم أمره خوفا ان يظهر فتنقطع الآمال وتتفرق الآجال[1] ويهجم عليه باد فينهزم بأسوأ حال . فعدل الى تفرقة البلاد على العرب وتسليمها اليهم وقال : هذه بلاد بازاء عدوّ وقد استفحل أمره واذا حصلت لهؤلاء العرب دفعوا عنها في عاجل الحال لنفوسهم دفع القوم عن حريمهم فان قوى أمر السلطان (٢١٣) كان انتزاعها من أيديهم أسهل من انتزاعها من يد باد . فكان الواحد منهم يكتب رقعة ويسأل فيها اقطاعه الخربة الفلانية (وتكون ضيعة جليلة) فيوقع له بها من غير اخراج حال ولا تعرّف ارتفاع وارتفق كاتبه على ذلك أموالا جمة

(ذكر حيلة سحر بها باد عين من بازائه واسترهبهم)

كان يقيم البقر على رؤس الجبال ويجعل بينها رجالة يبرقون بالسيوف والحراب فاذا شوهدوا من بعد ظنوا رجالا فلا يقدم العسكر على الصعود

(١) لعله : الرجال

اليهم . فاتفق انه نزل أخ لباد وقاتل قوما من العرب فقتل وبلغ قتله من باد كل مبلغ وضعف أمره فبينما هو فى ذلك اذ ورد الخبر على أبى نصر بوفاة شرف الدولة فكتمه وعاد الى الموصل فاظهر فيها العزاء به . وانفسح باد وأصحابه وتمكن من طور عبدين واستضافها الى ديار بكر ولم يقدم على الاصحار خوفا من العرب فصار الجبل له والسهل لبنى عقيل ونمير . وكان أبو نصر على اصلاح أمره ومعاودة حرب باد اذ أصعد ابراهيم وأبو عبد الله الحسين ابنا ناصر الدولة (٢١٤) الى الموصل . وسيأتى ذكر ما جرى عليه أمرهم من بعد بإذن الله تعالى

﴿ ودخلت سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ﴾

فيها قبض على شكر الخادم من الموضع الذى كان مستترا فيه وحمل الى حضرة شرف الدولة وعلى أبى منصور أحمد بن عبيد الله بن المرزبان الشيرازى لاجله

«(شرح الحال فى ذلك)»

كان شكر قد أسلف الى شرف الدولة ما أوحشه وتولى ابعاده عن بغداد الى كرمان فى حياة عضد الدولة وقام بامر صمصام الدولة فحقد عليه شرف الدولة فلما انحل أمر صمصام الدولة ووقع اليأس منه خاف شكر . وكان أبو منصور أحمد بن عبيد الله بن المرزبان الشيرازى صديقا خصيصا له فقال له . شرف الدولة قد أقبل وأرى الاستظهار لنفسى بالاستتار ثم اعمل الحيلة فى الخروج عن البلد فاعدّ لى موضعا عندك لاصير اليك . فقال له أبو منصور : اما حصولك فى دارى فلا يخفى لكثرة من يطرقها ولكن اختار لك مكانا منه . فلما كان فى (٢١٥) الليلة التى انحدر فيها صمصام الدولة

الى شرف الدولة استدعى من قبل أبي منصور من يصير به ليلا الى الموضع الذي أعدّه . فانفذ اليه زوجته بنت أبي الحسين ابن مقلة ونزل شكر في سمارية وأصعد الى الجسر كأنه ماض الى عكبرا ثم انتقل الى سمارية أخرى مع المرأة ولبس خفا وازارا كان قد استصحبهما وصارت به الى دار أبي بكر محمد بن موسى الخوارزمي الفقيه فاقام عنده مديدة . ففطن به فانتقل الى دار رجل بزّاز في رحبة خاقان يعرف بابن هرون وكان أبو منصور الشيرازي يثق به

(ذكر رأي سديد رآه البزّاز وقبله شكر)

(ثم خالفه فيه من بعده)

قال له : أيها الاستاذ ملاك أمرك وأمري في سترك ان أتولى خدمتك ولا يدخل الى بيني وبينك وبين هذه المرأة (اشارة الى زوجته) رابع . فقال : افعل . فقام الرجل بخدمته فلما مضت مدة راسل شكر أبا منصور وقال له : لي جارية حبشية وأنا أثق بها وأريد ان تتولى خدمتي . فاجابه : بأني لا آمن عليك . فراجعه حتى استقرّ الامر على [٢١٦] احضارها فأُحضرت وأقامت معه . وكان قد علق قلبها بهوى فكانت تأخذ من الدار المأكول وغيره وتخرج الى حيث يدعوها هواها وربما احتبست في أكثر الاوقات فلحق شكراً ضجر من فعلها ومنعها من الخروج فلم تمتنع

(ذكر فساد رأى شكر فيما دبر به أمره)

لم يقنع بما غلط فيه من الخروج بسره الى غير أهله وقد قيل في المثل « لا تفش سرك الى أمة » حتى غلط ثانيا بالضجر في غير وقته فانه لما كثر ضجره منها رماها في بعض الايام بحميدي أصاب به وجهها فخرجت

من الدار غضبي ومضت الى باب شرف الدولة وصاحت « النصيحة النصيحة » فسئلت عنها فقالت : لا أقولها الا له . فأدخلت الدار وأخرج اليها بعض خواص الحاشية فاخبرته بحال شكر فرتب مع صاحب المعونة من الخواص من يمضي للقبض عليه فقالت : قد جرى بيني وبينه نفرة وربما استوحش وانتقل فابدءوا بدار أبي منصور الشيرازى . ففعلوا ذلك فما شعر أبو منصور وهو قاعد في داره عند حرمه [٢١١] الا بهجوم القوم عليه بغتة فقبض عليه وفتشت الدور والحُجَر فلم يوجد شكر . فمضوا الى دار البزاز وكبسوها وأخذوا شكرا منها وحملا جميعا الى حضرة شرف الدولة فاما شكر فان نحريرا استوهبه قبل وصوله فوهبه له وعدل به الى داره وأحسن اليه . ومضت مديدة وحضر وقت الحج فسأله الاستئذان له في الحج فأذن له وخرج ثم عدل عن مكة الى مصر وحصل عند صاحبها . وأما أبو منصور فانه اعتقل فتلطف الوزير أبو منصور ابن صالحان في أمره

﴿ ذكر تدبير لطيف عمله الوزير أبو منصور ﴾
(في خلاص أبي منصور الشيرازى)

قال لشرف الدولة : هـذا رجل اليه ديوان الضياع وعليه علق وحسبانات وأنا آخذه الى الديوان وأتولى محاسبته ومطالبته بما عليه . فسلم اليه ونقله الي حجرة تجاور داره وأولاه الجميل ثم توصل الى اطلاقه بعد شهور

ولم يوجد في بقية احداث هذه السنة مافيه ذكر تدبير وسياسة [٢١٢]

﴿ ودخلت سنة تسع وسبعين وثلثمائة ﴾

فيها أنفذ الطائع أبا الحسن علي بن عبد العزيز [بن] حاجب النعمان كاتبه

الى دار القادر بالله رضوان الله عليه وهو أمير للقبض عليه فخباه الله تعالى منه

﴿ ذكر السبب في ذلك وماجرى عليه الامر فيه ﴾

لما توفى اسحق بن المقتدر بالله والد القادر بالله رحمة الله عليهم جرى بينه وبين أخته آمنة بنت عجبة منازعة فى ضيعة وطال الامر بينهما وعرضت للطائع لله علة [1] أشفى منها ثم ابل . فسعت آمنة بأخيها القادر بالله الى الطائع لله وقالت له : انه شرع فى تقلد الخلافة عند علتك . فظن ذلك حقا وتغير رأيه فيه وأنفذ أبا الحسن ابن حاجب النعمان وأبا القاسم ابن أبي تمام الزينبي [2] العباسي الحاجب للقبض عليه فصعدوا في الماء الى داره بالحريم الطاهرى . فحكى القاضي أبو القاسم التنوخي عن صفية بنت عبد الصمد ابن القاهر [219] بالله قالت : كنت فى دار الامير أبي العباس (تعنى القادر بالله) يوم كبست بمن أنفذه الطائع لله وقد جمع حرمه فى غداة هذا اليوم وكنت معهن فقال لنا : رأيت البارحة فى منامى كأن رجلا يقرأ علىّ «الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» ، وقد خفت أن يطلبني طالب . وهو فى حديثه اذ شاهد زبزب ابن حاجب النعمان قد قدم الى درجة داره فقال : انا لله هذا حضور مريب يعقب هذا المنام . وصعد اليهم من الزبزب اليه وتبادرنا الى وراء الابواب فقالوا له : أمير المؤمنين يستدعيك . فقال : السمع والطاعة .

---

(١) وفى الاصل : على (٢) أبو تمام الزينبي هو الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن محمد الشريف قاضي القضاة قدم بغداد مع معز الدولة واشترى دارا باربعة وعشرين الف دينار وولى نقابة بغداد وتفقه على أبي الحسن الكرخى توفي سنة ٣٧٢ . كذا في تاريخ الاسلام

وقام فقال له أبو الحسن : الى أين ؟ فقال : ألبس ثيابا تصلح للقاء الخليفة . فعلق بكمه ومنعه فبرزنا اليه وأخذناه من يده ونزل الى سرداب في الدار ووقفنا في صدره حتى تخلص وعاد القوم الى الطائع لله وعرّفوه الحال (١)

وانحدر القادر بالله بعد ذلك مستخفيا الى البطيحة فقام عند مهذب الدولة الى ان عقدت له الخلافة . وجعل علامته حين تقلد الامر « حسبنا الله ونعم الوكيل » تبركا بالرؤيا التي رآها

ومن بعد هذه (٢٢٠) الحكاية نقول ان الله تعالى اذا اصطفى عبدا أظهر عليه آثار الكرامات ودل على اصطفائه بالآيات والعلامات واذا اختاره لامر هيأ له أسبابه وفتح عليه أبوابه ونجاه من كل سوء يخشاه وجعل الى الخير مآله وعقباه . قال سبحانه في محكم التنزيل « وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون »

وفي هذا الوقت أخرج محمد الشيرازي الفراش لكحل صمصام الدولة

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر في ذلك ﴾

كان نحرير الخادم يحض شرف الدولة على قتل صمصام الدولة ويقول له : انه ملك قد قعد على السرير ولا يؤمن الدهر وحوادثه ودولتك مع بقائه على خطر . فيعرض شرف الدولة عن هذا القول فلما اعتل وأشفى الحّ عليه في ذلك وقال له : ان لم تر القتل فكحله اذا . فأخرج محمد الفرّاش لسمل صمصام الدولة وسلم اليه وأمر بان يكحله به ثلاثة أيام كحلا ويشد عليه عينيه فمضى الفراش فقال ان يصل في شرف الدولة . فحصل الفراش بسيراف والقلعة التي فيها (٢٢١) صمصام الدولة كانت من أعمالها وعاملها رجل

---

(١) وردت هذه الحكاية في الدول المنقطعة رواية عن ثابت بن سنان

يهودي يسمى روزبه فذكر الفراش للعامل ما ورد فيه فقال : هذا أمر قد بطل حكمه مع وفاة شرف الدولة ولا يجوز تمكينك منه الا بعد اعلام أبي القاسم العلاء بن الحسن الناظر . فكتب اليه يستأذنه فعاد جوابه بتمكينه مما ورد فيه فقصد القلعة وكحل صمصام الدولة بما صحبه فذهب ناظره

(ذكر قلة حزم في استرسال عاد على صاحبه بوبال)

كان في جملة الموكلين بصمصام الدولة فرّاش يسمى بنداراً وقد أنس به لتطاول المدة فقال له قول المترثي : كيف الملك ؟ فقال له بالاسترسال : قد بقيت من نظري بقية أبصرُ بها من "لك الكوّة . فاعاد بندار قوله على محمد فاجتمعا على ان يحصا عليه بعضهم . فلما عاد صمصام الدولة الى الملك بفارس رام بندار أن يخدمه على رسمه فامر صمصام الدولة بان يكون مع الستريين[1] بالبعد منه فقال بندار . هكذا أستحق من الملك بعد خدمتي له وصحبتي معه ؟ فأعيد قوله عليه فقال : أما رضي بالابقاء (٢٢٣) عليه حتى يدلّ بهذه الدالة . واتصل الحديث بالامير أبي طاهر واطلع على قصته فامر بأخذه وصلبه فصلب . وكان صمصام الدولة يقول : ما سلمني الا العلاء بن الحسن فانه أمضى فيّ أمر ملك قد مات . ولما قبض عليه واقفه على ذلك ثم عفا عنه . وحصل محمد الفراش ببغداد فلما ورد عميد الجيوش أبو على الحسن بن أستاذ هرمز من العراق قال : أريد ان أشفي صدري بقتله جزاء له على سوء فعله . فهرب منه الى مصر وأقام بها الى ان مات عميد الجيوش

وفي هذه السنة توفي شرف الدولة وقام الامير أبو نصر مقامه في الملك

---

(١) قال ابن بطوطا ان الستاريين هم الذين يمسكون دواب الخدام على باب المشور

(ذكر ما جرى عليه الامر في علة شرف الدولة)
(واستقرار الامر للامير أبي نصر بعده)

اعتل شرف الدولة العلة التي توفي فيها وكانت من استسقاء فلما اشتدت به ندب أبا علي ولده الى الخروج الى فارس للنيابة عنه بها وأخرج معه والدته وجماعة من حُرَمه وأصحبه جلّ عدده [٢٢٣] من مال وسلاح وضم اليه عددا كثيرا من وجوه الاتراك . وعلى أثر انحدار ولده غلب عليه المرض حتى غلب اليأس منه على الرجاء فيه فاجتمع وجوه الاولياء وراسلوه باستخلاف الامير أبي نصر فيهم الى ان يبلّ من مرضه فاجابهم الى سؤالهم وروسل الامير أبو نصر بالحضور فامتنع وأظهر القلق والجزع . واستقرت الحال على اظهار استخلافه في غد ذلك اليوم وغدا الناس الى دار المملكة لذلك . فجرى من بعض القواد والخواص مطالبة باستحقاقهم خرجوا فيها الى التشديد فتقوّض الجمع من غير تقرير أمر . وعاجلت شرف الدولة منيّةُ فقضى نحبه وكُتم أمره ليلة واحدة وأصبح الناس وعند أكثرهم خبره واجتمع العسكر فطالبوا الامير أبا نصر برسم البيعة وتردد الخوض معهم في أمر العطاء ومبلغ ما أطلق لكل واحد منهم . فتولّى خطابهم بنفسه وأعلمهم خلو الخزائن من المال الذي يعمهم ووعدهم بكسر ما فيها من الاواني والصياغات وضربها عينا وورقا وصرفها اليهم وأطل المساء وراحوا الى منازلهم من غير استقرار وباكروا الغدو الى الدار فوجدوا الامير أبا نصر قد أظهر المصيبة وجلس للتعزية [٢٢٤] فامسكوا عن الخطاب .

وخرج تابوت شرف الدولة وتقدم للصلاة عليه أبو الحسن محمد بن عمر العلوي وحمل الي المشهد بالكوفة . فكان مقام شرف الدولة ببغداد

سنتين وثمانية أشهر وأياما وعاش ثماني وعشرين سنة وخمسة أشهر ثم بلغ الكتاب أجله ودعاه الداعي فاستعجله ونزلت به المنية وبقي ملكه وشبابه واختطفته من بين حشمه وأصحابه فقضى غضا طريا اما سعيدا واما شقيا في سبيل لابد للخلائق من سلوكها ولا فرق فيها بين سوقتها وملوكها ولربما كانت السوقة أخف ظهورا وأسرع في تلك الغمرات عبورا . فأف لدار هذه صورة سكانها ولشجرة هذه ثمرة أغصانها ! لقد ضل من اتخذ هذه الدار قرارا واستطاب من هذه الشجرة ثمارا فطوبى لمن قصر في الدنيا أمله وأصلح للآخرة عمله . قال الله تعالى : انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار

وترددت بين الامير أبي نصر وبين الطائع لله مراسلات انتهت الى ان حلف كل واحد منهما لصاحبه على الصفاء والوفاء وركب الطائع لله من غد للعزاء (٢٢٥)

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر في ركوب الطائع لله للتعزية ﴾

قدم الطيار على باب الدرجة وفرش سطحه بديبقي وعليه مقرمة ديباج حمراء منقوشة ووسطه بديباج أصفر وعليه مقرمة ديبقية ووقف الغلمان الاتراك الاصاغر بالسيوف والمناطق في دائر المجلس الاوسط ووافى حجاب شرف الدولة الاتراك والمولدون في الزبازب بالثياب السود والسيوف والمناطق وكل منهم قائم في زبزبه واجتمع من السفن التي فيها العامة عدة كثيرة . وخرج الطائع لله من داره وتحته فرس صنابي بمركب خفيف وسرج مغرى أحمر وعليه قباء ملحم أسود وعمامة خز سوداء على رصافية وهو متقلد بسيف وبين يديه خمسة ارؤس فوق سروجها جلال

الديباج ونزل الى الطيار فجلس في المجلس الاوسط على المقرمة في الدست على خلاف عادة الخلفاء فانهم كانوا يجلسون على سطح حراقة وبين يديه مجلس طيار وقيل انه فعل ذلك لانه كان في عقيب علة وأراد ان يخفي ما بوجهه من آثارها .

فوقف بين يديه أبو الحسن علي بن عبد العزيز كاتبه ودجي خادمه والعباس حاجبه وسار الطيار الى دار المملكة بالمخرم (٢٢٦) فنزل الامير أبو نصر متشحا بكساء طبري والديلم والاتراك بين يديه وحواليه الى المشرعة التي قدم اليها الطيار وقبل الارض وصعد أبو الحسن ابن عبد العزيز الى الامير أبي نصر فأدى اليه رسالة عنه بالتعزية فقبل الارض ثانيا ودعا وشكر . وعاد أبو الحسن الى حضرة الطائع لله وأعلمه شكره ودعاءه وعاود الصعود الى الامير أبي نصر لوداعه عن الطائع لله فأعلمه شكره ودعاءه فقبل الارض ثالثا وانحدر الطيار على مثل ما أصعد وعاد الامير أبو نصر الى داره

ثم ركب الامير أبو نصر بعد خمسة أيام الى حضرة الطائع لله فخلع عليه الخلع السلطانية ولقبه بهاء الدولة وضياء الملة وقرئ عهده بين يديه بالتقليد وقدم اليه فرس بمركب ذهب وقيد بين يديه آخر بمثل مركبه وسار العسكر حواليه الى باب الشماسية في القباب المنصوبة ونزل الى الطيار وانحدر الى دار المملكة

﴿ ذكر ما دبره بهاء الدولة عند قيامه بالملك (٢٢٧) ﴾

أقر الوزير أبا منصور ابن صالحان على الوزارة وأصحاب الدواوين وغيرهم على ما كان اليهم ثم صرف أبا سعد ابن الخياط عن ديوان الانشاء مع مد يده وعول فيه على أبي الحسن علي بن محمد الكوكبي المعلم وخلع عليه

الطائع لله وكناه ولقبه بالكافي وكانت الخلعة دُرّاعة ديبقية وعمامة قصب وحمله على فرس بمركب . وقبض على نحرير الخادم وأبي نصر ابن كعب فاعتقلا ثم قتلا

فاما نحرير فكان هلاكه على يد الحسين الفراش فاما أبو نصر ابن كعب فعلى يد أبي الحسن الكوكبي

﴿ شرح الحال فى ذلك ﴾

كان بهاء الدولة شديد الميل الى نحرير كثير الثناء عليه فلما توفى شرف الدولة أراد منه ان يجري في خدمته على ما كان عليه في خدمة شرف الدولة فامتنع نحرير وتظاهر بلبس الصوف واجتهد معه كل الاجتهاد مراسلة بالشريف أبي الحسن محمد بن عمر والوزير أبي منصور محمد بن صالحان ومشافهة بنفسه فما أجدى معه نفعا (٢٢٨)

(ذكر ما ارتكبه نحرير من اللجاج حتى آل به شر مآل)

لم تزل الحكماء وأولو العقول الراجحة يحذرون ركوب مطية اللجاج فانها كثيرة الكبوة والنفور تلقي صاحبها الى الورطة والثبور . قال أبو نصر الحسن بن الحسن المعروف بالاستاذ الفاضل : كنت قائما بين يدي بهاء الدولة وهو يخاطب نحريرا ويقول له : لا تزهد فيّ مع رغبتي فيك فانا أولى بك على ما كنت عليه من قبل . ونحرير يقبل الارض ويستعفي الى ان انتهى بهاء الدولة الى ان قال له باللغة الفارسية وقد دمعت عيناه : افعل لله . فاقام نحرير على أمر واحد في اللجاج الذى لا يقابل الملوك بمثله وانصرف من بين يديه ودخل الحسين الفراش بعد ساعة وقال : قد طلب نحرير عشرين الف درهم من الخزانة . فقال : احملوها اليه .

﴿ ذكر حيلة عملها الحسين الفراش تمّ بها قلب بهاء الدولة ﴾
(من نحرير حتى أمر بالقبض عليه [229])

لما حملت الدراهم الى نحرير عاد الحسين الفراش وقال : عرفت انه معول على الهرب في هذه الليلة وانه أخذ الدراهم وجعلها في أكياس نفقة الطريق . فانزعج بهاء الدولة لذلك وسهر ليلته يراعيه وينفذ فرّاشا بعد فراش الى داره ليعرف ما هو فيه الى ان أسفر الصبح ولم يكن لما ذكره الحسين الفراش أصل وانما أراد الاغراء به . وعطفت الجماعة بعد ذلك على بهاء الدولة باللوم له ولا سيما أبو الحسن ابن عمرو فانه كانه كان عدوّا لنحرير وقال : أيها الملك قد أسرفت في مداراة هذا الخادم اسرافا يشنع ذكره وأصرّ على مخالفتك اصرارا يصغر عنه قدره . وما زالوا بهذا القول وأمثاله حتى غيروا رأيه في نحرير وزادوا غيظه منه . فحضر نحرير بعد أيام ومعه أبو نصر ابن كعب وكان خصيصا به وأبو الحسن محمد بن عمر وأبو منصور الوزير وأبو سعد ابن الخياط في الحجرة مجتمعون فأذن بهاء الدولة في القبض عليه . ورأى أبو نصر أمارات التغير والتنكّر فاشار اليّ بيده وقال : ما الخبر . فاومأت اليه بالقيام فقام وتبعه أبو سعد ابن الخياط وأخذ أبو نصر ابن كعب الى الخزانة فاعتقل فيها . وبقي أبو الحسن محمد بن عمر ونحرير فقال له محمد بن عمر : [230] ياهذا قد أسرفت في الدوله ومن أنت وما قدرك حتى تمتنع من خدمة هذا الملك العظيم ؟ فاغلظ له في القول ونحرير مطرق فلما زاد الامر عليه رفع رأسه وقال له : أيها الشريف أين كان هذا القول منك في أيام مولاي وأنت ترى أفضل آمالك اذا بسمت في وجهك ، فأما الا ن وأنا على هذه الحال فاستعمال ما أنت مستعمله لؤم قدرة وسوء

ملكة وكيف ألام على ترك الدنيا بعد هلاك اتباعي بالف درهم ثم رفعني الى ان كنت تخدمني ولا أخدمك وتحتاج اليّ ولا أحتاج اليك ؟ فاغتاظ أبو الحسن ابن عمر وانصرف . وأخذت بيد نحرير فقعدته على الفراش من الارض فقال لى : أريد أن تحمل اليّ مصحفا وان تقول لمولانا الملك « ما كان امتناعي عليك الا ما جرت به الاقدار من ادباري وقد خدمتك وخدمت أخاك وأوجبت عليك حقاً بذلك وأسألك أن لا تسلمني الى عدوّ يشتفي مني وان تكون أنت الآمر بما تفعل بى » وأعدتُ قوله على بهاء الدولة فقال : ارجع اليه واحمل اليه مصحفا كما طلب وقل له « هذه ثمرة لجاجك فانى من تريد أن أسلمك » ، وحملت اليه المصحف وأعدت عليه القول فقال : الى أبي جعفر الحجاج . وعدتُ الى بهاء الدولة فاعلمته فاعترض [(٢٣١)] الحاضرون على ذلك فلم يصغ بهاء الدولة الى أقوالهم وتقدم بحمله الى أبي جعفر فحمل

﴿ ذكر مكيدة أخرى عملها الحسين الفراش ﴾
(تمكن بها من قتل نحرير)

جاء الحسين الفراش بعد أيام فقال لبهاء الدولة : أيها الملك قد بلغني عن ثقة صادق ان أبا جعفر الحجاج معول على الركوب في غد ومسائلك في أمر نحرير فان أجبته الى ذلك أفرجت عن عدوّ لا تأمنه فيما عاملته به وقد علمت طاعة الاتراك له وان منعته أضفت الى استيحاش نحرير استيحاش أبي جعفر . قال : فما الرأى . قال : ان تسبقه الى أخذه من داره . قال : فالى أين يحمل . قال : الى دارى التى آمن فيها على مثله . فامر عند ذلك بانفاذ من يأخذه فنقل واعتقل فى غرفة . ومضت أيام واتفق ان بهاء الدولة خرج يوما فى

آخر النهار من الحجرة والحسين الفراش يسارّ أخاه وظهره الى الموضع الذي خرج منه بهاء الدولة فلم يشعر به حتى رآه أخوه فانذره فاقبل اليه فقال له بهاء الدولة وقد رأى في وجهه وجوما وتغيراً : في أي شيء أنت ؟ قال : يامولانا ذكر أخي ان جماعة من الغلمان الشرقية (٣٣٢) اجتازوا على داري ورآهم نحرير من الغرفة فصاح اليهم وقال لهم « أنا نحرير فاهجموا على الدار واستخلصوني » فخاف الموكلون به ان يؤخذ من أيديهم فقتلوه . فقال : ويلك ما تقول . قال : ما يسمعه مولانا . فورد على بهاء الدولة من ذلك ما أزعجه وعرف بعد ذلك ان ما حكاه الحسين الفراش باطل وانه هو الذي أمر الموكلين بقتله فاسرّها في نفسه ولم يبدها له

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر أبي نصر ابن كعب في قتله ﴾

كان أبو الحسن الكوكبي نقله الى داره وأخذ منه مالا فلما قتل نحرير خاف ان يظهر ما وصل اليه منه . قال أبو نصر المعروف بالاستاذ الفاضل : كنت في بعض الايام جالسا مع الكوكبي فوافاه بعض غلمان الخزانة وأسرّ اليه شيأ لم أسمعه وعاد فقال لى الكوكبي : أتدري ما نحن فيه . قلت : لا . قال : قد أسقي ابن كعب السم دفعتين وما عمل فيه وسقي ثالثا وكان غاية فعله ان أظهر نفخا في وجهه . فوجمتُ من قوله فلما كان في غد قال لى : أعندك خبر ابن كعب ؟ قلت : لا . قال : لم ينفع ذلك السم حتى (٣٣٣) أعناه بالسيف وهو يضحك

﴿ ذكر مقابلة عجيبة فيها عبرة وتذكرة ﴾

لما تجرأ الفراش والكوكبي على ما تجرأا عليه عجّل الله الانتقام منهما جميعا . فاما الفراش فانه اعتُقل في دار نحرير وقتل بعد قليل وأما الكوكبي

فانه سُقي السم عند قتله مراراً فلم يعمل فيه حتى خنق بحبل الستارة وحضر بعض الاتراك فوجاه بسكين كانت معه .

فانظر الى هذه المقابلة الوجيهة الشريفة كيل الصاع بالصاع

وكن كيف شئت * فكما تدين تدان

واذا كانت هذه حال الدنيا التي عود الله فيها المقابلة امهالا فما ظنك في الآخرة التي جعل الله فيها لكل ذرة مثقالا ، فتعساً للظالم ما أشقاه وتباً له ماأجهله وأعناه أتظن أنه ظلم غيره ، كلا انه ما ظلم الا نفسه أما تعلم ان الحاكم عدلٌ وان القضاء فصل فهلاّ أعد لموقف سؤاله جوابا فى اليوم الذي قال الله تعالى : يوم ينظر المرء ما قدّمت يداه ويقولُ الكافر « ياليتني كنت ترابا »

وفى هذا الوقت جرت منافرة بين الديلم والاتراك أثارت من الصدور اضغانا ولقحت بينهم حربا عوانا[٢٣٤] . وتحصن الديلم بالدروب وعظمت القصة واستمر القتال أياما حتى برز بهاء الدولة الى معسكر الاتراك وخيّم عندهم لانهم كانوا أخشن فى القوة جانباً وألين في الطاعة عريكة . فتلافى الامر وراسل الديلم ورفق بالاتراك حتى ألقت الحرب أوزارها ووقع الصلح وعاد الاتراك الى البلد وتواهبوا وتصافحوا وحلفت كل طائفة للاخرى . وقويت شوكة الاتراك وعلت كلمتهم وضعف أمر الديلم بعد هذه الوقعة وتفرّق جمعهم وتسللوا فى كل طريق ومضى فريق بعد فريق

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر أبي على بعد انحداره ﴾

انحدر الامير أبو على ومن في صحبته على ما تقدم ذكره فلما حصلوا بواسط استعجمت عليه أخبار شرف الدولة وانقطعت النوبة المترددة بالكتب فساءت الظنون ثم ورد عليهم ما دل على اليأس منه فسار الامير أبو على

والاتراك على الظهر وانحدرت الخزائن والحُرَم والاثقال الى البصرة ووقع الاجتماع بطارا . ووردت الكتب بوفاة شرف الدولة وانحدر (٢٣٥) أبو شجاع بكران بن أبي الفوارس والحاجب أبو على ابن أبي الريان ليرد الجماعة فأشير على الامير أبي على بالتعجيل الى ارجان فعمل وصحبه خواص الحرم في عماريات واستصحب ما خف محمله وعول على طاهر بن زيد صاحب عبادان في توجيه بقية الخدم والاثقال التي معهم في البحر الى ارجان فتقدم بتنفيذ شيء منها . ووصل بكران وابن أبي الريان فاستوثقا كل من كان تأخر مع بقية الاثقال وقالا لهم : انما وردنا لتطييب قلوبكم . [ثم] ورد الامير أبو على الى حضرة بهاء الدولة عمه ليقضي فيه حق شرف الدولة عليه وأعاد الجماعة من عبادان الى البصرة .

ثم شغب الديلم بالبصرة وطلبوا رسم البيعة ولم يكن للمال وجه فاخذ بكران على سبيل القرض من تلك الثياب والصياغات شيأ كثيرا وصرفه اليهم ثم وقع اليأس من عود الامير أبي على فتسلم البقية . وحصل الامير أبو على بالرجال وكان أبو القاسم الرضيع بها على ما رتبه شرف الدولة من النيابة عنه وحصل معهما عدد الاتراك وفيهم مثل خمارتكين الحصي [١] وأبو الغارات والبكي ومن يجري مجراهم وكانوا جمهور العسكر فعملوا على المسير الى فارس

﴿ ذكر رأي رآه أبو القاسم (٢٣٦) العلاء بن الحسن ﴾
﴿ بالبادرة وندم عليه بعد الروية ﴾

لما انتهى اليه تميز القوم خاف ان يستقيم الدولة للامير أبي على ولا

(١) وفى الاصل « بن الحصي » والصواب فيما بعد

يكون له فيها قدم فاستعجل بمكاتبة الامير أبي على وأبي القاسم الرضيع وعرفهما ما اعتمده من جمع كلمة الديلم على الطاعة . وكان المرتّب فى القلعة التى فيها صمصام الدولة والامير أبو طاهر قد أطلقهما وكذلك المرتبة التي فيها فولاذ بن مانادر أيضا وحصل الثلاثة . . . . . . [1] كلمة الديلم على تمليك صمصام الدولة وأبي طاهر ونادوا بشعارهما وقام فولاذ بتقرير ذلك. وندم أبو القاسم العلاء بن الحسن على مكاتبة الامير أبي على وعلم ان أبا القاسم الرضيع باستيلائه سيستعلى عليه ويستبد بالامر دونه فكاتب صمصام الدولة وأبا طاهر [و] فولاذ واستدعاهم ووعدهم ومنّاهم . وسار الامير أبو على حتى نزل على ثلاثة منازل من شيراز

﴿ ذكر ما دبره أبو القاسم العلاء بن الحسن في أمر ﴾
(الرضيع حتى قبض عليه [٢٣٧])

اختار ستين رجلا من وجوه الديلم وواقفهم على ان يلتقوا الامير أبا على ويخدموه ويعرّفوه عن الاولياء طاعتهم له ويطالبوه بالقبض على أبي القاسم الرضيع قبل الدخول الى البلد وترتيب من يقوم مقامه بعد الاستقرار فيه . وضمن العلاء بن الحسن لهؤلاء الوجوه اقطاعات الرضيع بفارس وكانت كثيرة فطمعوا فيها وبالغوا في خطابهم حتى أجيبوا الي القبض على الرضيع وحمل الي العلاء بن الحسن فانفذه الى القلعة . وتمم الامير أبو على والاتراك الى شيراز فخيّموا بظاهرها

(١) بياض في الاصل لعله سقط « واجتمعت »

﴿ ذكر حيلة رتبها العلاء بن الحسن أفسد بها الحال ﴾
(بين الديلم والاتراك حتى بلغ غرضه)

أحضر غلاما من الاتراك يعرف بانوشتكين وخدعه وقال له : هل فيك لاستخدامك في أمر يكون فيه رفع لقدرك وتقديم لمنزلتك ؟ قال : نعم . قال : تعرض للديلم فتقتل منهم رجلين أو ثلاثة على سبيل الغيلة وتهرب لا ظهرك من بعد وأوفي لك بما وعدتك به . فانخدع الغلام لجهله وخرج وصعد الى حائط بستان ورمى رجلين من الديلم جازا تحته بفردات[٢٣٨] أصابت مقاتلهما وثارت الفتنة بين الديلم والاتراك ثم وقع الشروع فى اصلاح ما بين الفريقين وتم على دخل . وعدل العلاء بن الحسن الى مراسلة الامير أبي على ووالدته ويحذرهما من الديلم وبوادرهم لما ظهر من ميلهم الى صمصام الدولة وأبي طاهر فخرج الامير أبو على من دار الامارة مستخفيا بالليل الى مخيم الاتراك وتبعته والدته . وأصبح الديلم قد اجمعوا رأيهم على الابتداء بالامير أبي على والاحتياط عليه فوجدوهم قد برزوا الى المعسكر فكشفوا القناع ونابذوا الاتراك وجرت بينهم مناوشات فى عدة أيام . ثم ارتحل الاتراك بالامير أبي على وساروا الى فسا فوجدوا بها أبا الفضل ابن أبي مكتوم عاملا وتحت يده مال معدّ يريد حمله الى شيراز وعنده نحو أربعمائة من الديلم فراسلوه واستمالوه فمال اليهم واستوزره الامير أبو على وفرّق المال المجتمع عليهم وحاصروا الديلم المقيمين بها فى دار لجؤا اليها فلما فتحوها قتلوهم باسرهم وقوى أمر الاتراك بما حصل في أيديهم من أسلابهم . وعاد الامير أبو على مع علافهم الى ارّجان ومضى الباقي ومعه جمرة العسكر الى باب شيراز وقد حصل فيها صمصام الدولة[٢٣٩] فاقاموا بظاهرها مدة يقاتلون

الديلم وينهبون السواد . ثم ضجروا من المقام فانصرفوا الى ارجان .

﴿ ذكر سوء تدبير ابن أبي مكتوم في عداوة ﴾
(البكي حتى هلك)

كان قد جرى بين [ابن] أبي مكتوم وبين البكي تنافر أصرّ البكي على عداوته فيه فلما قرب من البلد تلقاه الامير أبو علي [و] ابن أبي مكتوم معه يسير على جانبه فحين وقف تلقاء الواردين سبقوا اليه وخدموه والبكي بمعزل عنهم . ثم تقدم أحد الاتراك الى ابن أبي مكتوم فجذبه بكم دراعته وساعده الباقون على سحبه الى البكي فضرب عنقه . وسار البكي لوقته الى الامير أبي علي وقد ماج الناس وتوارى أكثر الحواشي فحين بصر به قبّل الارض بين يديه واعتذر اليه وقال : ان عبيدك ما أقدموا على قتل هذا الرجل الا لما عرفوه من سوء نيته فيك وفيهم واطلعوا عليه من مكاتبة صمصام الدولة وسلمك وسلبهم ونحن خدمك ومماليكك ورؤوسنا ونفوسنا دونك . واجابه بما أظهر به الرضاء عنه .

ومضت مديدة ووافى أبو علي (٢٤٠) الحسن بن محمد بن نصر رسولا من حضرة بهاء الدولة بالمواعيد الجميلة فكاثر الاتراك وكاثروه واستمالهم في السر حتى اتفقت كلمتهم على الانكفاء الى حضرة بهاء الدولة بواسط . فلما قرب منها تُلقي وأُكرم ووصل الى حضرة بهاء الدولة وهو في مجلس أنس فقرّبه وأدناه وباسطه وسقاه ثم قبض عليه بعد أيام وحدر الى البصرة واعتقل بها . وسار بهاء الدولة الى فارس فلما عاد الى العراق استدعاه وتولّى أبو الحسن الكوكبي المعلم قتله خنقا بيده

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر صمصام الدولة في خلاصه ﴾
(وعوده الى الملك بفارس بعد شرف الدولة)

قد تقدم ذكر خلاصه وخلاص أبي طاهر وحصولهما بسيراف فلما ارتحل الامير أبو على والاتراك من باب شيراز كتب أبو القاسم العلاء بن الحسن اليهما بما فعله من تمهيد الامور وأشار عليهما بتقديم السير فساروا ونزلوا بدولتاباذ ثم دخلا البلد . فاستولى الامير أبوطاهر على الامر بقوة نفسه وشدة بأسه وتقلد فولاذ بن مانإذر أمور الديلم (٢٤١) ومايله العلاء بن الحسن فتعاضدا وصارت كلمتهما واحدة . ثم مات الامير أبو طاهر وقيل انه سُمّ فغلب فولاذ على الامور واستبد بالتدبير وعرض من فساد الحال بينه وبين العلاء ما صار سببا لانفصاله عن فارس وحصوله بالري وسيرد ذلك في موضعه ان شاء الله .

وفي هذا الوقت ورد الخبر بمسير فخر الدولة من همذان طالبا أعمال خوزستان ومحدثا نفسه بقصد العراق

﴿ ذكر السبب في حركة فخر الدولة لطلب العراق ﴾

كان الصاحب ابن عباد على قديم الايام وحديثها يحب بغداد والرياسة فيها ويراصد أوقات الفرصة لها فلما توفي شرف الدولة سمت نفسه لهذا المراد وظن ان الغرض قد أمكن . فوضع على فخر الدولة من يعظّم في عينيه ممالك العراق ويسهل عليه فتحها وأحجم الصاحب عن تجريد رأي ومشورة بذلك نظرا للعاقبة وتبرئا من العهدة الى ان قال له فخر الدولة : ما الذى عندك أيها الصاحب فيما نحن فيه . فقال : الامر لشاهانشاه وما يذكر (٢٤٢) من جلالة تلك الممالك مشهور لا خفاء به وسعادته غالبة فاذا همّ بامر خدمتُه فيه

وبلغته أقصى مراميه . فعزم حينئذ على قصد العراق وسار الى همذان ووافاه بدر بن حسنويه وأقام بها مدة يجيل الرأي ويقلّبه ويدبر الامر ويرتّبه حتى استقر العزم على ان يسير الصاحب وبدر بن حسنويه على طريق الجادة ويسير فخر الدولة وبقية العسكر على طريق الاهواز ورحل الصاحب مرحلة

﴿ ذكر رأى أشير به على فخر الدولة اقتضى ﴾
(رد الصاحب من الطريق)

قيل لفخر الدولة : من الغلط مفارقة الصاحب لك لانك لا تأمن ان يستميله أولاد عضد الدولة فيميل اليهم . فاستعاده وسارت الجماعة الى الاهواز وكان أبو منصور ابن عليكا والياً للحرب بالاهواز وأبو عبد الله ابن أسد ناظرا فى الخراج على ما رتبهما شرف الدولة فلما توفي شرف الدولة عمل أبو الحسن الكوكبي المعلم فى تغيير أمر أبي منصور ابن عليكا والقبض عليه . وندب لذلك أخا للحسين الفراش وانتهى (٢٤٣) الخبر الى أبي منصور من أصحابه بالحضرة فترك داره ورحله وأكثر كراعه ومضى مع بعض العرب قاصدا حضرة فخر الدولة ونهب الديلم بعد انصرافه رحله وكان شيأ كثيرا

﴿ ذكر رأي سديد لابي عبد الله ابن أسد استرجع به ﴾
(المأخوذ وحفظ فيه السياسة)

جمع قواد الديلم وقال لهم: ان هذا الرحل والكُراع المأخوذ هو اليوم لبهاء الدولة واذا أُخذ ونُهب كان ذلك خروجا عن الطاعة فاما ان تردّوا المأخوذ واما ان تخلوا عني لافارق موضعي وأنتم بشأنكم أبصر . فقالوا : انما فعل ذلك أصاغرنا الذين لاقدرة لنا على انتزاع ما فى أيديهم . فراجعهم وراجعوه حتى التزموا ردّ المنهوب وتحالفوا على استخلاصه ففعلوا ذلك

فاعادوه . ثم عدلوا الى المطالبة بمال البيعة فجمع أبو عبد الله صدرا من مال الارتفاع وقوّم بقية الرحل والكراع على القوم وأرضاهم به .

وشاع خبر مسير فخر الدولة فوقع بين الديلم والاتراك [٢٤٤] تنافر أدّى الى حرب بينهما أياما ثم سار الاتراك ومن مال الى بهاء الدولة من الاهواز على سمت العراق

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر فخر الدولة عند حصوله ﴾

﴿ بالاهواز وما اعتمده من سوء التدبير ﴾

(والسياسة حتى عاد بالخيبة)

كان الصاحب أبو القاسم اسمعيل بن عباد سبق الى الاهواز وملكها ولحقه فخر الدولة بعد عشرين يوما وخيّم ببستان اليريدى . وتشوّف الجند الى ما يكون من عطائه واحسانه فلم يكن منه في ذلك ما اقتضته الحال ولا بعض ما كانت عليه الآمال . وحضر المهرجان فقاد القواد الخوزستانية خيلا برسم خدمته على ما جرت به العادة في مثل هذا الفصل فردّها عليهم وسامهم ان يمكنوا المخيّرين من اختيار ما يرتضونه لمراكبه وأخذ من خيلهم جيادها فنفرت قلوبهم لذلك . ثم حظر على اقطاعاتهم ومنعهم التصرف في ارتفاعها وان لم يظاهرهم بحلها وارتجاعها ومدّ العمال في أثناء الخطر أيديهم في تناول موجودها فضاقوا صدورا وازدادوا نفورا

فاما وجوه الديلم الذين وصلوا مع فخر الدولة فان نياتهم ساءت أيضا [٢٤٥] لان اقطاع كل واحد منهم بالري وأعمال الجبل كان من عشرين الف درهم الى ثلاثين الف درهم ورأى كل واحد من قواد الديلم الخوزستانية

واقطاعه ما بين مائتي الف درهم الى ثلاثمائة الف درهم فكثر تحاسدهم وظهر تحاقدهم . وكان من عجيب الاتفاق (ليقضي الله أمرا كان مفعولا) ان دجلة الاهواز زادت في تلك الايام زيادة لم تجر بها العادة ودخل الماء الى الخيم فاخذ بعضها فرحل فخر الدولة وعسكره وعظم في أعينهم مارأوه لانهم أيقنوا المدود (١) وقال بعضهم لبعض : انما حملنا الصاحب الى هذه البلاد طلبا لهلاكنا . فاشمأزت قلوبهم وساءت ظنونهم وتقلقل الامر ولاح من كل وجه وهي أسبابه . واتصلت الاخبار الى بغداد بحصول فخر الدولة بالاهواز

﴿ ذكر ما دبره بهاء الدولة في تجهيز العسكر ﴾

(للقاء فخر الدولة)

لما عرف وصول فخر الدولة الى الاهواز انزعج انزعاجا شديداً وندب الحسين بن علي الفراش للخروج في هذا الوجه والقيام بتدبير الحرب وقدمه وعظمه ولقبه « الصاحب » مغايظة لابن عباد وخلع عليه (٢٤٦) فلما توفي على قدر من هو أوفى منه وأصحبه من المال والسلاح والآلات كل خطير كثير وجرد معه أبا جعفر الحجاج بن هرمز والقتكين الخادم ومعهما عسكر جرار . وسار بعد ان خرج بهاء الدولة لتوديعه فرتب نفسه في طريقه ترتيب الملوك في مجالسه ومواكبه والخرق في العطاء وأسرف في التدبير . وكان السبب في بلوغه هذه المرتبة مع عناية بهاء الدولة تجرد أبي الحسن الكوكبي المعلم لتشييد أمره لا عن صفاء له وانما قصد بمساعدته على ذلك ابعاده عن الحضرة والاستراحة منه فانه كان شديد الاستيلاء على بهاء الدولة . فلما حصل بواسط وبعد حكيت عنه حكايات وأقوال ووجد في تغير رأي بهاء الدولة

---

(١) الصواب : ما كانوا ألفوا كما سيأتي في ص ١٦٩

متسع ومجال

﴿ ذكر السبب في تغير رأى بهاء الدولة فى الحسين ﴾
﴿ الفراش وما جرى عليه الامر فى القبض ﴾
﴿ عليه وردّه من الطريق الي بغداد ﴾
(وقتله فيدار تحرير [٢٤١])

قال أبو نصر المعروف بالاستاذ الفاضل : لما أراد الحسين الفراش التوجه قال لى بهاء الدولة : أريد أن أشاهده اذا ركب فى موكبه وبرز الى مضاربه . فقلت : الامر لك فخرج ووقف من باب الخطابين ينظر الى الطريق فاجتاز للحسين عدّة غلمان أتراك بالسيوف والمناطق وتحتهم الخيل بالمراكب الجميلة فقال لى : يابا نصر هذه المراكب من الخزانة ؟ قلت : نعم لما بيعت ابتاعها وطرّاها . واجتازت بعد ذلك جنائبه بمراكب ذهب وغير ذهب وفيها بغلة عليها مركب كان يحبه بهاء الدوله واخرج فيما بيع وحصل له فقال: يابا نصر هذا مركبي الفلاني ؟ قلت: نعم . ولم يزل يسأل عن شيء شيء ويقول : متى جمع هذا وحصّله ! فلما مضى الحسين عاد بهاء الدولة الي مجلسه. ورأيت وجهه قد تغيّر ونشاطه قد فتر ودخل الحجرة فنام الىالعصر ولم يطعم طعاما الى آخر النهار ثم راسله الحسين الفراش على لسانى يسأله الاذن فى ضرب طبول القصاع فامتنع عليه من ذلك وقال : هذا لا يجوز . وعُدت اليه بهذا الجواب فاشتطّ وقال : بمثل هذه المعاملة يُراد مني ان أدفع نغر الدولة وقد استولى على المملكة بما ذهب فيه مذهب الجهل ؟ واتفق ان أحد الفراش كان حاضراً معي [٢٤٨] وسامعا لما يجرى وقتنا وسبقني أحد الفراش فحدّث بهاء الدولة بما جرى ثم جئت من بعد فسألني عما كان من الجواب

فقلت : قد كان أحمد الفراش حاضراً وتقدّمني الى حضرتك ولعله قد شرحهُ .
فقال : أعِدهُ . فحسَّنتُ ما أوردهُ فقال : ما كان هكذا . قلت : اذا كان
مولانا قد عرف الامر على صحته فما الفائدة في تكرير اعادته ؟

ثم تتابعت الاخبار بما يفعله الحسين في طريقه من الافعال التي تجاوز الحدّ فوجد أبو الحسن الكوكبي سبيلا الى تقبيح آثاره وحكى عنه الحكايات التي أدت الى بواره . فقال له بهاء الدولة في بعض الايام وقد جاراه ذكره : انفذ من يقبض عليه . فانتهز أبو الحسن الكوكبي الفرصة وبادر بانفاذ أبي الفتح أخي أبي عبد الله محمد بن عليان وأبي الحسن على بن أبي على لذلك

﴿ ذكر اتفاق عجيب انكتم به الامر عن الحسين ﴾
(الفراش حتى قبض عليه)

ذكر الثلاثة المنحدرون انهم لما وصلوا الى مطارا والحسين بها ساء ظنه بورودهم فانفذ الى زبازبهم من فتشها وأخذ ما وجده من الكتب فيها (٢٤٩) فلحسن الاتفاق لهم وسوء الاتفاق عليه كانوا قد استظهروا بترك الملطّفات المكتوبة بالقبض عليه في سمارية كانت في صحبتهم الا انها مفردة من جملة ما يخصهم فلم يجدوا الا الكتب الظاهرة التي كانت اليه فانس وسكن . ثم اجتمعوا مع أبي جعفر والفتكين فاوصلوا اليهما الملطفات ووقفوهما على ما رسم فيها وصاروا الى الحسين واجتمعوا في خركاه له وحادثوه ساعة ونهضوا من عنده وأطبقوا عليه بابها ووكلوا به وبخزانته ثم حملوه مقيدا الى البصرة وسلموه الى بكران بن أبي الفوارس وأبي على ابن [أبي] الريان فحمل منها الى بغداد . وقد أوغر عليه صدر بهاء الدولة فحبس في دار تحرير وأمر

باخراج لسانه من قفاه فات وزمي من بعد الى دجلة . فكان بين استخدامه في الكنس والفرش وبين الخلع عليه مدة يسيرة وبين الخلع عليه وبين قتله مدة أيسر من الاولى

وان من صعد من الحضيض الاوهد الى محل الفرقد ولم يكن ليديه باسباب الخير تعلّق ولا لقدميه في أبواب البر تطرّق يوشك ان يهوى سريعا ويخرّ صريعا فتنبتّ حاله [1] وتنقطع أوصاله فتحول حاله الى الفساد وتحور نارُه الى الرماد فالنار في الحلفاء أعجل وقودا [250] وصعودا ولكنها أسرع خمودا وهموداً وهي في جزل الغضا أبطأ عملا لكنها أبقى جمراً وأفسح مهلا . والمعوّل في كل حال على العاقبة فعندها تبين الناجية من العاطبة

وعول بهاء الدولة بعد أخذ الحسين الفراش على أبي العلاء عبيد الله بن الفضل في هذا الوجه وأنجح فيه ما يأتي شرحه بأذن الله تعالى

﴿ ذكر ما رتبه فخر الدولة في تجهيز الجيش الى الاهواز ﴾

لما عرف فخر الدولة دنوّ عسكر بهاء الدولة من أعمال خوزستان جرّد العساكر للقائهم فسار ابن الحسن خاله وشهفيروز بن الحسن وغيرهما في ثلاثة آلاف من الديلم وبدر بن حسنويه في أربعة آلاف من الاكراد ودبيس بن عفيف الاسدي وكان قد انحاز اليه في عدة كثيرة من العرب فلما تلاقى العسكران أجلت الحرب عن هزيمة أصحاب فخر الدولة

﴿ ذكر اتفاقات كانت سببا لهزيمة عسكر فخر الدولة [251] ﴾

لم يكن في التقدير وظن النفس ورأى العين ان يثبت لهم عسكر بهاء الدولة لو لا النصر فانه من عند الله . فاتفق ان المعركه كانت بقرب لنهار

---

(١) لعله : حباله

وجاءت زيادة مد أخذ الصحاري وظن عسكر فخر الدولة انها مكيدة عملت بفتح بثق عليهم يغرقون فيه ولم يكن لهم علم بحال المدود ولا هي عندهم من المألوف والمعهود فولوا أدبارهم ونكصوا على أعقابهم الى الاهواز واستأسر أناسٌ من أكابرهم واستأمن كثير من أصاغرهم . وقيل ان بدر ابن حسنويه وقف بنجوة من الارض واعتزل الحرب وان دُبيس بن عفيف انصرف قبل اللقاء . وربما كان سبب هذا الفعل من الصاحب ما اعتمده فخر الدولة معه من الارتياب به وردّه حين سار من همذان على جادّة العراق خوفا من ميله الى أولاد عضد الدولة ومثل ذلك ما أثّر في القلوب وأقام التجري مقام التدريب ثم ما استمر من مخالفته اياه في آرائه

فلما حصل في الاهواز قلق فخر الدولة وتقلقل رأيه وتململ .

﴿ذكر رأي سديد رآه الصاحب لم يساعده
عليه فخر الدولة [٣٥٢]﴾

قال له : انّ هذه الامور تحتاج الى توسع في العطاء وضايقت الناس مضايقة وضيّقت فيه آمالهم وقطعت منا حبالهم فان استدركت الامر باطلاق المال واستمالة الرجال ضمنت لك ردّ أضعاف ما تطلقه بعد سنة من ارتفاع هذه البلاد . فلم يكن منه اهتزاز لهذا القول وكان قصارى ما فعل تلافي الاتراك الاهوازية بازالة الحظر عن اقطاعاتهم فلم يقع هذا الفعل موقعا منهم مع ذهاب ارتفاعها في تلك السنة . ولم تسمح نفس فخر الدولة بعطاء للشح [١] الغالب عليه وأخذ الناس في التسلل لاحقين باصحاب بهاء الدولة حتى كانوا يصبحون في صبيحة كل يوم على الخيم فيجدون كثيرا منها

(١) ورد [illegible] بالحاشية

قد خلا من أصحابها . واتسع الخرق على الراقع وأعضل الداء على الطبيب

كما ان الاديم اذا تفرّى * بلى وتعفنا غلب الصباحا [١]

فضاق فخر الدولة ذرعاً بالمقام مع انتشار الحبل في يديه وتمزّق الناس عنه وانصرف عائدا الى الري وقبض في طريقه على جماعة من القواد الرازية وقتلهم . ووافي أبو العلاء عبيد الله بن الفضل فدخل الاهواز وملك الاعمال.

وأما أبو عبد الله بن أسد فان الديلم قبضوا عليه قبل وصول (٢٥٣) الصاحب الى الاهواز وتوفى فى الاعتقال من علة عرضت له ومرض الصاحب بالاهواز مرضا أشفى منه ثم أقبل فتصدق بجميع ما كان فى داره من المال والثياب والاثاث ثم استأنف عوض كل شيء من بعد

(ذكر ما حفظ على الصاحب فى مقامه بالاهواز)

قيل ان قوما تظلموا اليه من حيف لحقهم فوقّع على ظهر قصتهم: يظلمون شهرا وينتصفون دهرا . وهذا توقيع طريف فهل يجوز الغفول عن الظلم ساعة فكيف شهرا وما يدريه لعل الله يُحدث قبل الشهر أمرا .

وقيل انه رسم لكتاب البلد عمل حساب بارتفاع كل كورة فعملوه وحملوه اليه . فامر بجمع العمال والمتصرفين وان يخرج ارتفاع كل ناحية ويعرض عليهم ويزايد بينهم فكان ينادى على النواحي بين العمال كما ينادى على الامتعة بين التجار . وهذا الحديث مستطرف في حكم النظر

وقيل انه غير مستنكر عند كتّاب الري وتلك البلاد لان معاملاتهم جارية على عقود وقوانين . فاما العراق وما والاها فلم نسمع بعمل ذلك فيها الا ما كان من قديم الناس من المزايدة بين التجار في غلات السلطان. (٢٥٤)

---

(١) لعله الدباغا : والمثل المشهور كدابغة وقد حلم الاديم

﴿ ذكر خبر مستحسن في ذلك ﴾

قيل ان أحد الوزراء وأظنه على بن عيسى والله أعلم جمع التجار الى مجلس نظره في بعض السنين ليبيع الغلات عليهم فتقاعدوا بالاسعار على اتفاق بينهم فبرز أحدهم فزاد زيادة توقف عنها الباقون ظنا منهم انه لن يقنع بذمة رجل واحد دون الجماعة لأنه مال عظيم فامضى الوزير البيع له . فلما خافوا فوت الامر زادوه عشرة آلاف دينار فقال الوزير : قد نفذ السهم وسبق القول والغلات للرجل والثمن لنا وله الاختيار فى قبول الزيادة منكم أو ردّها عليكم فهى له خاصة دوننا . فسألوا الرجل قبول الزيادة أو المشاركة فقبل الزيادة وولاّهم البيع وبرئت ذمته من الثمن وعاد الى منزلته بعشرة آلاف دينار

فما أحسن هذا الفعل الكريم والمذهب المستقيم وكم في اثناء الوفاء بالعقود والثبات على الشروط والصدق فى الوعود من مصلحة خالصة وسياسة شاملة ، وان لاح فى أولاها بعض الغرم ففي عواقبها كل النعم واذا لم يوثق بأقوال الصدور فعلام (٢٥٥) تُبنى قواعد الامور ؟ والسياسة بنيان والصدق قاعدة والبنيان يشد بعضه بعضا فاذا اضطربت القاعدة آل البنيان الى النقض . ونعود الى سياقة التاريخ

وفي هذه السنة أفرج عن أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف وعاد الى بغداد ناجيا من الهلاك بعد ان كان أشرف عليه

﴿ ذكر أناة اعتمدها العلاء بن الحسن فى بابه ﴾
(أدت الى خلاصه)

كان قد حصل في القلعة معتقلا على ما تقدم ذكره والعلاء بن الحسن يراعيه مراعاة مستورة . فورد عليه في آخر أيام شرف الدولة [من] يأمره

بقتله فانزعج لهذه الحال لما كان بينهما من حرمة الاتصال وثبت في إمضاء ما ورد . وتجدد من وفاة شرف الدولة ما تجدّد فاتفق في تلك الفترة من أخرجه من الحبس وأشار عليه بقصد العراق فسار الى البصرة واستأذن في الاصعاد فاذن له

وفيها قُبِض على أبي الحسن محمد بن عمر العلوى وعلى كاتبه أبي الحسن على بن الحسن

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر في ذلك [٢٥٦] ﴾

كانت حال أبي الحسن محمد بن عمر قد تضاعفت في أيام شرف الدولة وقد تضاعف ارتفاع أملاكه حتى ان أبا الحسن على بن طاهر لما خرج الى نواحي سقى الفرات لتأمل أحوالها في أيام شرف الدولة عمل في عرض ما راعاه عملا بارتفاع ضياعه اشتمل على عشرين الف الف درهم . وعرف الشريف أبو الحسن ذلك فضاق صدره وساء ظنه

﴿ ذكر رأى سديد رآه ابن عمر في تلك الحال ﴾

(استمال به قلب شرف الدولة)

استدعى على بن الحسين الفراش الملقب بالخطير فلما أحضر عنده قال له: احمل عني رسالة الى الملك وقل له : يامولانا ما لاحد عليّ نعمة كنعمتك ولا منّة كمنّتك أطلقتني من حبسي ومننت عليّ بنفسي ورددت أموالي وضياعي اليّ وزدت فى الاحسان اليّ . وبلغني ان ابن طاهر عمل بضياعي عملا بعشرين الف [الف] درهم وهذه الضياع هي لك ومنك وقد أحببت أن أجعل نصفها للامير أبي على هدىً ونحلة طيّبة عن طيب نفس وانشراح صدر . فاعاد [1] على بن الحسين الفراش الرسالة على شرف الدولة

(١) لعله : فعرض

﴿ ذكر جواب لشرف الدولة عن[٢٠٧] رسالة أبي عمر ﴾
(تدل على شرف نفس وعلو همة)

قال شرف الدولة في الجواب : قل له : قد سمعت رسالتك وكل جميل اعتددت به فاعتقادي يوجب لك أوفى منه والله لو ان ارتفاعك أضعاف ما ذكرته لكان قليلا لك عندي . وقد وفر الله عليك مالك وأملاكك وأغنى أبا علي عن مداخلتك في ضياعك فكن في السكون والطمأنينة على جملتك

فانظر الى هذه الهمة ما أشرفها وأعلاها وانصت الى هذه الاحدوثة ما أطيبها وأحلاها وتلك مواهب من الله يخص بها من يشاء من عباده والمرء يصيب بحسن التوفيق لا بحوله واجتهاده

فلما توفي شرف الدولة وانتقل الملك الى بهاء الدولة استولى أبو الحسن المعلم على الامور وامتدت عينه الى حاله وأشار على بهاء الدولة بأخذ نعمته وقبض أملاكه فقبض عليه وعلى وكلائه وكتابه وبقي في الاعتقال الذي يرد ذكره فيما بعد

وفي هذه السنة خرج أمر بهاء الدولة باسقاط ما يؤخذ من المراعى من سائر السواد

وفيها عاد أبو نصر خواشاذه من الموصل بعد اصعاد ابني حمدان اليها

﴿ ذكر خروج ابني حمدان من[٢٠٨] بغداد وذكر ماجرى ﴾
(عليه أمرهما في حرب أبي نصر خواشاذه)

لما توفي شرف الدولة شرع أبو طاهر ابراهيم وأبو عبد الله الحسين ابنا حمدان في الخروج الى الموصل واستأذنا في ذلك فوجدا رخصة انتهزا

بها الفرصة فاصعدا باهلهما أجمعين وعلم من بالحضرة وقوع الغلط في إصعادهما فكوتب أبو نصر خواشاذه بدفعهما وردّهما . فلما وصلا الى المدينة راسلهما أبو نصر بالرجوع من حيث جاءا فمنّا ان خالفاه ودخلا البلد قبض عليهما فاجاباه جوابا جميلا ببذل الطاعة وقبول ما يؤمران به وعاد الرسول وسار [ا] على أثره حتى نزلا بالدير الاعلى . وثار أهل الموصل على الديلم والاتراك فنهبوا أرحالهم وأخذوا أموالهم وخرجوا الى ابني حمدان وأظهروا المباينة والعصيان . فانفذ أبو نصر من كان معه من العسكر لقتالهم فقامت الحرب بينهم الى العصر ثم انهزم أصحاب السلطان وهلك منهم عدد كثير قتلا وغرقا ولحق الباقون بأبي نصر فاعتصموا بدار الامارة التي هو نازل فيها وتبعهم ابنا حمدان والعامة فغُلقت الابواب دونهم واستوعب القتال بقية النهار ثم حجز الليل بينهم وعاد ابنا حمدان الى مخيمهما

﴿ ذكر رأي سديد رآه ابنا حمدان [٢٥٩] فاحسنا ﴾

(فيه الظن علما للعاقبة)

لما جرى ما جرى [و] علما ان العامه لا تقنع الا بقتل الديلم وان السلطان لا يغمض على مثل هذه الجناية خافا عواقب الامر وراسلا أبا نصر في ليلتهما وقالا له : نحن خدم السلطان وقد جرت الاقدار بغير الاختيار ولا قدرة لنا الآن على ضبط العامة لما في نفوسهم من الديلم وهم في غد يحرقون الدار ويسفكون الدماء فاما ان تصير الينا واما ان نعلم انك مُهلك نفسك . فعرف أبو نصر خواشاذه انهما قدنصحاه وخرج اليهما ليلا فاكرماه ثم عدلا الى تدبير أمر العامة فاحضرا شيوخهم ووجوههم وقالا لهم : ان

كنتم توثرون مقامنا بين ظهرانيكم فولونا أموركم ولا تشفوا بقتل أصحاب السلطان صدوركم فانه شفاء يعقب داء عضالا ولا تجدون من السلطان في ذلك اغضاء واجمالا . والذي نراه ان تكفوا احداثكم عن القتل وانصراف هؤلاء القوم عنكم صرفا جميلا ويتلطف السلطان اقدامنا عندكم . فاجابوه بالسمع والطاعة وبذل المكنة والاستطاعة وبكر العوام الى الدار فلم يزل ابنا حمدان والمشيخة بهم رفقا ولطفا حتى استقر الامر بعد هناة على ان يهبوا الدم وينهبوا الاموال وان يصعد الجند الى (٢٦٠) السطوح ويقف على الدرج من الشيوخ من يمنع العامة من الصعود . ودخلوا الدار وخرجوا بنهب الموجود ثم غلقت الابواب وصار جند السلطان محبوسين أياما الى ان انحدروا بأسوأ حال في الزواريق الى بغداد وأفرج عن أبي نصر وأحسن اليه وعاد الى الحضرة.

وتشاغل ابنا حمدان بالنظر في أمورهما وانثال عليهما من بني عقيل العدد ولم يكن لهما من الجند الا العامة وثلاثون الف من الحمدانية

﴿ ثم دخلت سنة ثمانين وثلاثمائة ﴾

فيها كانت الوقعة بين باد وبين أبي طاهر [1] وأبي عبد الله ابني ناصر الدولة بن حمدان وبين بني عقيل بظاهر الموصل

﴿ ذكر ما جرى عليه الحال في هذه الوقعة ﴾

(من قتل باد وهزيمة أصحابه)

لما حصل أبو طاهر وأبو عبد الله ابنا ناصر الدولة بظاهر الموصل استضعفهما باد وطمع في قصدهما وأخذ البلد منهما . وعلم ان لا جند لهما سوى العامة فكاتب أهل الموصل واستمالهم فاجابه بعضهم وسار في ستة آلاف

---

(١) وفي الاصل : أبي نصر

رجل من أصناف الاكراد ونزل في الجانب الشرقي . نخافه [٢٦١] ابنا حمدان وعلما ان لا طاقة لهما به فلجأا الى بني عقيل وراسلا أبا الدواد محمد بن المسيب وسألاه النصرة وبذلا له النزول على حكمه فالتمس منهما الجزيرة ونصيبين وبلد وعدّة مواضع فأجاباه الى ملتمسه . فلما استقرت بينهم هذه القاعدة سار اليه أبو عبد الله ابن حمدان ووافى به في الفى فارس الى بلد وهي في أعلا الموصل فى الجانب الغربى وعبرا دجلة وحصلا مع باذ على أرض واحدة وباذ عنهما غافل وبحرب أبي طاهر وأهل الموصل متشاغل . فجاءته طايعة من طلائعه تخبر بعبورهما نخاف ان يعبر اليه من بازائه ويكبسه أبو عبد الله وبنو عقيل من ورائه فتقدم الى أصحابه بالانتقال واللوذ بأكناف الجبال واضطربوا واختلطوا مابين سابق مستعجل ولاحق مرتحل وثابت فى المعركة مستقبل.

﴿ ذكر اتفاق عجيب آل الى هلاك باذ بعد انقضاء مدته ﴾

بينما الحال على ما ذكر من اختلاط أصحاب باذ اذ قتل عبد الله حاجبه المعروف بعروس الخيل ففجع به وانزعج لفقده وأراد الانتقال من فرس [٢٦٢] الى فرس فحوّل رجله من ركاب الى ركاب ووثب فسقط الى الارض بثقل بدنه فاندقت ترقوته والحرب قائمة بين الفريقين حتى عرف أبو [١] على الحسن بن مروان ابن أخته خبره فصاروا اليه فقالوا له : احمل نفسك كي تلحق الخيل . فقال لهم : لا حراك بي فخذوا لنفوسكم . فانصرفوا في خمسمائة فارس طالبين الجبل عرضا حتى خلصوا اليه من السهل . وجدّل بنو عقيل منهم فرسانا وسلم بنو مروان وأكثر من معهم وساروا في لحف الجبل الى ديار بكر . وحصل باذ في جملة القتلى وبه رمق فعرفه أحد بنى عقيل فأخذ

(١) وفي الاصل : أبا

رأسه فحمله الى ابني حمدان وأخذ عليه منهما جائزة سنية ودل على جثته فحمل الى الموصل وقطعت يده ورجله وحملت الى بغداد وصلب شلوه على باب دار الامارة بالموصل . فثار العامة وقالوا : هذا رجل غاز فلا تحل المثلة به . فحط وكفن وصلي عليه ودفن . وظهر من محبة العامة له بعد هلاكه ما كان طريفاً بل لا يستطرف من الغوغاء تناقض الاهواء ولا يستنكر للرعاع اختلاف الطباع وهم أجرأ الخلق اذا طمعوا وأخبثهم اذا قمعوا

ومضى أبو علي ابن مروان من فوره الى قلعة كيفا وهي قلعة علي دجلة حصينة جداً وبها زوجة باد الديلمية [٢٦٣]

﴿ ذكر حيلة لابن مروان ملك بها القلعة ﴾

لما وصل الى باب القلعة قال لزوجة باد : قد أنفذني خالي اليك في مهمات . فظنته حقا فلما صعد وحصل عندها أعلمها بهلاكه ثم تزوج بها ورتب أصحابه فيها ونزل فقصد حصناً حصناً حتى رتب أمر جميع الحصون وأقام ثقاته فيها وصار الى ميافارقين . ونهض أبو طاهر وأبو عبد الله ابنا حمدان الى ديار بكر طمعا في فتح القلاع وحملا معهما رأس باد فوجدا الامر ممتنعا وقد أحكم ابن مروان يده وحمى حماه فعدلا الى قتاله ووقعت بينهما وقعة كان الظفر فيها لابن مروان وحصل أبو عبد الله ابن حمدان أسيرا في يده .

﴿ ذكر جميل لابن مروان الى أبي عبد الله عند أسره ﴾
(لم يشكر عليه فساءت عاقبة أمره)

لما أسر ابن مروان أبا عبد الله أحسن اليه وأكرمه وأفرج عنه فصار الى أخيه أبي طاهر وقد نزل على آمد فاشار عليه بمصالحة ابن مروان [٢٦٤] وموادعته والانكفاء عن ديار بكر فأبى أبو طاهر الا معاودة حربه مع جمع

كثير من بني عقيل ونمير واضطر أبو عبد الله الى مساعدته كما ينصر الاخ أخاه ظالما ومظلوما . وسارا الى ابن مروان فواقعاه وكان النصر له فهزمهما وأسر أبو عبد الله أسراً ثانيا فاساء اليه وضيّق عليه واعتقله زمانا طويلا الى ان كاتبه صاحب مصر في بابه فاطلقه بشفاعته وخطابه ومضى الى مصر وتقلد منها ولاية حلب [1] وأقام بتلك الديار حتى توفي وله بها عقب

وأما أبو طاهر فانه انهزم ودخل نصيبين وقصده أبو الدواد محمد بن المسيّب فاسره وعليًّا ابنه والرغفير أمير بني نمير فقتلهم صبراً . وملك محمد بن المسيب الموصل وأعمالها وكاتب السلطان وسأل انفاذ من يقيم عنده من الحضرة فاخرج المظفر أبو الحسن عبد الله بن محمد بن حمدويه وذلك عند غيبة بهاء الدولة عن بغداد ومقام أبي نصر خواشاذه بها في النيابة عنه . فلم تدخل يد المظفر الا في أبواب المال وفيما كان له ولابي نصر خواشاذه من الاموال والاقطاع في النواحي فاستولى بنو عقيل على سوى ذلك

وفي هذه السنة قبض على أبي الفرج محمد بن أحمد بن الزُطي صاحب المعونة ببغداد [٢٦٥]

﴿ ذكر ما جرى عليه أمره في القبض عليه الى ان قتل ﴾

كان هذا الرجل قد تجاوز حد الناظرين في المعونة وأسرف في الاساءة الى الناس حتى وترهم وبالغ في أيام صمصام الدولة بعد فتنة اسفار في منع أسباب أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف وتطلّب حُرمه واستيصال أمواله ونعمه وأغرق في الفعل القبيح معهم ومع غيرهم وكثرت الطوائل لديه

(١) وفي تاريخ ابن القلانسي ص ٥٠ انه في سنة ٣٨٧ ولي صور من قبل الحاكم صاحب مصر

واجتمعت الكلمة عليه وأطمع بهاء الدولة وأبو الحسن الكوكبي المعلم في ماله وكثر عندهما مبلغ حاله فقبض عليه واعتقل في الخزانة وكرّر الضرب عليه أياما . ووقع الشروع في تقرير أمره فاجتمع أبو القاسم عبد العزيز وأبو محمد ابن مكرم على نصب الحبائل لهلاكه ووضعا أبا القاسم الشيرازى على ان يضمنه بمال كثير

﴿ ذكر مكيدة تمت لعبد العزيز بن يوسف في أمر ﴾
(الزُّطي حتى هلك [٢٦٦])

قال أبو نصر الحسين بن الحسن المعروف بالاستاذ الفاضل : ان أبا القاسم عبد العزيز هو الذى سعى واجتهد في أمر ابن الزطي وذكره عند المعلم بكل ما خوّفه منه وقال : نحن بصدد حرب والمسير للقاء عدوٍ والحوادث لا تؤمن ومتى استبقيت هذا الرجل لم نأمنه جميعا على من نخلفه وراءنا من حرمنا وأولادنا وفي الراحة منه قُربة الى الله تعالى وأمن في العاقبة . قال المعلم : ان الملك قد أطمع في مال كثير من جهته . فقال عبد العزيز : لعمرى انه ذو مال ولكنه لا يذعن به طوعا ولا يعطيه عفوا وهذا أبو القاسم الشيرازى يبذل فيه الف الف وخمسمائة ألف درهم ويقول ان المال لا يصح وهو حيٌّ تخافه أصحاب الودائع . وحضر الشيرازي وبذل مثل ذلك بلسانه .

قال الاستاذ الفاضل : فقلت له : هل أنت على ثقة مما بذلته ? فقال لي سراً : على الاجتهاد فان بلغتُ المراد والا حملتُ الى زوجة هذا (وأشار الى المعلم) عشرة آلاف درهم وقد خلصتني من يده . وضحك وضحكت .

ولم يزل عبدالعزيز بالمعلم حتى تقرر الامر على قتله واستؤذن بهاء الدولة

وتحقق عنده المال المبذول عنه فأذن في ذلك وعُبر بالرجل الى الجانب الغربي وحمل رأسه الى المعلم فانفذه الى محمد بن مكرم فوضعه في غد في دهليزه ليشاهده الناس

وهذه حكاية عجيبة [٢٦٧] وليس العجب من قتل ابن الزطي فانه كان من الاشرار وما آل اليه الاشرار من البوار وانما العجب من استيلاء المعلم على بهاء الدولة واستيلاء المرأة على المعلم حتى يلعبا بالرجال ويتحكما بالدماء والاموال وان أمثال هذه لاحوال لتكسو الدول من العار بروداً وتنظم لها من المساوى عقوداً . فاذا أحب الله صلاح دولة طهَّرها من مثل هذه الادناس وقيَّض لتدبيرها أخيار الناس فتكون ما بقيت منصورة مؤيدة ثم تبقى محاسنها في الصحف محفوظة مؤبَّدة .

وعوّل بعد قتل ابن الزطي على أبي محمد الحسن بن مكرم الحاجب وخلع عليه قاباق فيها أثراً جيلا وأخذ العيارين والدُعّار أخذا شديدا بعد ان كان قد استشرى أهل الفساد . فقامت الهيبة واستقامت الامور على السداد وأمن البلد وهرب كل ذي ريبة . ثم استعفى منها وخرج في الصحبة الى واسط

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان رأى أبي الحسن المعلم فاسداً في الوزير أبي منصور وانما أقرَّه على الوزارة تأنيسا لابي القاسم العلاء بن الحسن وتقريرا لحيلة تم عليه . فلما فعل بفارس ما فعله ووقع اليأس من خداعه بعد كشف قناعه قدَّم على [١] القبض [٢٦٨] على الوزير أبي منصور ما كان أخَّر وعول على أبي نصر [٢] سابور بن أردشير في النظر وخلعت عليه خلع الوزارة ونُقل الوزير أبو منصور الى الخزانة

(١) لعله : من (٢) في الاصل : منصور

ونزل أبو نصر سابور داره

وعلى ذا مضى الناس : منصور ومخذول وموليّ ومعزول ومختار ومردود ومشتهى وممل وأعمال السلطان عواري لا بد من استرجاعها وملابس لا بد من انتزاعها . والسعيد من حسنت من تلك العواري حاله وكرمت في خلال تلك الملابس خلاله فاذا ارتجعت منه بقي له من المجد حظ موفر واذا انتزعت منه صفا عليه من الحمد بُرد محبّر ختمت بالصالحات أعماله وذكرت بعده بالخيرات أفعاله .

وفيها سار بهاء الدولة متوجها الى شيراز بعد استتباب أبي نصر خواشاذه في خلافته ببغداد وخلع عليه وطرح له دستا كاملا في دار المملكة الاولى وثلاث مخاد في الدار الداخلة وما رؤى أحد من الوزراء والا كابر جاس في هذه الدار على مثل ذلك وكتب له عهد ذُكر فيه « بشيخنا » وهو أول من خوطب بهذا الاسم من الحواشي . وعوّل على أبي عبد الله ابن طاهر في النيابة عن الوزير أبي نصر سابور ببغداد فلم يستقم ما بينه وبين أبي نصر (٢٦١) خواشاذه واستمر الفساد بينهما الى ان عاد بهاء الدولة فقبض عليهما على ما يأتي ذكره في موضعه

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر بهاء الدولة في هذه السفرة ﴾

انحدر ومعه أبو الحسن المعلم والوزير أبو نصر سابور والامر لابي الحسن في الكبير والصغير وهو الغالب على الرأى في التدبير . وأقام بواسط أياما وسار ونزل بعسكر أبي جعفر ابن الحجاج ودخل البصرة فشاهدها وعاد الى مخيمة . وورد عليه خبر وفاة أبي طاهر أخيه فجلس لعزائه ثم توجه الى الاهواز وسيّر أبا العلاء عبيد الله بن الفضل على مقدمته ومعه

جمهور عسكره فصار الى ارجان ودخلها وفتح القلعة بالجند وملكها وكان فيها من أصناف الاموال شيء كثير . فلما وصل الخبر الى بهاء الدولة سار الى ارجان ونزلها وأمر بحط جميع ما كان في القلعة من المال وغيره وتسليمه الى الخزّان وكان من العين الف [1] الف دينار ومن الورق ثمانية آلاف الف الف درهم ومن الجوهر والثياب والآلات والاسلحة ما يذّخر الملوك مثله (٢٧٠)

﴿ ذكر ماجرى في أمر هذا المال حتى تفرق أكثره ﴾

لما حصل المال في الخزائن أحب بهاء الدولة تنضيده باجناسه في مجلس الشرب فنضّد جميعه على أحسن تنضيد ووكل الحفظة والخزان به في موضعه أياما فكان منظرا أنيقاً الا انه شاع من ذلك ماصار الى التفرقة طريقا . فعند ذلك شغب الاتراك والديلم شغبا متتابعا فاطلقت تلك الاموال حتى لم يبق منها بعد مديدة غير أربعمائة الف دينار وأربعمائة الف [1] الف درهم حملت الى الاهواز . وتوجه أبو العلاء ابن الفضل من ارجان الى النوبندجان وهزم من كان بها من عساكر صمصام الدولة وأثبت أصحابه في نواحي فارس . وبرز أبو منصور فولاذ بن مانادر من شيراز وسار على مقدمة صمصام الدولة وواقع أبا العلاء بخواباذان فهزمه

﴿ ذكر هذه الوقعة والمكيدة التي كانت سببا ﴾
(لهزيمة عسكر بهاء الدولة)

لما حصل أبو العلاء والاتراك بإزاء فولاذ والديلم في وادي خواباذان وقنطرة (٢٧١) حجاز بين الفريقين تطرّق قوم من الغلمان الى جمال الديلم

---

(١) لعله زائد

فساقوها وعادوا بها الى معسكرهم ورآهم بقية الغلمان الاتراك فطمعوا فى مثل ذلك وركب من الغد منهم سبعون غلاما من الوجوه وعبروا القنطرة . وكان الديلم قد أرسلوا جمالا مهملة لا حماة معها على سبيل المكر والخديعة فاستاقهم الغلمان وكرّوا راجعين . ووقعت الصيحة فركب في أثرهم فرسان من الديلم والاكراد كانوا معدّين ووصل الغلمان الى القنطرة فوجدوا من دونها خمسمائة رجل من الديلم كان فولاذ قد رتبهم وراء جبل بالقرب فلما عبر الغلمان باموالهم رأوهم على القنطرة بالرصد فلم يكن للغلمان سبيل الى العبور ولحقهم الفرسان فاوقعوا بهم وقتلوهم عن بكرة أبيهم وأخذوا رؤوس أكابرهم فانفذوها الى شيراز وكان ذلك وهناً عظيما وثلما كبيرا فى عسكر بهاء الدولة . وراسل فولاذ أبا العلاء فاطمعه وخدعه ثم سار اليه وكبسه فانهزم من بين يديه وعاد الى ارجان مفلولا . ولما وصل الخبر بذلك الى صمصام الدولة سار من شيراز .

وغلت الاسعار بارجان ونواحيها وضاقت الميرة والعلوفة ثم وقع الشروع فى الصلح وترددت فيه كتب ورُسُل فتم على ان يكون لصمصام (٢٧٢) الدولة فارس وارجان ولبهاء الدولة خوزستان والعراق وان يكون لكل واحد منهما اقطاع فى بلاد صاحبه . وعقدت العقود وأحكمت العهود وحلف كل واحد منهما للآخر على التخالص والتصافى بيمين بالغة وشُرطت وحُررت على النسختين وعاد بهاء الدولة الى الاهواز

وورد أبو عبد الله الحسين بن على بن عبدان نائبا عن صمصام الدولة بالحضرة وناظرا فيما أفرد له من الاقطاع بالعراق وعوّل على أبى سعد بندار

ابن الفيروزان فى النيابة عن بهاء الدولة بفارس

وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة أبي الفرج يعقوب بن يوسف وزير صاحب مصر الملقب بالعزيز [1]

﴿ ذكر حاله وما جرى عليه أمر أوزازة بمصر من بعده ﴾

كان أبو الفرج كبير الهمة عظيم الهيبة فاستولى على الامر ونصح صاحبه فيه فقرُب من قلبه وتمكن من قربه ففوضت الامور اليه واستقامت على يديه . فلما اعتل علة الوفاة ركب اليه صاحب مصر عائدا ووجده على شرف اليأس فحزن له وقال : يا يعقوب وددت أن تُباع فابتاعك بملكى أو تُفدى فافتديك فهل من حاجة توصى بها ? فبكى (٢٧٣) يعقوب وقبل يده ووضعها على عينه وقال: اما فيما يخصني فلا فانك أرعى لحقى من ان أسترعيك وأرأف بمخلفى من أن أوصيك ولكني أقول لك فيما يتعلق بدولتك سالم الروم ماسالموك واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة ولا تُبق على المفرّج بن دغفل ابن الجراح متى أمكنت فيه الفرصة . ولم يشغله ما كان فيه من فراق دنياه عن نصح صاحبه ومحبته وهواه وكذلك حال كل ناصح صدوق . ثم توفى فامر صاحب مصر بان يدفن فى قصره فى قبة كان بناها لنفسه وحضر جنازته فصلى عليه وألحده بيده فى قبره وانصرف من مدفنه حزينا لفقده وأغلق الدواوين أياما من بعده

واستخدم أبا عبد الله الموصلى مدة ثم صرفه وقلد عيسى بن نسطورس

---

(١) والوزير هو ابن كلس وردت هذه القصة في تاريخ أبي يعلى ابن القلانسي ص ٣٢ وهى مأخوذة من تاريخ هلال الصابي . وفى ارشاد الاريب ٢ : ٤١١ وردت قصة ابن كلس هذا مع ولد للوزير أبي الفضل ابن حنزابة

وكان نصرانيا فضبط الامور وجمع الاموال ومال الى النصارى وولاهم الاعمال وعدل عن الكتّاب والمتصرفين من المسلمين واستناب بالشام يهوديا يعرف بمنشا بن ابراهيم بن القرار فسلك منشا مع اليهود سبيل عيسى مع النصارى واستولى أهل هاتين الملتين على جميع الاعمال

﴿ ذكر حيلة لطيفة عادت بكشف هذه الغمة [٢٧٤] ﴾

كتب رجل من المسلمين قصة وسلمها الى امرأة وبذل لها بذلا على اعتراض صاحب مصر بالظلامة وتسليمها الى يده وكان مضمونها : يامولانا بالذي أعز النصارى بعيسى بن نسطورس واليهود بمنشا بن القرار وأذلّ المسلمين بك الا نظرت فى أمري . وكانت لصاحب مصر بغلة معروفة اذا ركبها مرت فى سيرها كالريح ولم تلحق فوقفت له المرأة فى مضيق فلما قاربها رمت بالقصة اليه ودخلت فى الناس . فلما وقف عليها أمر بطلبها فلم توجد وعاد الى قصره مهتم الفكر فى أمره واستدعى قاضيه أبا عبد الله محمد بن النعمان وكان من خاصته وأهل أنسه فشاوره فى ذلك فقال ابن النعمان : أنت أعرف بوجه الرأي . فقال : لقد صدقت المرأة فى القصة ونبهت من الغفلة . وتقدم في الحال بالقبض على عيسى بن نسطورس وسائر الكتّاب من النصارى وكتب الى [١] الشام بالقبض على منشا بن القرار وجماعة المتصرفين من اليهود وأمر بردّ الدواوين والاعمال الى الكتّاب المسلمين والتعويل في الاشراف عليهم فى البلاد [٢]

---

(١) وفي الاصل : من (٢) وفي تاريخ ابن القلانسي ص ٣٣ : على القضاة في البلاد

﴿ذكر تدبير توصل به عيسى بن نسطورس الى﴾
(الخلاص والعود الى النظر [٢٧٥])

كانت بنت المتلقب بالعزيز المعروفة بست الملك كريمة عليه حبيبة اليه لا يردّ لها قولا فاستشفع عيسى بها فى الصفح عنه وحمل الى الخزانة ثلثمائة الف دينار . وكتب اليه يذكره بخدمته وحرمته فرضى عنه وأعاده الى ما كان ناظرا فيه وشرط عليه استخدام المسلمين فى دواوينه وأعماله

وفى هذه السنة كثرت فتن العيّارين بعد انحدار بهاء الدولة ورفعت الحشمة وجرى من الحرب بين أهل الدروب والمحالّ نوبة بعد نوبة ما أعيا فيه الخطب وتكرر الحريق والنهب تارة على أيدى العيّارين وتارة على أيدى الولاة وولى المعونة عدة فما أغنوا شيأ واستمر الفساد الى حين عود بهاء الدولة

﴿ودخلت سنة احدى وثمانين وثلثمائة﴾

فيها قبض على أبى [نصر] سابور الوزير بالاهواز ونظر أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف فى الامور

﴿ذكر السبب فى ذلك﴾

لما عاد بهاء الدولة بعد الصلح الى الاهواز شغب الديلم والاتراك وطالبوا [٢٧٦] باطلاق المال وذكروا أبا الحسن المعلم وأبا نصر سابور وأبا الفضل محمد بن أحمد عارض الديلم وعلى بن أحمد عارض الاتراك وجاهروا بالشكوى منهم وظاهروا بالكراهية لهم . وتردّدت بينهم وبين بهاء الدولة مراسلات انتهت الى ان استوهب منهم أبا الحسن المعلم وأبا القاسم على بن أحمد وأرضاهم بالقبض على أبى نصر سابور وأبى الفضل محمد بن أحمد وقلد

أبا القاسم عبد العزيز الوزارة وخلع عليه

ومن حسن سياسة الملوك ان يجعلوا خاصتهم كل مهذب الافعال محمود الخصال موصوفا بالخير والعقل معروفا بالصلاح والعدل فان الملك لا تخالطه العامة ولا أكثر الجند وانما يرون تواصعه فان كانت طرائقهم سديدة وأفعالهم رشيدة عظمت هيبة الملك في نفس من يبعد عنه لاستقامة طريقة من يقرُب منه . فقد ورد عن الاسكندر انه قال : انّا اذا فتحنا مدينة عرفنا خيارها من شرارها قبل تجربتهم . قيل له : كيف . قال : لانّا نرى خيارهم يتصافون الى خيارنا وشرارهم الى شرارنا .

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال : ما شىء أدلّ على شىء ولا الدخان على الدخان[1] من الصاحب على الصاحب . قال عدى بن زيد :[٢٧٧]

عن المرء لا تسئل وابصر قرينه ＊ فان القرين بالمقارن يقتدى

واذا كان خواص الملك ممن يُقدح فيهم وتذكر مساويهم قلّت الهيبة في النفوس فاظهر الجند استقلالا لامره ثم صار الاضمار نجوى بينهم ثم زادت الحيرة فصارت النجوى اعلانا فعند ذلك تقع المجاهرة وترتفع المراقبة ويتحكمون عليه تحكّم الآمر لا المأمور والقاهر لا المقهور .

وفي هذه السنة أنفذ خلف بن أحمد عمرا ابنه الى كرمان ودفع تمرتاش عنها

﴿ شرح[2] عليه أمر خلف بن أحمد صاحب سجستان ﴾
﴿ في انفاذ عمرو ابنه الى كرمان ويتصل هذا ﴾
﴿ الحديث بما جرى بعد هذه السنة ﴾
﴿ من أحوال تلك البلاد ﴾

---

(١) لعله : النار (٢) لعله سقط : ما

كان أبو أحمد خلف بن أحمد المعروف بابن بنت عمرو [١] بن الليث الصفار قد ورد العراق في أيام معز الدولة وخلع عليه بالحضرة الخلع السلطانية لولاية سجستان . وكان رديء الدخيلة في الباطن جيد الناموس في الظاهر شديد الطمع في الاموال متوصلا الى أخذها باللطف والاحتيال ويقول [٢٧٨] « ليس يجب ان يكون للرجال من الرعية أكثر من عشرة آلاف درهم لانها ذخيرة لذي الحاجة وبضاعة لذي التجارة »

﴿ ذكر الحيلة التي استمر عليها خلف بن أحمد ﴾
(في أخذ أموال رعيته)

كان يتبع أمور أهل البلاد في مكاسبهم ومتاجرهم وبضائعهم وذخائرهم فاذا عرف استظهار قوم منهم عمل ثبتا باسمائهم . وخرج على وجه التنزه والتصيد ونصب رجلا من أصحابه في النيابة عنه ووافقه على أخذهم ومطالبتهم بالفضل الذي يقدر انه في أيديهم فاذا علم ان المال معظمه قد صح من جهتهم رجع فيشكون اليه ما عوملوا به فيظهر لهم التوجع ويتقدم بالافراج عن من بقي منهم في الاعتقال ومسامحتهم عما تأخر عليهم من المال ويحضر صاحبه الذي استنابه فيجبهه بالانكار وربما ضربه بمشهدهم ليزول ما خامر قلوبهم من الاستشعار . وكان يمشي الى المسجد الجامع في كل جمعة بالطيلسان وربما خطب وصلى بالناس وأملى الحديث وله اسناد عال ورواية عن شيوخ العراقيين ومحدّثي الحرمين .

وكان عضد الدولة عند حصوله بكرمان [٢] قرر معه هدنة على ان لا يتعرض [٢٧٩] كل واحد منهما ببلاد صاحبه وكتبا بينهما كتابا بذلك

(١) وفي الاصل : عمر . والصواب ما اثبتنا (٢) وذلك في سنة ٣٥٧ ليراجع ٢ : ٢٥٣

شاع ذكره عند أمراء ساسان [١] وكبراء أهل خراسان وجرى الامر على المسالمة مدة أيام عضد الدولة

فلما توفي وملك شرف الدولة وانصرف أبو على الحسين بن محمد الحاجب عن كرمان وتقلدها تمرتاش وسار شرف الدولة الى العراق تحدثت نفس خلف بالغدر ثم أحجم عن الامر . فلما توفي شرف الدولة وملك صمصام الدولة فارس ووقع الخلف بينه و بين بهاء الدولة قوى طمعه وجهز جيشاً مع عمرو ابنه فلم يشعر تمرتاش بهم حتى نزلوا بعض اردشير ليلا وكان هو وعسكره في موضع يعرف بتركاباد من أبنية أبي عبد الله بن الياس [٢] ومعهم أموالهم وعلاهم فكان قصاراهم ان تركوا الدور وما فيها من الاموال ودخلوا بردشير بما أمكنهم حمله وحصلوا في الحصار وملك عمرو بن خلف جميع أعمال كرمان سوي بردشير وجبي الاموال وصار تمرتاش [٣] الى فارس .

وكانت بينه وبين العلاء بن الحسن عداوة من أيام شرف الدولة فوجد العلاء في هذا الوقت الفرصة التي كان يتوقعها في أمره

﴿ذكر الحيلة التي رتبها العلاء بن الحسن في القبض﴾
(على تمرتاش وقتله من بعد [٢٨٠])

قال العلاء ابن الحسن لصمصام الدولة : ان تمرتاش في جنبه بهاء الدولة ولا يؤمن ان يميل اليه ويقيم الخطبة له . وقرر معه تجهيز عسكر كثير من الديلم لمعونته وموافقة وجوههم على القبض عليه عند الحصول ببردشير فاخرج أبا جعفر نقيب نقباء الديلم وتقدم اليه بذلك . وسار أبو جعفر الى

---

(١) لعله : سامان (٢) أظنه اليسع ابن محمد بن الياس (٣) وفى الاصل : وصادر الناس

كرمان وعرف عمرو بن خلف حصوله بالشيرجان فعاد الى بمّ ونرماشير .
وتمم أبو جعفر الى بردشير فاستقبله تمرتاش مبعدا فى استقباله وسارا جميعا
الى الخيم التى ضربت لابى جعفر فلما وصلا اليها قال أبو جعفر لتمرتاش :
بينى وبينكم ما يجب ان نتوافق عليه فى هذا العدو والصواب ان تقدّمه .
فعاد الى مضاربه وكان أبو جعفر قد رتّب فيها قوما من الديلم لما يريده
فحين نزلا قبض عليه وقيده فأنفذ الى داره من احتاط على خزائنه
واصطبلاته وكان مموّلا فوجد له ما عظم قدره . وحمل تمرتاش الى شيراز
فحبسه العلاء ثم قتله

ولما فرغ أبو جعفر من أمر تمرتاش سار بالعسكر الذي صحبه ومن كان
مقيما ببردشير يطالب مواقعة عمرو بن خلف

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر [٢٨١] أبي جعفر فى هزيمته ﴾

لما التقى الفريقان بدارزين وهى فى سهل من الارض يتسع فيها اطراد
الفرسان استظهر ابن خلف عليه بكثرة من الفرسان وضاقت الميَر على أبى
جعفر ومن معه فهرب ليلا وعاد على طريق جيرفت . وبلغ الخبر صمصام
الدولة ومدبّري أمره فانزعجوا منه ثم أجمعوا أمرهم وأخرجوا العباس بن
أحمد الحاجب الى هذا الوجه فى عدد كثير من طوائف العسكر وسار
متوجها للحرب

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر عمرو بن خلف فى هذه
(الوقعة وهزيمته وما آل حاله اليه من القتل) ﴾

لما حصل العباس بن أحمد الحاجب بقرب الشيرجان برز اليه عمرو
ابن خلف ووقعت الوقعة على باب البلد فكانت الدائرة على عمرو وأسر

القنكرين وكان وجيها في عسكره والمعروف بابن أمير الجبل صهر خلف وعدد كثير من السجزية وذلك في محرم سنة اثنين وثمانين. وعاد عمرو الي سجستان مفلولا مع نفر من أصحابه ولما دخل الي أبيه قيده وأزرى به وعجزه (٢٨٢) في هزيمته وحبسه أياما ثم قتله بين يديه وتولى غسله والصلاة عليه ودفنه في القلعة.

فليت شعري ما كان مراده من قتل ولده ! اما كان عذره في قطع يده يده أتراه ظن انه يشفي غلته أو يجبر وهنه بقت عضده ، كلا بل خاب ظنه وزاد وهنه وطال حزنه لقد فعل في الدنيا نكرا وحمل للآخرة وزراً .

فويل للقاسية قلوبهم ما أبعدهم من الصواب وأقربهم من العذاب !

ووصل أبو علي ابن أستاذ هرمز الي فارس وقرب من خدمة صمصام الدولة فشرع في انفاذ أستاذ هرمز أبيه [١] الى كرمان وقرر الامر معه واستعيد الميأس وتوجه أستاذ هرمز .

فقال أبو بكر ابن عمرو بن يعقوب كاتبه : لما انتهى الخبر الى خلف بن أحمد وجم لذلك الجند ورأى انه قد رُمي [٢] بحجره حين لا قدرة له على الذب عن حريمه لتمزق رجاله واضطراب حاله وعلم انه متى قصده في عقر داره وهو على هذه الصورة انتهز فيه الفرصة فعمد الى اعمال الحيلة

﴿ ذكر حيلة عملها خلف بن أحمد في تعليل ﴾
(أستاذ هرمز عن قصده (٢٨٣))

كتب كتابا غير معنون أقام فيه العذر لنفسه وحمل حجته في نقض المدنة العضدية اختلاف صمصام الدولة وبهاء الدولة اذ كان من شروط

(١) وفي الاصل : ابنه (٢) وفي الاصل : وفي

الهدنة انها ماضية بينهما مدة حياتهما ومنتقلة الى أولادهما بعدهما ما لم يختلفوا وان نقضهُ لما كان لهذا العذر وانه متى استونف معه الصلح أجاب اليه . وأنفذ الكتاب على يد أحد الصوفية قال أبو بكر : فلما وصل الكتاب قرأته على أستاذ هرمز وعرّفته ما في الصلح من الصلاح فتقدّم الى بكتب جوابه على نحو ما وقع الابتداء ففعلت . واستمر خلف على هذه الطريقة في مواصلة المكاتبة وتقرير أمر الهدنة حتى استقرت وكتب بها كتابا أخذ فيه خطوط الشهود وتوثّق بالايمان والعهود . واتصلت المهاداة والملاطفة بين الجهتين وخلف فى أثناء هذه الاحوال يجمع المال ويثبت الرجال ويتجدد العهد حتى اذا قويت شوكته نقض عهده . وأظهر كتابا من المعتضد بالله رحمة الله عليه ببلاد كرمان اقطاعا لجده عمرو [ابن] الليث الصفار وجعل ذلك عذرا عند ملوك الاطراف العارفين بما استقر من تلك المعاهدة

﴿ ذكر مكيدة لخلف أراد بها (٢٨٤) إساءة ﴾
(سمعة أستاذ هرمز)

كان بسجستان قاض يعرف بابي يوسف البزّاز مقبول القول بين الرعية يعظمونه غاية الاعظام ويجرونه عندهم مجرى الامام فاستدعاه خلف وأخرجه رسولا الى أستاذ هرمز وضمّ اليه رجلا من الصوفية يعرف بالحلبي كالمؤانس له وسلم الى المتصوف سما وواقفه على ان يقتله فى طعام يحمل اليه من دار أستاذ هرمز وفي عقب حضوره على طبقه لينسب الناس قتله اليه ورتّب للصوفي جمازات بين سجستان وبمّ وقال له . اذا قضيت الارب فاهرب . فتوجه أبو يوسف غافلا عما يُراد به ووصل الى أستاذ هرمز وهو ببمّ

فـ كرمه وسمع منه ما أورده عليه ووعده بالجواب عنه. ودخل الصوفي بينهما في السفارة وحصلت له بها تقدم عند أستاذ هرمز فانس به فاشار عليه باستدعاء أبي يوسف الى طعامه ليشاهد فضل مروءته فيتحدث به في بلده . فقبل منه واستدعى أبا يوسف لذلك فاستعفاه وامتنع فصار الصوفي الى أبي يوسف وقال له : ان في امتناعك عليه ايحاشاً له . ولم يزل به حتى لبي دعوته وحضر عنده في بعض ليالي شهر رمضان . واتخذ الصوفي شيأ كثيرا من القطائف فمنه ما عمله بالفانيد السجزي على عادة تلك البلاد ومنه ما عمله بالسكر (٢٨٥) الطبرزد واللوز على رسم أهل بغداد وجعل السم في البغدادي . فلما انصرف أبو يوسف من دار أستاذ هرمز بعد افطاره معه سأله الصوفي عن حاله وما شاهده من مروءته فما زال أبو يوسف يذكر شيأ شيأ حتي أفضى الحديث الى ذكر القطائف فوصف أبو يوسف جودة ما أحضر منه علي الطابق فقال الصوفي : ما أظن القاضي أكل مما يصلح عندنا في العراق وقد عملت منه شيئا لتأكله وتعلم أن لبغداد الزيادة على كل بلد . وقام وأحضر ما أودعه السم . فستدعى أبو يوسف جماعة من أصحابه ليأكلوا معه فقال له الصوفي: هذا شيء نحب أن توفر عليك وقد عملت لاصحابنا ما يصلح لهم . وأحضر ما كان عمله على رسم تلك البلاد ودعا القوم اليه وأكل أبو يوسف من المسموم (١) وأمعن فيه . وخرج الصوفي من الدار وقصد باب البلد وركب جمازة معدة ودخل المفازة متوجها الى سجستان ونام أبو يوسف فما مضت ساعة حتى عمل السم فيه وطلب الصوفي فلم يلحق ولا عرف له خبر فاحس بالحيلة .

---

(١) وفي الاصل : المصوم

قال أبو بكر الكاتب : فجاءني رسوله في جنح الليل يستدعيني بجثته وهو كما به يتقلب على فراشه ويحتسب الله على خلف فوصاني بحفظ ما يخلفه ومعاونة أصحابه على حمله الى بلده وتسليمه الى ورثته وبقي ساعة وقضى [نحبه] وعرف أستاذ هرمز الخبر فقلق لاجله ثم رأى كتمان الامر وأحسن[٢٨٦] الى أصحاب أبي يوسف وأعادهم موفورين .

ووصل الصوفي الى خلف وحدثه الحديث فقرر معه ان يقول في المحفل الذي يجتمع الناس فيه : ان أستاذ هرمز غدر بابي يوسف وسمه وقتله وأراد ان يفعل بي مثل ذلك فخرجتُ على وجهي هاربا منه وانه قد نقض العهد وعزم على المسير الى هذه البلاد . ثم عقد مجلسا فيه القضاة والشهود ووجوه الخاصة والعامة وأحضر الصوفي حتى أورد ما توافقا عليه فلما استتم الصوفي كلامه حتى أجهش خلف بالبكاء والنحيب وقال : واأسفاه على القاضي الشهيد . ونادى : النفير لغزو كرمان فكتب محاضر بذلك وأنفذها الى أصحاب الاطراف وشنّع على أستاذ هرمز بالغدر والنكث . وندب ولده طاهرا المعروف بشيربابك[١] مع أربعة آلاف غلام وخمسة آلاف رجل من السجزية الى كرمان .

فسبحان من خلق أطواراً وجعل منهم أخياراً وأشراراً ! ما كان أجرى هذا الرجل على فعل المحظور وقول الزور ! أتراه ما سمع قول الله تعالى : ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤُه جهنم خالداً فيها وغضبَ الله عليه ولعنهُ وأعدّ له عذابا عظيما . وقوله سبحانه : ومن يكسبْ خطيئةً أو إثماً ثم يرمِ به بريئاً فقد احتمل[٢٨٧] بهتانا وإثماً مبينا . ان الانسان لظلومٌ كفّار ولقد أقدم

(١) وفي تاريخ هلال الصابي هو « شيرباريك »

فى ظلم عظيم

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر طاهر بن خلف بكرمان ﴾

سار طاهر مع عسكره الى نرماسير وبها شهفيروز ابن بنت ملكا بن وندا خرشيد فى عدة من وجوه الديلم والجيل [1] وفيهم سراهنك بن سياهجيك الجيلى قريب زيار بن شهراكويه وكان فارسا شجاعا فوصلوا الى باب البلد سحرا فما شعر الناس الا بنعرة الاتراك . وبادر الديلم عند ذلك الى ميدان فى البلد فاجتمعوا فيه وتشاوروا فيما بينهم فيما يدبرون به أمرهم مع قصورهم عن مقاومة من نزل بساحتهم . فبينا هم فى تراجع القول اذ أحرق السجزية أحد أبواب البلد وصعدوا السور واستقر رأى الديلم على الخروج من باب يفضى الى البساتين والحيطان وسلوك طريق بينهما تضيق عن مجال الفرسان وتوجهوا على هذه النية . فلما وصلوا الى الباب صادفوا السجزية داخلين منه فلاقوا وكان يقدم الديلم سراهنك بن سياهجيك فرمى ملدين [2] الدواتى أحد قواد خلف بزوبين سقط منه صريعا ورمى آخر فقتله وثلث فانهزم السجزية ناكصين على أعقابهم [1] الى الصحراء . وخرج الديلم باهلهم وأموالهم ولزموا حيطان البساتين وقصدوا جبلا كان قريبا منهم وصعدوا فيه حتى خلصوا ومضوا الى جيرفت . ولم يقدم فرسان ابن خلف على اتباعهم فى تلك الطريق ودخل طاهر بن خلف نرماسير بعد انصرافهم منه

وبلغ أستاذ هرمز الخبر وهو بم وكان فى القلعة التى هو بها سلاح كثير له خطر كبير

---

(١) وفى الاصل : والجيل (٢) كذا فى الاصل

﴿ ذكر ما دبر به أستاذ هرمز أمره عند وصول الخبر اليه ﴾

جمع اليه من كان معه من الديلم وشاورهم فى الامر فقالوا : لا طاقة لنا اليوم بهذا الرجل مع قوة شوكته لا سيما وقد انقطع عنا العسكر الذين كانوا بنرماسير والصواب ان نحمل من هذه الاسلحة ما نقدر على حمله ونحرق الباقى لئلا يستظهر العدو به علينا ونمضي الى جيرفت ونقرر رأينا هناك . فاستصوب رأيهم وعمل به وبادر الى جيرفت وأقام بها يستكثر من الرجال ويستمدّ للقتال .

وسار ابن خلف الى بردسير لانها قطب كرمان ومن ملكها وقلعتها تمكنت قدمهُ واستقام ملكه [٢١٣]

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر ابن خلف في قصد ﴾
(بردسير وما آل أمره اليه من الهزيمة)

كان الحامي ببردسير فى ذلك الوقت أبو بكر محمد بن الحسن قريب أبي الوفاء طاهر بن محمد فجاهد فى الذب عن البلد ثلاثة أشهر ثم ضاقت الميرة فكتب الى أستاذ هرمز يعلمه اشتداد الحصار به وانه متى لم يدركه سلم البلد . فبلغ ذلك من أستاذ هرمز كل مبلغ وخاف ان تتم الحيلة فيه فسار من جيرفت فى سنة أربع وثمانين والزمان شات ولاقى عسفا فى طرق سلكها واخطار ركبها فلما قرب من بردسير أخذ فى لحف الجبل حتى صار بينه وبين القلعة ثلاثة فراسخ ثم رتب مصافه وسار . وعرف من فى القلعة وروده فضربوا البوقات والطبول وبرزوا وتلاقى السجزية وعسكر أستاذ هرمز واقتتلوا عامة النهار وأستاذ هرمز زحف بعسكره الى باب البلد حتى اذا شارفه قلع السجزيه مضاربهم من موضعها وتأخروا واختلطوا محاصرين [١]

---

(١) يريد : واختلط عسكر المحاصرين بعسكر أستاذ هرمز

لعسكر أستاذ هرمز . وقوى بعضهم ببعض وهابهم السجزية وأحجموا عن الاقدام عليهم وأقاموا يوما واحداً [٢٩٠] ثم أوقدوا النيران ليلا يوهمون بها انهم مقيمون ورحلوا . وعرف أستاذ هرمز خبر انصرافهم سحراً فانفذ أبا غالب ابنه في جماعة من الفرسان لاقتصاص آثارهم فسار مجداً في طلبهم وقتل جماعة ظفر بهم منهم . ورحل أستاذ هرمز يطوى المنازل الى نرماسير فوصلها وقد دخل طاهر بن خلف المفازة عائدا الى سجستان . ونعود الى سياقة التاريخ .

وفي هذه السنة عاد بهاء الدولة من الاهواز الى مدينة السلام وقبض على أبي نصر خواشاذه وأبي عبد الله ابن طاهر

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان أبو الحسن المعلم يتوقع في كل ناظر خدمة وهدية وكان أبو نصر فيه شحٌ يمنعه عن ذلك فاذا أشير عليه قال : انما يفعل هذا العمل من يرتزق أو يرتفق . ففسد رأى أبي الحسن فيه فسادا عرفه كل أحد وبلغ أبا نصر فخافه وهمّ بالهرب عن قرب بهاء الدولة واستدعى من العرب من يخرج معه . ثم توقف وأشار عليه أهل أنسه بتلافي أبي الحسن بما يحمله اليه فنازلهم الى الف دينار فقالوا له : تكون وزنا يلقى بها بواسط . فلم يفعل وأخذ خط بعض الباعة به وأنفذه اليه فلم يقع موقعه الا انه قبله تأنيسا له . وورد مدينة [٢٩١] السلام فقبض عليه وأخذ له عند القبض عليه من عدة مواضع ما بلغ قيمته الفى الف دينار وأفرج عنه بعد ذلك بمدة

فانظر الى هذا الشح المطاع كيف القى صاحبه في المهالك وأخرجه الى ضيق المسالك فانه ضيّع الكثير من حيث حفظ القليل . والجوّاد أملك

لماله من الشحيح لان ذلك يبذله إما لنفع عاجل واما لذخر آجل وهذا يخزنه اما لحادث واما لوارث فذاك محظوظ وهذا محروم وذاك مشكور وهذا مذموم . وقد قيل : اتفق فى حالتى الاقبال والادبار والاتفاق في زمن الاقبال لا ينقص حالا والامساك في زمن الادبار لا يحفظ مالا قال الله تعالى: ومن يُوقَ شُحَّ نفسه فاؤلئك هم المفلحون

فاما أبو عبد الله ابن طاهر فانه كان نائبا عن أبي نصر سابور الا انه أقر على أمره عند القبض على سابور بالاهواز لانه [1] أعطى أبا الحسن المعلم ما أرضاه ثم [2] يدفع عنه كراهة منه لايحاش أبي القاسم عبد العزيز فقبض عليه وقرر أمره على مال صححه وخلى عنه .

وفيها سكنت الفتنة وتتبع العيارون وأخذوا وقُتلوا واطمأن الناس وقامت الهيبة . وكان فى جملة العيّارين المأخوذين انسان يعرف بابن جوامرد من وجوههم وكان قد أبقى فى أيام [صمصام الدولة] (٢١٢) وحرس الاسواق فسئل بهاء الدولة في أمره فأمنه ومن أبقى أبقى عليه ومن أساء أساء [3] اليه ومن أحسن أحسن اليه

وفيها هرب أبو منصور فولاذ بن ماناذر من شيراز

﴿ ذكر السبب فى هرب فولاذ ﴾

لما استفحل أمره بفارس وزاد على حد أصحاب الجيوش حصل صمصام الدولة تحت حكمه وجعل اسمه مقترنا باسمه فى المناشير وكتب فيها : هذا كتاب من صمصام الدولة وشمس الملة أبي كاليجار بن عضد الدولة يمين أمير المؤمنين ومن عبده وصاحب جيشه نجم الدوله أبي منصور مولى أمير

---

(١) وفى الاصل : الا انه (٢) لعله سقط : لم (٣) لعله : (أسيء)

المؤمنين . وكانت بينه وبين العلاء بن الحسن المودة التي تقدم ذكرها ثم استحالت عداوة ثبتت على الايام أصولها وبسقت فروعها فعمل فولاذ على القبض عليه وخاطب صمصام الدولة على ذلك فاجابه الى مراده منه

﴿ ذكر الحيلة التي رتبها فولاذ على العلاء بن الحسن ﴾
﴿ وانعكاسها حتى صارت الدائرة على فولاذ [٢٩٣] ﴾

صار فولاذ الى دار الامارة وفيها أبو القاسم العلاء بن الحسن على عادته فقدم اليه واستقبله وقضى حقه وأخذ بيده وماشاه وحادثه ثم وقف على باب بيت ودفع في صدره حتى حصل بالبيت وأغلق بابه عليه ووكل به قوما . فاشتغل فولاذ بلقاء الديلم وسلامهم وخطابهم على أمورهم وكان البيت الذي حصل فيه له باب آخر قد سمر فعالجه حتى فتحه وخرج منه ودخل على صمصام الدولة في حجرة خلوته فقال له : قد قبض هذا الرجل عليّ وغرضه في ذلك ان لا يترك بين يديك من يخدمك وفي نفسه ان يعلو على الملك . قال : فما الرأي . قال : ان تقبض عليه اذا دخل اليك الساعة وعليّ ان لا يجري من العسكر قول في معناه . فعمل وتقدم الى بعض الحواشي بالقبض عليه اذا أقبل الى حضرة صمصام الدولة والعدول به الى بعض البيوت . وسمع علي الارزناني [١] النديم الحديث وكان يتجسس على صمصام الدولة لفولاذ فلما وافى فولاذ أومى عليّ اليه بيده أن « ارجع فانك مأخوذ » فرجع فولاذ نافرا وانصرف الى داره . وخرج العلاء بن الحسن الى وسط العسكر على أثره وأظهر لهم عصيانه ونادى للركوب اليه والقبض عليه فعرف فولاذ ما عول عليه العلاء فاخذ ما خف من ماله على الجمازات وسار . وتبعه العلاء

---

(١) وفي الاصل : الارزناني

منه ... في طلبه[1] قانعا بما تم عليه (٢٩٤) من هربه ومضى فولاذ الى الاكراد الحسروية فنزل عليهم وعاد العلاء وأقطع الديلم اقطاعات فولاذ واستقام الامر له . وكاتب الاكراد وطالبهم بفولاذ وسبق اليهم بالوعيد ان لم يسلموه وكانوا قد طمعوا في مال فولاذ وانضاف الى الطمع فيه الخوف من العلاء فنهبوه وأفلت بنفسه منهم وحصل بالري وأقام عند فخر الدولة الى ان توفي .
فاما علي الارزناني فان صمصام الدولة أمر بقتله فقتل

وفيها قبض على أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف وعلى أصحابه وأسبابه وكانت مدة نظره ببغداد شهرين ونصفا . وقلد أبو القاسم علي بن أحمد الابرقوهي الوزارة وخلع عليه

وفي هذا الوقت قبض على الطائع لله وقد جلس لبهاء الدولة .

﴿ ذكر السبب في القبض على الطائع لله رضوان الله عليه ﴾

كان أبو الحسن المعلم (وبئس القرين هو) قد كثر عند بهاء الدولة مال الطائع لله وذخائره وأطمعه فيها وهوّن عليه أمرا عظيما وجرّأه على خطة شنعاء فقبل منه وقبض عليه . ثم لم يحظ من ذلك الا بسوء الذكر الى آخر الدهر ولو لا ان حسنات أيام القادر بالله رضوان الله عليه أسبلت (٢٩٥) على مساوى هذا الفعل سترا لما وجد عند الله تعالى ولا عند المخلوقين عذرا لكن محاسن ذلك الامام التقي الرضي أعادت وجه الدين مشرقا وعود الاسلام مورقا . فاما شرح ما جرت عليه الحال يوم القبض فلم اذكره اذ لا سياسة فيه فتحكى ولا فضيلة فتروى الا أبياتا للرضي أبي الحسن الموسوي رحمه الله فانه كان في جملة من حضر فلما أحس بالقصة أخذ بالحزم

---

(١) لعله سقط : ثم انصرف

وبادر الخروج من الدار ونوّم من تلوّم من الاماثل فامتهنوا وسلبت ثيابهم وسلم هو فقال (١)

أعجب لمسكة نفسي بعد ما رميت * من النوائب بالابكار والعون
ومن نجاتي يوم الدار حين هوى * غيري ولم أخل من حزم ينجيني
مرقت منها مروق النجم منكدرا * وقد تلاقت مصاريع الردى دوني
وكنت أول طلاع ثنيتها * ومن وراءي شرّ غير مأمون
من بعد ما كان رب الملك مبتسما * اليّ أدنيه في النجوى ويدنيني
أمسيت أرحم من أصبحت أغبطه * لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكني * ياقرب ما عاد بالضراء يبكيني
هيهات أغتر بالسلطان ثانية * قد ضلّ ولاّج أبواب السلاطين (٢٩٦)

وبالله تعالى نستعين من شر الفتن وانقلاب الزمن واياه نسأل سلامة شاملة وعاقبة حميدة ٭

ولما انصرف بهاء الدولة الى داره (وقد حُمل الطائع لله قبله اليها واعتقل فيها) أظهر أمر الخليفة القادر بالله أبي العباس أحمد بن اسحق بن المقتدر بالله رضوان الله عليهم ونادى بشعاره في البلد . وكتب على الطائع كتابا بالخلع وتسليم الامر الى القادر بالله رضي الله عنه وشهد الشهود فيه عليه وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام . وانحدر الى حضرة القادر بالله من خواص بهاء الدولة من يهنّيه بالخلافة ويصعد في خدمته الى مدينة السلام

وشغب الديلم والاتراك مطالبين برسم البيعة ومنعوا من الخطبة باسم الخليفة في يوم الجمعة فقيل « اللهم اصلح عبدك وخليفتك القادر بالله »

(١) ديوان الرضي طبع بيروت ٢ : ٨٦٧

الخليفة فى يوم الجمعة فقيل « اللهم اصلح عبدك وخليفتك القادر بالله » ولم يُسم . وترددت الرسل بين بهاء الدولة وبين العسكر فارضى الوجوه والاكابر ثم قرر لكل واحد ثمانمائة درهم وأخذت البيعة على الجماعة واتفقت الكلمة على الرضاء والطاعة . وأقيمت الخطبة باسم أمير المؤمنين القادر بالله أبي العباس أحمد رضوان الله عليه فى يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان [1] وقيل ان القادر بالله [297] رضوان الله عليه رأى رؤيا قبل ورود

---

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في خلع الطائع لله : وسببه ان أبا الحسن ابن المعلم كان من خواص بهاء الدولة فحبس فجاء بهاء الدولة وقد جلس الطائع لله في الرواق متقلدا سيفاً فلما قرب بهاء الدولة قبل الارض وجلس على كرسي فتقدم أصحاب بهاء الدولة فجذبوا الطائع بحمائل سيفه من سريره وتكاثر عليه الديلم فلفوه في كساء وحمل في زبزب وأصعد الى دار المملكة وشاش البلد وقدّر أكثر الجند ان القبض على بهاء الدولة فوقعوا في النهب وشلح من حضر من الاشراف والعدول وقبض على الرئيس على بن عبد العزيز بن حاجب النعمان فى جماعة وصودروا واحتيط على الخزائن والخدم ورجع بهاء الدولة الى داره . وأظهر أمر القادر بالله وانه الخليفة ونودى له في الاسواق وكتب على الطائع كتابا بخلع نفسه وانه سلم الامر الى القادر بالله وشهد عليه الاكابر والاشراف ونفذ الى القادر المكتوب وحثه على القدوم . وشغب الديلم والترك يطالبون برسم البيعة وبرزوا الى ظاهر بغداد وترددت الرسل منهم الى بهاء الدولة ومنعوا من الخطبة للقادر ثم أرضوهم فسكنوا وأقيمت الخطبة للقادر في الجمعة الآتية وهى ثالث رمضان . وحول من دار الخلافة جميع ما فيها حتى الخشب الساج والرخام ثم أبيحت للخاصة والعامة فقلعت أبوابها وشبابيكها . وجهز مهذب الدولة على بن نصر القادر بالله من البطائح وحمل اليه من الآلات والفرش ما أمكنه وأعطاه طيارا كان عمله لنفسه وشيعه فلما وصل الى واسط اجتمع الجند وطالبوه بالبيعة وجرت لهم خطوب انتهت الى ان وعدهم باجرائهم مجرى البغداديين فرضوا وسار وكان مقامه بالبطيحة منذ يوم حصل فيها الى ان خرج عنها سنتين واحد عشر شهرا وقيل سنتين وأربعة أشهر عند أميرها مهذب الدولة

قال هلال بن المحسن : وجدت الكتاب الذى كتبه القادر بالله : من عبد الله أحمد

الخبر اليه بمصير الامر اليه

﴿ ذكر الرؤيا التى رآها القادر بالله رضوان الله عليه ﴾

قال هبة [الله] بن عيسى كاتب مهذب الدولة : كنت أغشى مجلس القادر بالله فى مقامه بالبطيحة فى كل أسبوع يومين فاذا حضرت رفعنى واذا رمت تقبيل يده منعنى . فدخلت اليه يوما فوجدته قد تأهب تأهبا لم تجر عادته بمثله ولم أر منه ماعوّدنيه من الاكرام وجلست دون موضعي فما

الامام القادر بالله أمير المؤمنين الى بهاء الدولة وضياء الملة أبى نصر ابن عضد الدولة مولى أمير المؤمنين سلام عليك . فان أمير المؤمنين يحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله أما بعد أطال الله بقاءك وأدام عزك وتأييدك وأحسن امتاع أمير المؤمنين بك فان كتابك الوارد في صحبة الحسن بن محمد بن نصر رعاه الله عرض على أمير المؤمنين تالياً لما تقدمه وشافعا ماسبقه ومتضمنا مثل ما حواه قبله من اجماع المسلمين قبلك بمشهد منك على خلع العاصي الملقب بالطائع عن الامامة ونزعه عن الخلافة لبوائقه المستمرة وسوء نيته المدخولة واشهاده على نفسه بعجزه ونكوله وابرائه الكافة من بيعته وانشراح صدور الناس لبيعة أمير المؤمنين ووفق أمير المؤمنين على ذلك كله ووحدك أدام الله تأييدك قد انفردت بهذه المآثر واستحققت بها من الله جليل الاثرة ومن أمير المؤمنين سنيّ المنزلة وعليّ المرتبة وفيه فقد أصبحت سيف أمير المؤمنين المبير لاعدائه الحظى دون غيرك بحميد رأيه المستبد بحماية حوزته ورعاية رعيته والسفارة بينه وبين ودائع الله عنده في ربته . وقد برزت راية أمير المؤمنين عن الصليق متوجها نحو سريره الذى حرسته ومستقر عزه الذي شيدته ودار مملكته التي أنت عمادها . . . الى ان قال : فواصل حضرة أمير المؤمنين بالانهاء والمطالعة ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب لثلاثة تبقي من شعبان .

واسم القادر أحمد بن اسحق بن المقتدر أبو العباس وأمه تمني مولاة عبد الواحد بن المقتدر ولد سنة ٣٣٦ وكان حسن الطريقة كثير المعروف فيه دين وخير فوصل الى جبل في عاشر رمضان وجلس من الغد جلوسا عاما وهنى . وحمل الى القادر بعض الآلات المأخوذة من الطائع واستكتب له أبوالفضل محمد بن أحمد عارض الديلم وجعل استدار

أنكر ذلك مني ورمت تقبيل يده فدها الي فاختلفت بي الظنون لزلة مني فان تكن فاسئل اعلامي بها فاما ان أطاب مخرجا منها بالعذر أو ألوذ فيها بالعفو فاجابني بوقار ان اسمع : رأيت البارحة في منامي كان نهركم هذا (وأومى الى نهر الصليق) قد اتسع حتى صار عرض دجلة دفعات وكاني متعجب من ذلك وسرت على حافه [مستعظما] لامره ومستطرفا لعظمه فرأيت دستا هيج قنطرة عظيمة [١] فقلت « ترى من قد حدث نفسه بعمل قنطرة في هذا الموضع على مثل هذا البحر الكبير؟» وصعدته فكان [٢٩٨] بثقا محكما

عبد الواحد بن الحسن الشيرازي . وفي شوال عقد مجلس عظيم وحلف القادر وبهاء الدولة كل منهما لصاحبه بالوفاء وقلده القادر ما وراء بابه مما تقام فيه الدعوة . وكان القادر أبيض حسن الجسم كث اللحية طويلها تخضب وصفه الخطيب البغدادي بهذا وقال: كان من الديانة والستارة وادامة التهجد وكثرة الصدقات على صفة اشتهرت عنه وقد صنف كتابا في الاصول ذكر فيه فضائل الصحابة واكفار المعتزلة القائلين بخلق القرآن.

وذكر محمد بن عبد الملك الهمذاني ان القادر كان يلبس زي العوام ويقصد الاماكن المعروفة بالخير والبركة كقبر معروف وغيره وطلب من ابن القزويني الزاهد أن ينفذ له طعامه الذي يأكله فأنفذ اليه باذنجان مقلو بخل وباقلي ودبس وخبز بيتي وشده في ميزر فاكل منه وفرق الباقي وبعث الى ابن القزويني مائتي دينار فقبلها ثم بعد أيام طلب منه طعاما فأنفذ اليه طبقا جديدا وفيه زبادي فيها فراريج وفالوذج ودجاجة مشوية فتعجب الخليفة وأرسل يكلمه في ذلك فقال . ما تكلفت لما وسع علي وسعت على نفسي . فتعجب من عقله ودينه ولم يزل مواصله بالعطاء

وابن القزويني هو أبو الحسن علي بن عمر بن محمد الحربي الزاهد توفي في شعبان سنة ٤٤٢ قال الخطيب : كتبنا عنه وكان أحد الزهاد المذكورين ومن عباد الله الصالحين يقرىء القرآن ويروي الحديث ولايخرج من بيته الا للصلاة وكان وافر العقل صحيح الرأي .

(١) وفي مرآة الزمان : واذا بهواعد قنطرة عظيمة . وكلمة دستاهيج . لعل معناها درابزين

ومددت عيني واذا بازائه مثله وزال الشك عني في انهماد دستا هيج قنطرة وأقبلت أصمد وأصوّب في التعجب . فبينما أنا واقف عليه اذ رأيت شخصا قد تأملني من ذلك الجانب وناداني يا أحمد أتريد أن تعبر . قلت : نعم . فمد يده حتى وصلت اليّ وأخذني وعبر بي فهالني فعله فقلت له وقد تعاظمني أمره : من أنت ؟ قال: على بن أبي طالب هذا الامر صائر اليك ويطول عمرك فيه فأحسن الى ولدى وشيعتي . فما انتهى الخليفة هذا المقال من قوله حتى سمعنا صياح ملاّحين وضجيج ناس فسألنا عن ذلك فقيل : ورد أبو على ابن محمد بن نصر وجماعة معه . فاذا هم اوارده للاصعاد به فقد تقررت الخلافة له . فعاودت تقبيل يده ورجله و خاطبته بامرة المؤمنين و بايعته .

ثم قام مهذب الدولة بخدمة الخليفة في اصعاده وانحداره أحسن قيام وحمل اليه من المال والثياب والآلات ما يحمل مثله الى الخلفاء وأعطاه الطيار الذي كان صنعه لنفسه وشيعه الى بعض الطريق وأنفذ هبة [الله] بن عيسى في خدمته . فلما وصل الى واسط اجتمع الجند بها وطالبوا برسم البيعة وجرت لهم خطوب انتهت الى أن وعدوا باجرائهم مجرى البغداديين . فلما تقررت أمورهم عليه ورضوا سار فلما بلغ الجبل انحدر بهاء الدولة ووجوه الاولياء وأماثل الناس لتلقيه [٣٩٩] وخدمته ودخل دار الخلافه ليلة الاحد ثاني عشر رمضان

﴿ ذكر جلوس القادر بالله أمير المؤمنين رضوان ﴾
﴿ الله عليه على سرير الخلافة ﴾

جلس ثاني يوم حصوله في الدار جلوسا عاما وهُني بالامر وأنشد المديح بالشعر وكان من ذلك قصيدة للرضي أبي الحسن الموسوي أولها

شرف الخلافة يابنى العباس * اليوم جدده أبو العباس

هذا الذى رفعت يداه بناءها الـعالى وذاك موطد الاساس

ذا الطود بقّاه الزمان ذخيرةً * من ذلك الجبل الاشم الراسى

وتمامها مثبت فى ديوان شعره [1] ولقد صدق الموسوى فى قوله ان القادر بالله جدد معاهد الخلافة وأنار أعلامها وكشف غمم الفتنة وجلى ظلامها ويقولون لئن كان لكل من الائمة رضوان الله عليهم مناقب مروية وطرائق مرضية فان لاربعة منهم فضائل أفردوا بمزاياها وحظوا بمرباعها وصفاياها : قام أمير المؤمنين السفاح سفح دماء الاعداء وتاخى كشف الغماء [2] وتفرّد و فضل بفضيلة الابتداء : والمنصور بالله أيد بالنصر فى توطيد (٣٠٠) قواعد الامر فذلل كل صعب وأزال كل شعب وثقف كل مناد ومهّد لمن بعده أحسن مهاد : ثم المعتضد بالله عضد الدولة بحسن تدبيره وسياسته وتلافاها بشرف نفسه وعلو همته وأعادها بعد الضعف الى القوة وبعد اللين الى الشدة وبعد الأود الى الاستقامة وبعد الفتنة الى السلامة : ثم القادر بالله قدرَ من صلاحها على ما لم يقدر عليه سواه وسلك من طريق الزهد والورع ماتقدمت فيه خطاه . فكان راهب بنى العباس حقا وزاهدهم صدقا ساس الدنيا والدين وأغاث الاسلام والمسلمين واستأنف فى سياسة الامر طرائق قويمة ومسالك مأمونة سليمة هى الى الآن مستمرة والقاعدة عليها مستقرة لم تعرف منه زلة ولا ذمت له خلة : فطالت أيامه وطابت أخباره

(١) في ديوان الرضي طبع بيروت ١ : ٤١٧ وفي كتاب عمدة الطالب (طبع بمبي ١٣١٨ ص ١٨٤) انه كان الرضى يرشح الى الخلافة وكان أبواسحق الصابى يطمعه فيها ويزعم ان طالعه يدل على ذلك (٢) فى الاصل : كشف ماحى الغماء

وأقفيت آثاره وبقيت على ذريته الشريفة أنواره رضى الله عنه رضاه عن الائمة المتقين وجعلها كلمة باقية في عقبه الى يوم الدين

وحمل الي القادر بالله بعض ما كان أخذ من دار الخلافة من الاثاث والاواني والآلات وجعل كُتّابه وحجّابه وحواشيه جميعهم من أصحاب بهاء الدولة ثم أعاد القادر بالله بعد ذلك حاشية الدار القدماء الى مواضعهم . وكان مدة مقامه [٣٠١] بالبطيحة من يوم وصلها الى يوم خرج منها سنتين واحد عشر شهرا .

فاما أخت بهاء الدولة التي كانت في حبال الطائع لله فان دارها حرست يوم القبض من النهب ثم نقلت الي دار بمشرعة الصحراء أقامت فيها موقرة الى ان توفيت

وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة سعد الدولة أبي المعالى ابن سيف الدولة بعد قتله بكجور غلامه [١]

﴿ شرح الحال في عصيان بكجور وما آل اليه أمره من ﴾
﴿ القتل ونُبَذ من أخبار المصريين تتصل بها ﴾
(في هذه السنة وما بعدها)

كان لسعد الدولة غلام يعرف ببكجور فاصطنعه وقلده الرقة والرحبة واستكتب له أبا الحسن على بن الحسين المغربي . فلما طالت مدته في ولايته جحد الاحسان وحدّث نفسه بالعصيان واستغوى طائفة من رفقائه فصاروا اليه وخرج الي أبي الحسن المغربي بسره فاشار اليه بمكاتبة صاحب مصر الملقب بالعزيز والتحيز اليه فقبل منه وكاتبه واستأذنه في قصد بابه فاذن له .

---

(١) وأما ابتداء أمر بكجور هذا فليراجع تاريخ ابن القلانسي ص ٢٧

وسار عن الرقة بعد ان خلف عليها سلامة الرشيقي غلامه وأخذ رهائن أهلها على الطاعة. فلقيته كتب صاحب مصر وخلعه [٣٠٢] وعهده على دمشق فنزل بها وتسلمها ممن كان والياً عليها. ووجد احداثها وشبانها مستولين فقتك بهم وقتل منهم وقامت هيبته بذلك [١] وترددت بينه وبين عيسى بن نسطورس الوزير مكاتبات خاطبه فيها بكجور بخطاب توقع عيسى أوفى منه فقسد ما بينهما وأسر عيسى العداوة له وأساء غيبه وقطع بكجور مكاتبة عيسى وشكاه الى صاحب مصر فامر عيسى باستئناف الجميل معه فقبل ظاهرا وخالف باطنا. وخاف بكجور عيسى ومكيدته فاستمال طوائف من العرب وصاهرهم فمالوا اليه رغبة وعاد الى الرقة وكتب اليه صاحب مصر يعاتبه على فعله فاجابه جواب المعتذر الملاطف

﴿ ذكر السبب فى مسير بكجور الى حلب ﴾
﴿ لقتال مولاه [٢] ﴾

كان لبكجور رفقاء بحلب يوادونه فكاتبوه وأطمعوه فى الامر وأعلموه تشاغل سعد الدولة باللذة فاغتر باقوالهم وكتب الى صاحب مصر يبذل له فتح حلب ويطلب منه الانجاد والمعونة فاجابه الى كل ملتمس وكتب الى نزال الغورى والى طرابلس بالمسير اليه متى [٣] استدعاه من غير معاودة وكان نزال هذا [٣٠٣] من قواد المغاربة وصناديدهم ومن صنائع عيسى وخواصه

---

(١) وهذا فى سنة ٣٧٧ : ابن القلانسي ص ٣٠ (٢) ليراجع ابن القلانسي ص ٣٤ (٣) وفى الاصل : من

﴿ ذكر الحيلة التي رتبها عيسى مع نزال في ﴾
﴿ التقاعد ببكجور حتى ورطه ﴾

كتب عيسى الى نزال سراً بان يظهر لبكجور المسارعة ويبطن له المدافعة فاذا تورّط مع مولاه وصادمه تأخر عنه وأسلمه . فرحل بكجور عن الرقة وكتب الى نزال بان يسير من طرابلس ليكون وصولهما الى حلب في وقت واحد وسار اليها . ورحل نزال وأبطأ في سيره وواصل مكاتبة بكجور بنزوله في منزل بعد منزل وقرب عليه الامر في وصوله . وقد كان سعد الدولة كتب الى بسيل عظيم الروم وأعلمه عصيان بكجور عليه وسأله مكاتبة البرجي صاحبه بانطاكية بالمسير اليه متى استنجده فكاتبه بسيل بذلك فلما وافى بكجور كتب سعد الدولة الى البرجي بالمسير اليه فسار . وبرز سعد الدولة في غلمانه وطوائف عسكره (ولؤلؤ الجراحي الكبير يحجبه) ولم يكن معه من العرب الا عمرو بن كلاب وعدّتهم خمسمائة فارس الا انهم أولو بأس ومن سواهم من [1] عدّته وعُدته فنزل الى الارض وصلّي وعفر خديه وسأل الله تعالى النصر . ثم استدعى كاتبه وأمره بان يكتب الى (٣٠٥) بكجور عنه ويستعطفه ويذكره الله ويبذل له ان يقطعه من الرقة الى باب حمص ويدعوه الى الموادعة ورعاية حق الرق والعبودية . ومضى بالكتاب رسول فأوصله اليه فلما وقف عليه قال : الجواب ما يراه عياناً . فعاد الرسول وأعاد على سعد الدولة قوله وأخبره انه سائر على أثره . فتقدم سعد الدولة وتقارب العسكران ورتب المصاف ووقع الطراد

(١) زاد هاهنا ابن القلانسي ص ٣٤ : ومن سواهم من بطون العرب بني كلاب مع بكجور . . . . وأعجبه (يعني سعد الدولة) ما رأى من عدته وعدته الخ .

﴿ ذكر جود عاد على سعد الدولة بحفظ دولته ﴾

﴿ وشح آل بكجور الى ذهاب مهجته ﴾

كان الفارس من أصحاب سعد الدولة اذا عاد اليه وقد طُعِن أو جُرِح خلع عليه وأحسن اليه وكان بكجور شحيحا فاذا عاد اليه رجل من رجاله على هذه الحال أمر بان يكتب اسمه لينظر مستأنفا في أمره . وقد كان سعد الدولة كاتب العرب الذين مع بكجور وأمنهم ووعدهم ورغبهم فلما حصلت كُتبه بالامان معهم عطفوا على [1] سواده ونهبوه واستأمنوا الى سعد الدولة . ورأى بكجور ما تم عليه من تقاعد نزاله به وانصراف العرب عنه وتأخر رفقائه الذين كانوا كاتبوه ووعدوه بالانحياز اليه اذا شاهدوه فاستدعى أبا الحسن المغربى كاتبه وقال له : لقد غررتني فما الرأي الآن ؟ قال له : أيها الامير لم أكذبك في شيء قلته ولا أردت [٣٠٥] الا نصحك والصواب مع هذه الاسباب ان ترجع الى الرقة وتكاتب صاحب مصر بما اعتمده نزال معك وتعاود استنجاده . وكان في العسكر قائد من القواد يجري مجراه في التقدم فسمع ما جرى بينهما فقال لبكجور : هذا كاتبك اذا جلس في دسته قال « الاقلام تنكس الاعلام» فاذا تحققت الحقائق أشار علينا بالهرب والله لا هربنا . وحلف بالطلاق على ذلك وسمع أبو الحسن المغربى قوله نخاف وكان قد واقف بدويا من بنى كلاب على ان يحمله الى الرقة متى كانت هزيمة وبذل له الف دينار على ذلك فلما استشعر ما استشعر قدم ما كان أخره وسأل البدوي تسييره الى الرقة فسيّره

---

(١) وفي الاصل : عن

﴿ ذكر ما دبره بكجور بفضل شجاعته فخالت ﴾
﴿ المقادير دون ارادته ﴾

لما رأى الامر معضلا عمل على ان يعمد الى الموضع الذي فيه سعد الدولة من المصاف ويحمل عليه بنفسه ومن ينتخبه من صناديد عسكره موقعا به فاختار وجوه غلمانه وقال لهم : قد حصلنا من هذه الحرب على شرف أمرين صعبين من هزيمة وهلاك وقد عوّلت على كيت وكيت فان ساعدتموني رجوت لكم الفتح . فقالوا : نحن طوعك وما نرغب بنفوسنا عن نفسك . فغدر واحد من الغلمان واستأمن الى لؤلؤ [٣٠٦] الجراحي وأعلمه بما عوّل عليه

﴿ ذكر مافعله لؤلؤ من افتداء مولاه بنفسه ﴾
﴿ فنجاهما الله بحسن النية ﴾

أسرع لؤلؤ الى سعد الدولة وأخبره الحال وقال : قد أيس بكجور من نفسه وهو لاشك فاعل ما قد عزم عليه فانتقل من مكانك الى مكاني لاقف أنا في موضعك وأكون وقاية لك ولدولتك . فقبل سعد الدولة رأيه ووقف لؤلؤ تحت الراية وجال بكجور في أربعمائة غلام شاكين في السلاح ثم حمل في عقيب جولته حملة أفرجت له العساكر ولم يزل يخبط من تلقاه بالسيف الى أن وصل الى لؤلؤ وهو يظنه سعد الدولة فضربه على الخوذة ضربة قدّها ووصلت الى رأسه ووقع لؤلؤ الى الارض . وحمل العسكر على بكجور وبادر سعد الدولة عائدا الى مكانه مظهرا نفسه لغلمانه فلما رأوه قويت شوكتهم وثبتت أقدامهم واشتدوا في القتال حتى استفرغ بكجور وسعه ثم انهزم في سبعة نفر

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر بكجور بعد الهزيمة الى ان قتل ﴾

كان تحته فرس ثمنه الف دينار فانتهى الى ساقية تحمل الماء الى رحا الطريق سعتها [٣٠٧] قدر ذراعين فجهد الفرس على ان يعبرها خوضاً أو وثباً فلم يكن فيه ووقف ولحقته عشرة فوارس من العرب فرجّلته وأصحابه وجرّدوهم من ثيابهم وآبوا عنهم بأسلابهم ونجا بكجور ومن معه الى الرحا فاستكنوا فيه ثم خرجوا من بعد الى قراح فيه زرع فمرّ بهم قوم من العرب وكان فيهم رجل من بنى قطن كان بكجور يستخدمه كثيرا فى مهماته فناداه « أن ارجع » فرجع وهو لا يعرفه فاخذ ذمامه . ثم عرّفه نفسه وبذل له على ايصاله الرقة حمل بعيره ذهبا فاردفه وحمله الى بيته وكساه . وكان سعدالدولة قد بثّ الخيل في طلبه وجعل لمن أحضره حكمه فساء ظن البدوي وطمع بما كان سعد الدولة بذله واستشار ابن عمه فى أمره فقال له : هو رجل بخيل ربما غدر فى وعده واذا قصدت سعد الدولة به حظيت برفده . فاسرع البدوى الى معسكر سعد الدولة وأشعره بحال بكجور واحتكم عليه مائتى فدان زراعة ومائة الف درهم ومائة راحلة محملة براً وخمسين قطعة ثيابا فبذل سعد الدولة ذلك جميعه . وعرف لؤلؤ الجراحي الخبر وتقرّر ان يمضى البدوي ويحضره فتحامل وهو مثخن بالضربة التى أصابته ومشى يتهادى على يدي غلمانه حتى حضر عند سعد الدولة

﴿ ذكر حزم أخذ به لؤلؤ دل منه [٣٠٨] على اصالة رأى ﴾

لما حضر سأل عما يقوله البدوى فاخبر به فقبض لؤلؤ على يده وقال : أين أهلك . فقال : في المرج على فرسخ . فاستدعى جماعة من غلمانه وأمرهم ان يسرعوا الى الحلة ويقبضوا على بكجور ويحملوه فتوجهوا وهو

قابض على يد البدوي والبدوي يستغيث . فقدم لؤلؤ الى سعد الدولة وقال : يامولانا لا تنكر عليّ فعلي فانه مني عن استظهار فى خدمتك فلو عاد هذا البدوي الى بيته لم نأمن ان يبذل له بكجور مالا جما فيقبل منه وتطلب منه بعد ذلك أثرا بعد عين والذي طلبه البدوي مبذول وما ضر الاحتياط . فقال له سعد الدولة : أحسنت يا أبا محمد لله درك . ولم يمض ساعات حتى أحضر بكجور فشاور سعد الدولة لؤلؤاً في أمره فاشار عليه بقتله خوفا من أن تسأل أخت سعد الدولة فيه فيفرج عنه فأمر عند ذلك بضرب عنقه

فسار سعد الدولة الي الرقة فنزل عليها وفيها سلامة الرشيق وأبو الحسن المغربي وأولاد بكجور وحرمه وأمواله ونعمه فارسل الى سلامة يلمس منه تسليم البلد فاجابه : باني عبدك وعبد عبدك الا ان لبكجور عليّ عهوداً ومواثيق لا مخلص لي عند الله منها الا باحد أمرين اما انك تذم لاولاده على نفوسهم وحرمهم (٢٠٩) وتقتصر فيما تأخذه منهم على آلات الحرب وعددها وتحلف لهم على الوفاء به واما بان أبلي [1] عذرا عند الله تعالى فيما أخذ عليّ من عهد وعقد معي من عقد . فاجابه سعد الدولة الى ما اشترطه من الذمام وحلف له بيمين مستوفاة الاقسام ودخل فيها الامان لابي الحسن المغربي بعد ان كان قد هدر دمه الا انه أمنه على ان يقيم في بلاده فهرب الى الكوفة وأقام بمشهد أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام

﴿ ذكر ماجرى عليه أمر سلامة الرشيق وأولاد بكجور ﴾

﴿ فى خروجهم من الرقة وغدر سعد الدولة ﴾

لما توثق سلامة لنفسه ولاولاد بكجور سلّم حصن الرافقة وخرجوا

---

(١) في الاصل أبي : والصواب عند ابن القلانسي

منها ومعهم من الاموال والزينة ما كثر في عين سعد الدولة فانه كان يشاهدهم من وراء سرادقه وبين يديه ابن ابي الحصين القاضي وقال له : ما ظننت ان حال بكجور انتهت الى ما أراه من هذه الاثقال والاموال . فقال له ابن أبي الحصين : ان بكجور وأولاده مماليكك وكلما ملكه وملكوه هو لك لا حرج عليك فيما تأخذه منهم ولا حنث فى الايمان التى حلفت بها ومهما كان فيها من وزر واثم فعليّ دونك . (٣١٠) فلما سمع هذا القول أصغى اليه وغدر بهم وقبض على جميع ما كان معهم

فما كان أسوأ محضر هذا القاضي الذي حسّن لسعد الدولة تسويل الشيطان وأفتاه بنقض الايمان ثم لم يقنع بما زين له من غدره ولبّس عليه من أمره حتى تكفل له بحمل وزره . وهل أحد حامل وزر غيره أما سمع قول الله تعالى في أهل الضلالة : وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتّبعوا سبيلَنا ولنحملِ خطاياكم وما هُم بحاملينَ من خطاياهُم من شيءٍ انهم لكاذبون .

وكان أولاد بكجور كتبوا الى العزيز بما جرى على والدهم وسألوه مكاتبة سعد الدولة بالابقاء عليهم

﴿ ذكر ما جرى بين صاحب مصر وسعد الدولة ﴾
﴿ من المراسلات وما اتفق من وفاة ﴾
(سعد الدولة بعقب ذلك)

كتب صاحب مصر اليه كتابا يتوعده فيه ويأمره بالابقاء عليهم وتسييرهم الى مصر موفورين ويقول فى آخره : فان خالفت كنت خصمك ووجّهت العساكر نحوك . وأنفذ الكتاب مع فائق الصقلبي [١] أحد

---

(١) وفي الاصل : الصقلي . والصواب عند ابن القلانسي ص ٣٨

خواصه وسيَّره على نجيب اسراعا به فوصل فائق الى سعد الدولة وقد وصل من الرقة الى ظاهر حلب وأوصل اليه الكتاب فلما وقف عليه جمع وجوه عسكره وقرأه عليهم ثم قال لهم : ما (٣١١) الرأي عندكم . قالوا له : نحن عبيد طاعتك ومهما أمرتنا به كنا عند طاعتك منه . فامر باحضار فائق فاهانه وقال له (١) عد الى صاحبك وقل له « لستُ ممن يستفزه وعيدك وما بك حاجة الى تجهيز عسكر اليّ فاني سائر اليك وخبري يأتيك من الرملة . وقدّم قطعة من عسكره الى حمص امامه وعاد فائق الى صاحبه فعرّفه ما سمعه ورآه فازعجه وأقلقه . وأقام سعد الدولة بظاهر حلب أياما ليرتب أموره ويتبع العسكر الذي تقدّمه فمرض له القولنج أشفي منه وعاد الى البلد متداويا وابلّ وهنّي بالسلامة . وعول على العود الى المعسكر فحضرت فراشه في الليلة التي عزم على الركوب في صبيحتها احدى حظاياه وتبعتها النفس الشهوانية المهلكة فواقعها وسقط عنها وقد جف نصفه وعرفت أخته الصورة فدخلت اليه وهو يجود بنفسه واستدعى الطبيب فاشار بسجر الند (٢) والعنبر حوله فافاق قليلا فقال له الطبيب : اعطني يدك أيها الامير لآخذ مجسك . فاعطاه اليسري فقال : يامولانا اليمين . فقال : أيها الطبيب ما تركت لي اليمين يمينا . فكأنه تذكّر ما فرط من خيانته وندم على نقض العهد ونكثه

ومضت عليه ثلاث ليال وقضى نحبه بعد ان قلّد عهده لولده أبي الفضائل ووصّى الى لؤلؤ الجراحي به (٣١٢) وببقية ولده

---

(١) وزاد ابن القلانسي أنه أمر باعطائه الكتاب ولطمه حتى يأكله

(٢) وفي الاصل : النار . والصواب ما قاله ابن القلانسي

﴿ ذكر قيام أبي الفضائل ابن سعد الدولة بعد أبيه ﴾
﴿ وما جرى له مع العساكر المصرية ﴾

جدّ لؤلؤ في نصب أبي الفضائل في الامر وأخذ له البيعة على الجند. وتراجعت العساكر الى حلب واستأمن منها الى صاحب [مصر] وفاء الصقلي [1] وبشارة الاخشيدي ورباح وقوم آخرون فقبلهم وأحسن اليهم وولّى كل منهم بلداً.

وقد كان أبو الحسن المغربي بعد حصوله في المشهد بالكوفة كاتب صاحب مصر وصار بعد المكاتبة الى بابه فلما توفى سعد الدولة عظّم أمر حلب عنده وكثّر له أموالها وهون عليه حصولها وأشار باصطناع أحد الغلمان وانفاذه اليها. فقبل منه اشارته وقدّم غلاما يسمى منجوتكين نخوّله وموّله ورفع قدره ونوّه بذكره وأمر القواد والاكابر بالترجل له وولاه الشام واستكتب له أحمد بن محمد القشوري وسيّره الى حلب وضمّ اليه أبا الحسن المغربي ليقوم بالامر والتدبير

﴿ ذكر مسير منجوتكين من مصر الي حلب ﴾
﴿ ونزوله عليها (٣١٣) ﴾

لما وصل الى دمشق تلقاه قوادها وأهلها وعساكر الشام كلها فاقام بها مدة ثم رحل الي حلب وقد استعد واحتشد ونزلها في ثلاثين الف رجل وتحصن أبو الفضائل ابن سعد الدولة ولؤلؤ بالبلد. وقد كان لؤلؤ عند معرفته بورود العساكر المصرية كتب الى بسيل عظيم الروم وذكره ما كان بينه وبين سعد الدولة من المعاهدة والمعاقدة وبذل له عن أبي الفضائل ولده الجرى

(١) وفي تاريخ ابن القلانسي ص ٣٩ : رق الصقلي

على تلك العادة وحمل اليه ألطافا كثيرة واستنجده وأنفذ اليه ملكوتا [1] السرياني رسولا . فوصل اليه ملكوتا وهو بازاء عساكر ملك البلغر مقاتلا فقبل ما ورد فيه وكتب الى البرجي صاحبه بانطاكية بجمع عساكر الروم وقصد حلب ودفع المغاربة عنها . فسار البرجي في خمسة آلاف رجل ونزل بجسر الحديد بين انطاكية وحلب وعرف منجوتكين وأبو الحسن ذلك فجمعا وجوه العسكر وشاورهم في تدبير الامر

﴿ ذكر مشورة أنتجت رأيا سديدا كان في ﴾
﴿ أثنائه الظفر بالروم ﴾

أشار ذو الرأي والحصافة منهم بالانصراف عن حلب وقصد الروم [٣١٤] والابتداء بهم ومناجزتهم لئلا يحصلوا بين عدوين فاجمعوا على ذلك وساروا حتي صار بينهم وبين الروم النهر المعروف بالمقلوب . فلما تراءى الجمعان تراموا بالنشاب وبينهم النهر وليس للفريقين طريق الي العبور . فبرز من الديلم الذين في جملة منجوتكين شيخ في يديه ترس وثلاث زوبينات ورمي بنفسه الى الماء والمسلمون ينظرون اليه والروم يرمونه بالنبل والحجارة وهو يسبح قدماً والترس في يده والماء الى صدره وشاهد المسلمون ذلك وطرحوا نفوسهم فى أثره وطرحت العرب خيولهم فى النهر وهجم العسكر عن المخاض وحصلوا مع الروم على أرض واحدة ومنجوتكين يمنعهم فلا يمتنعون . وأنزل الله تعالي النصر عليهم وولّى الروم أدبارهم [2]

---

(١) فى الاصل : ملكونا . والصواب عند ابن القلانسى ص ٤١ س ١٤ (٢) وفي ابن القلانسى ص ٤٢ : وولت الروم وأعطوا ظهورهم وركبهم المسلمون ونكوا فيهم النكاية الوافية قتلا وأسراً وفلاً وقهراً وأفلت البرجي الخ

بين مقتول ومأسور ومفلول . وأفلت البرجي في عدد قليل وغنمت منهم الغنيمة الكثيرة وجمع من رؤس قتلاهم نحو عشرة آلاف رأس وحملت الى مصر . وتمم منجوتكين الى انطاكية ونهب رساتيقها وأحرقها وكان وقت ادراك الغلة فانفذ لؤلؤ وأحرق ما يقارب حلب منها اضراراً بالعسكر المصرى وقاطعا للميرة عليهم . وكرّ منجوتكين راجعا الى حلب

﴿ ذكر تدبير لطيف دبره لؤلو في صرف العساكر ﴾
﴿ المصرية عن حلب [٣١٥] ﴾

لما رأى لولو هزيمة الروم وقوّة العساكر المصرية وضعفه عن مقاومتهم كاتب أبا الحسن المغربي والقشوري ورغبهما في المال وبذل لهما منه ما استمالهما به وسألهما المشورة على منجوتكين بالانصراف عن حلب في هذا العام والمعاودة في [العام] القابل لعلة تعذر الاقوات والعلوفات . فاجاباه الى ذلك وخاطبا منجوتكين به فصادف قولهما منه شوقا الى دمشق وخفض العيش وضجر من الاسفار والحروب وكتبت الجماعة الى صاحب مصر بهذه الصورة واستأذناه في الانكفاء فقبل ان يصل الكتاب ويعود الجواب رحلوا عائدين وعرف صاحب مصر ذلك فاستشاط غضبا ووجد أعداء أبي الحسن المغربي طريقا الى الطعن عليه فصرفه بصالح بن على الروذباري

﴿ ذكر مادبره الملقب بالعزيز في امداد العسكر بالميرة ﴾
﴿ واعادتهم الى حلب ﴾

آلى على نفسه ان يمدّ العسكر بالميرة من غلات مصر فحمل مائة الف تليس (والتليس قفيزان بالمعدّل) فى البحر الى طرابلس ومنها على الظهور

الى حصن افامية . ورجع منجوتكين في السنة الثانية الى حلب ونزل عليها وصالح بن على الروذبارى المدبر وكان يوقع للغلمان بجراياتهم وتضيم دوابهم الى افامية على [٣١٦] خمسة وعشرين فرسخا فيمضون ويقبضونها ويعودون بها وأقاموا ثلاثة عشر شهرا وبنوا الحمامات والخانات والاسواق وأبو الفضائل ولولو ومن معهما متحصنون بالبلد وتعذرت الاقوات عندهم فكان لولو يبتاع القفيز من الحنطة بثلاثة دنانير ويبيعها على الناس بدينار رفقا بهم ويفتح الابواب فى الايام ويخرج من البلد من تمنعه المضرتان عن المقام [١] وأشير على منجوتكين بتتبع من يخرج وقتله ليمتنع الناس من الخروج ليضيق الاقوات عندهم فلم يفعل . وأنفذ لولو في أثناء هذه الاحوال ملكوثا الى بسيل عظيم الروم معاودا لاستنجاده وكان بسيل قد توسط بلاد البلغر فقصده ملكوثا الى موضعه وأوصل اليه الكتاب وقال له : متى أخذت حلب فُتحت انطاكية بعدها وأتعبك التلافى واذا سرت بنفسك حفظت البلدين جميعا وسائر الاعمال

﴿ ذكر مسير بسيل الى الشام لقتال العساكر ﴾
﴿ المصرية وما جرى عليه أمره في ذلك ﴾

لما سمع بسيل قول ملكوثا سار نحو حلب وبينه وبينها ثلثمائة فرسخ فقطعها فى ستة وعشرين يوما وقاد الجنائب بايدى الفرسان وحمل الرجالة [٣١٧] على البغال . وكان الزمان ربيعا وقد أنفذ منجوتكين وعسكره كراعهم الى المروج لترعى فيها وقرب هجوم بسيل عليهم من حيث لايشعرون

---

(١) كذا في الاصل وعند ابن القلانسى ص ٤٣ : ويخرج من الناس من أراد من الفقراء من الجوع وطول المقام وقد كان أشيرالخ . والمضرتان هما الجوع والوبا

﴿ ذكر ما دبره واعتمده لولو من رعاية حرمة الاسلام ﴾
﴿ وانذار منجوتكين بخبر هجوم الروم ﴾

أرسل الى منجوتكين يقول له : ان عصمة الاسلام الجامعة لنا تدعوني الى انذاركم والنصح لكم وقد أظلكم بسيل في جيوش الروم فخذوا الحذر لانفسكم : وجاءت طلائع منجوتكين بمثل الخبر فاحرق الخزائن والاسواق والابنية التى كان استحدثها ورحل فى الحال منهزما . ووافى بسيل فنزل على باب حلب وخرج اليه أبو الفضائل ولولو ولقياه ثم عاد ورحل في اليوم الثالث الى الشام . وفتح حمص ونهب وسبي ونزل على طرابلس فمنعت جانبها منه فاقام نيفاً وأربعين يوما فلما أيس منها عاد الي بلاد الروم .

وانتهى الخبر الي صاحب مصر فعظم ذلك عليه وأمر فنودي بالنفير فنفر الناس

﴿ ذكر مسير المتلقب بالعزيز من [٣١٨] مصر لغزو ﴾
﴿ الروم وما اتفق من موته وجلوس ولده ﴾
(المتلقب بالحاكم فى موضعه)

خرج من داره مستصحبا جميع عساكره وعدده وأمواله وسار منها مسافة عشرة فراسخ حتى نزل بلبيس [١] وأقام بظاهرها . وعارضته علل كثيرة أيس منها من نفسه فاوصى الى ارجوان [٢] الخادم الذى كان خصيصا به ومتوليا لامر داره بولده المتلقب بالحاكم من بعده ثم قضى نحبه . وقام أرجوان بامر الحاكم ودعا الناس الى البيعة وحالفهم على الطاعة وأطلق لهم العطاء

(١) وفى الاصل : بتليس . والصواب عندابن القلانسى ص ٤٤ (٢) أو : برجوان

وذلك في شهر رمضان سنة ٣٨٦ وانكفأ الحاكم الى قصر أبيه وهو يومئذ ابن خمس عشرة سنة

وتقدم أبو محمد الحسن بن عمّار وكان شيخ كُتامة وسيدها ويلقب بامين الدولة وهو أول من لقّب في دولة المغاربة ونفذت أوامره في الخزائن والاموال اطلاقا وعطاء حتى على جواري القصر هبة وعتقا واستولى أصحابه وقلّت مبالاتهم وأشاروا عليه بقتل الحاكم فلم يعبأ به استصغاراً لسنّه واستهانة بامره . وارجوان في أثناء ذلك يحرس الحاكم ويلازمه ويمنعه الركوب والظهور من قصره .

واتفق شكر العضدي معه فتعاضدا وصارت كلمتهما واحدة (٣١١) حتى تمّ لهما ما أراداه

(ذكر ما دبره ارجوان في أمر ابن عمار ومكاتبة)

(منجوتكين والاستنصار به عليه)

لما زاد أمر ابن عمار في تمكّنه كتب ارجوان الى منجوتكين وشكا اليه ما هم فيه ودعاه الي قصد مصر ومقابلة نعمة العزيز عنده وكشف هذه النعمة عن ولده . فتقبل منجوتكين كتابه وركب الي المسجد الجامع بثياب المصيبة وجمع الناس وذكرهم جميل العزيز اليهم ثم خرج الي ذكر ما له عليه خاصة من الاصطناع وما يلزمه من خدمة ولده بعده ثم ذكر تغلّب ابن عمار على الملك وسوء سيرته وما يلقاه أئمتنا المقيمون بمصر من الذلة والهوان وبكى بكاء شديداً رقّت له القلوب وخرّق ثيابه واقتدى الناس به في البكاء وتخريق الثياب وأجابوه الي الطاعة وبذل المهج من غير التماس عطاء ولا مؤونة . فشكرهم وعاد الي داره وأجمع أمره للمسير فسار الي الرملة

﴿ ذكر ما دبره ابن عمار في تجهيز [٣٢٠] الجيش ﴾
﴿ وما آل اليه أمر منجوتكين من الهزيمة ﴾

لما وصل الخبر الى ابن عمار بما فعله منجوتكين عظم عليه وجمع وجوه كتامة [١] وأخبرهم بما تجدد وأظهر ان منجوتكين قد عصى على الحاكم فبذلوا الطاعة والانتهاء الى ما يأمرهم به . وأحضر أرجوان وشكر العضدي واستمالهما واستحلفهما على المساعدة والمعاضدة خلقا له اضطرارا . وندب العساكر لقتال منجوتكين وقدّم أبا تميم سالم [٢] بن جعفر عليها وأمدّه من الاموال والعدد ما أسرف فيه . وكان عيسى بن نسطورس على حاله في الوزارة فبلغه عنه ما أنكره فضرب عنقه .

وسار أبو تميم من مصر ورحل منجوتكين من الرملة بعد ان ملكها والتقيا بعسقلان وتواقعا فاجلت الوقعة عن هزيمة منجوتكين وأصحابه وتبعوا . وجعل أبو تميم لمن يأتيه بمنجوتكين عشرة آلاف دينار ومائة ثوب فانبثت العرب في طلبه وأدركه على بن الجراح فاسره وجاء به الى أبي تميم فسلمه اليه وقبض المال منه . فحُمل الى مصر وأبقى ابن عمار عليه واصطنعه وأحسن اليه استمالة للمشارقة بذلك . وسار أبو تميم فنزل طبرية وأنفذ أخاه علياً الى دمشق فاعتصم أهلها عليه ومنعوه الدخول وكاتب أخاه بعصيانهم واستأذنه [٣٢١] في قتالهم فكتب أبو تميم الي متقدميهم من الاشراف والشيوخ وحذرهم عواقب فعل سفهائهم فلما وصل الكتاب اليهم خافوا وخرجوا الى على مذعنين بالطاعة ومنكرين لما فعله أهل الجهالة فلم يعبأ بقولهم وزحف الى باب البلد فملكه وأحرق وقتل وعاد الى معسكره . ووافى أبو

(١) وفي الاصل : كتابه (٢) وعند ابن القلانسي ص ٤٦ سليمان . وهو ابن فلاح

تميم في غد فانكر على أخيه مافعله وتلقاه وجوه الناس فشكوا اليه ما أظلهم فاحسن لقاءهم وأمن جنابهم فسكنوا وعادوا الى معايشهم

﴿ ذكر ما اعتمده أبو تميم الكتامى [1] من ﴾
﴿ حسن سيرة ملك بها قلوب الرعية ﴾

ركب الى المسجد الجامع في يوم الجمعة بزي أهل الوقار واجتاز في البلد بسكينة وبين يديه القرّاء وقوم يفرّقون الدراهم على أهل المسكنة وصلّى الجمعة وعاد الى القصر الذى نزله بظاهر دمشق وقد استمال قلوب العامة بما فعله . ثم نظر في الظلامات وأطلق من المحبوس جماعة من أهل الجنايات فازدادوا له حباً واستقرت قدمه واستقام أمره . وعدل من بعد الى النظر في أمور السواحل فهذّبها وولّى أخاه طرابلس وصرف عنها جيش [2] بن الصمصامة وكان جيش هذا من شيوخ (٣٢٢) كتامة أيضا الا انه كانت بينه وبين أبي تميم عداوة . فلما عزله عن طرابلس مضى الى مصر وجها واحدا واجتمع مع ارجوان سراً ورمي نفسه عليه فقبله وبذل له المعاونة . ورأى أرجوان الفرصة قد أمكنت ببعد كتامة عن مصر الا العدد القليل منهم فقرر مع الاتراك المشارقة الفتك بهم وأحكم الامر في الاستيثاق . وأحسّ ابن عمار بذلك فعمل على الفتك بارجوان وسبقه الى ما يحاوله منه

﴿ ذكر ما همّ به ابن عمار من الفتك بارجوان وشكر ﴾
﴿ وما دبراه في التحرّز منه حتى سلما ﴾
(منه وتورّط هو)

رتب ابن عمار جماعة في دهليزه وواقفهم على الايقاع بارجوان وشكر

(١) وفي الاصل : الكناني (٢) وفي الاصل : حبش

اذا دخلا داره . وكان لارجوان عيون على ابن عمار فصاروا اليه وأخبروه بما قد رتبه فاجتمع ارجوان وشكر وتفاوضا الرأي في التحرّز مما بلغهما وقررا بينهما ان يركبا عند ركوبهما جماعة من الغلمان يتبعوهما فان أحسَّا على باب ابن عمار بما يريبهما رجعا القهقرى وفي ظهورهما من يمنع عنهما . فرتبا ذلك وتوجها الي دار ابن عمار فلما (٣٢٣) قربا من الباب بانت لهما شواهد الشر وما كانا أُخبرا به فكرّا ركضاً ومنع عنهما الغلمان الذين كانوا وراءهما ودخلا قصر الحاكم باكيين صارخين وثارت الفتنة . واجتمع المشارقة وعبيد الشرى على باب القصر وركب الحسن بن عمار في كُتامة ومن انضاف اليهم من القبائل الى الصحراء وفتح ارجوان الخزائن ففرق الاموال وحثّ الرجال . وبرز ثلاثة من وجوه الاتراك في خمسمائة فارس لقتالهم فواقعوهم وكسروهم وهرب ابن عمار واستتر عند بعض العامة

﴿ ذكر ما دبر به ارجوان أمر الملك ﴾

لما تمّ له الظفر فتح باب القصر وأخرج الحاكم وأجلسه وأخذ له بيعة مجدّدة على الجند وأمن وجوه كُتامة وقوادها فحضروا وأعطوا أيديهم بالطاعة ومهد الامور في يومه وليلته . وكتب الملطفات الي الاشراف والي وجوه العامة بدمشق بالايقاع بابي تميم ونهبه والي المشارقة بمعاونتهم عليه

﴿ ذكر ما تم على أبي تميم من أهل دمشق (٣٢٤) ﴾

(بقلة حزمه وضعف رأيه)

كان أبو تميم مع سياسته مستهترا باللذات ووصلت الملطّفات وأبو تميم مشغول بلهوه فلم يشعر الا بهجوم المشارقة والعامة على قصره فخرج هاربا

على ظهر فرسه ونهبوا خزائنه وأوقعوا بمن كان فيه من كتامة وعادت الفتنة بدمشق واستولي الاحداث . وكان فهد بن ابراهيم النصراني المكنى بابي العلاء يكتب لارجوان من قبل فلما صار الامر اليه استوزره . ولم يزل ارجوان[1] يتلطف للحسن بن عمار حتى أخرجه من استتاره وأعاده الي داره وأجراه على رسمه في اقطاعاته واشترط عليه اغلاق بابه واستحلفه على لزوم الطريقة المستقيمة .

وكان أهل صور قد عصوا وأمّروا عليهم رجلا ملاحا يعرف بالعلاّقة وكان المفرّج[2] بن دغفل بن الجراح قد نزل على الرملة وعاث في البلاد وانضاف الي هذين الحادثين نزول الدوقس صاحب الروم في عسكر كثير على حصن افامية . فاصطنع ارجوان جيش بن محمد بن الصمصامة وقدّمه وجهز معه عسكراً وسيّره الي دمشق وبسط يده في الاموال ونفذ أمره في الاعمال

(ذكر ما جرى عليه أمر جيش (٣٢٥) بن الصمصامة)

(في هذا الوجه الى ان توفى)

سار جيش ونزل على الرملة وعليها وحيد الهلالي والياً فتلقاه طائعا وصادف أبا تميم بها فقبض عليه قبضا جميلا . وندب أبا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة بن حمدان في عسكر الي صور بعد ان كان أنفذ اليها مراكب في البحر مشحونة بالرجال فاحاطت العساكر بها براً وبحراً . وضعف أهل صور عن القتال وأخذ العلاقة فحمل الي مصر فسلخ وصلب بها وأقام ابن حمدان بصور والياً عليها

---

(١) الاصل محرف والصواب عند ابن القلانسي ص ٥٠ (٢) وفي الاصل : الفرج

وسار جيش لقصد المفرّج بن دغفل بن الجرّاح فهرب من بين يديه واتبعه حتي كاد يدركه فضاقت الارض على ابن الجراح وعاذ بالصفح وأنفذ اليه عجائز نسائه يطلب الامان فكف جيش عنه وأمنه واستحلفه على ماقرره معه وعاد سائرا الى عسكر الروم النازل على حصن افامية . فلما وصل الى دمشق تلقاه أهلها في اشرافها ووجوه احداثها مذعنين له بالانقياد راغبين اليه في استصحابهم للجهاد لجزاهم خيراً

﴿ ذكر مكيدة بدأ جيش بها في هذه النوبة مع احداث ﴾
﴿ دمشق الى ان أمكنته (٣٢٦) الفرصة منهم فى ﴾
(الكرّة الثانية)

أقبل على رؤساء الاحداث وبذل لهم الجميل ونادى في البلد برفع المؤن واباحة دم كل مغربي يتعرض لفساد فاجتمعت الرعية وشكروه وسألوه دخول البلد والنزول بينهم فلم يفعل وأقام ثلاثة أيام وسار بعد ان خلع على رؤساء الاحداث ووصلهم ونزل بحمص واجتمعت عساكر الشام وتوجه الى حصن افامية . فوجد أهلها وقد اشتد بهم الحصار فنزل بازاء عسكر الروم وبينه وبينهم النهر المعروف بالمقلوب ويعرف بالعاصى . ثم التقى الفريقان من بعد وتنازعا الحرب وكان المسلمون يومئذ في عشرة آلاف من الطوائف والف فارس من بني كلاب فحملت الروم على المسلمين فزحزحوهم عن مصافهم وانهزمت الميمنة والميسرة واستولى الروم على كراعهم وعطفت بنو كلاب على أكثر ذلك فنهبوه وثبت بشارة الاخشيدى في خمسمائة فارس . ورأى من في حصن افامية من المسلمين ما أصاب اخوانهم فأيسوا من نفوسهم وابتهلوا الى الله تعالى يسألونه الرحمة فاستجاب لهم

﴿ ذكر ما أنزل الله تعالى على المسلمين [٣٢٧] من النصر فقتل ﴾
﴿ زعيم الروم على يد أحدهم ﴾

كان الدوقس [١] قد وقف على رابية وبين يديه ولد له وعشرة غلمة وهو يشاهد ظفر أصحابه وأخذهم للغنائم فقصده كردي يعرف بأحمد بن الضحاك السليل على فرس جواد وبيده اليمنى خشت فظنه الدوقس مستأمنا اليه أو مستجيراً فلم يحفل به فلما دنا منه حمل عليه فرفع الدوقس يده متقياً وضربه الكردي بالخشت فاصاب خالا في الدرع فخرقه ونفذ في أضلاعه وسقط الى الارض ميتاً. وصاح المسلمون « ان عدو الله قد قتل » ونزل النصر فانهزمت الروم وتراجع المسلمون ونزل من كان في الحصن وقتل من الروم مقتلة عظيمة . وباتوا غانمين مستبشرين بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المحسنين

ثم سار جيش بن الصمصامة الى باب انطاكية فسبي وأحرق وانصرف عائدا الى دمشق وقد عظمت هيبته في النفوس .

﴿ ذكر تمام هيبته في المكيدة التي كان بدأ بها جيش في ﴾
(تسكين احداث دمشق [٣٢٨] حتى ظفر بهم)

لما عاد الى دمشق استقبله أهلها مهنئين داعين فتلقاهم بالبشاشة والبشر وزادهم من الكرامة والبر وخلع على وجوه الاحداث وحملهم على الخيل والبغال ووهب لهم الجوارى والغلمان . وعسكر بظاهر البلد وسألوه الدخول والجواز في الاسواق وقد كانوا زينوها اظهاراً للسرور فلم يفعل وقال : هذه عساكر واذا دخلت لم آمن ان تثقل وطأتهم . والتمس منهم

(١) هو داميانوس ويعرف بالدلاسينوس : كذا في تاريخ يحيي بن سعيد الانطاكي

ان يخلوا قرية على باب دمشق [١] ليكون مقامه فيها فاجابوه الى ذلك وتوفر على استعمال العدل وتخفيف الثقل فاستخص رؤساء الاحداث واستحجب جماعة منهم . وكان يعمل لهم سماطاً يحضرونه في كل يوم للاكل عنده ويبالغ في تأنيسهم فلما اطمأنوا ومضت مدة على ذلك أحضر قواده وتقدم بان يكونوا على أهبة لما يريد استخدامهم فيه وتوقع ما يأمرهم به في رقاع مختومة والعمل بما فيها . ثم كتب رقاعا بقسمة البلد وعيّن لكل من قواده الموضع الذي يدخل منه ويفتك فيها وختمها وأعدّها ثم رتب في حمام داره قوما من المغاربة وتقدم الى أحد خواصه بان يراعي حضور رؤساء الاحداث طعامه فاذا أكلوا [٣٢٩] وقاموا الى المجلس الذي جرت عادتهم بغسل أيديهم فيه أغلق بابه عليهم وأمر المتكمنين في الحمام بالخروج على أصحابهم والايقاع بهم . وحضر القوم على رسمهم وبادرجيش بانفاذ الرقاع الي قواده وجلس معهم للاكل فلما فرغ وفرغوا نهض الي حجرته ونهضوا الى المجلس فاغلق الفراش عليهم بابه وخرج من فى الحمام فاوقعوا باصحابهم وقتلوهم باسرهم . وركب القواد ودخلوا البلد فقتلوا قتلا ذريعا وثلموا السور من كل جانب ونزلت المغاربة دُور دمشق وركب جيش فدخل دمشق وطافها واستغاث الناس به ولاذوا بعفوه فكفّ عنهم واستدعى الاشراف استدعاء حسن ظنهم فيه فلما حضروا أخرج رؤساء الاحداث وأمر بضرب رقابهم بين أيديهم ثم صلب كل واحد منهم في محلته حتى اذا فرغ من ذلك قبض على الاشراف وحملهم الى مصر واستأصل أموالهم ونعمهم ووظف على البلد خمسمائة الف [٢] دينار

---

(١) وعند ابن القلانسي ص ٥٢ : تعرف بيت لهيا (٢) زدنا كلمة « الف » من ابن القلانسي

ثم جاءه أمر الله الذي لا يُغلب وقضاؤه الذي لا يوارب ولاقته المنية التي تجعل العزيز ذليلا والكثير قليلا [١] فما أغنت عنه عندها قدرة ولا حيلة ولا نفعته معها فدية ولا وسيلة . وكان سبب منيته علة باطنة حدثت به [٣٣٠]

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره * تنوعت الاسباب والداء واحد

وورد الخبر الى مصر بموته فقلد محمد ولده مكانه .

واستقامت الامور على يد ارجوان وجرت بينه وبين بسيل عظيم الروم مراسلات وملاطفات انتهت الى تقرير الهدنة مدّة عشر سنين وصلحت الحال مع العرب .

وكان يواصل النظر فى قصر الحاكم نهاره أجمع الا ساعة في وقت الظهر ثم يعود الي منتصف الليل ويوفى السياسة حقها وفهد بن ابراهيم بين يديه ينفذ الامور أحسن تنفيذ فلم يزل على هذه الوتيرة الى ان قتل

﴿ ذكر السبب فى قتل ارجوان وشرح الحال في ذلك ﴾

كان ارجوان يأخذ الحاكم بتهذيب الاخلاق وينصحه (والنصح مرّ المذاق) ويمنعه كثرة الركوب افرط الاشفاق ويصده عن التبذير فى غير موضع الاستحقاق فصارت له هذه الاحوال ذنوبا ثم لانّ لكل امرىء أجلا مكتوبا . وكان مع الحاكم خادم يعرف بريدان [٢] الصقلبي قد خصّ به فأنس في شكوى ارجوان اليه فزاده ريدان إغراء به وقال : انه يريد [٣٣١]

(١) وأما موت جيش وقصته مع أبي بكر الحرمى الزاهد فليراجع فيه ابن القلانسي ص ٥٤ : وأبو بكر هو محمد بن عبد الله بن حسن بن هرون الوضاحي توفي سنة ٤٣٦ كذا في تاريخ الاسلام　(٢) وفي الاصل : زيدان . وهذا غلط وليراجع ابن القلانسي ص ٥٥

ان يجعل نفسه في موضع كافور الاخشيدى ويجريك مجرى ابن الاخشيد في الحجر عليك . ولم يزل بالحاكم حتى حمله على قتل ارجوان واستقر بينهما ان يستدعى ارجوان في وقت الظهر بعد انصرافه الى داره وان يؤثر الناس بالركوب الى الصيد ليتفرقوا فاذا حضر أمر بقتله ففعل ذلك وقال الحاكم لريدان اذا حضر ارجوان وتمشى الى البستان فاتبعهُ فاذا التفتُ اليك فاغتله بالسكين : فبينما هما في الحديث اذ دخل ارجوان فقال : ياْمولاى الحر شديد والبزاة لا تصيد في مثله . فقال : صدقت ولكننا ندخل البستان ونطوف ساعة ونخرج . فقام ومشى ارجوان خلفه وريدان بعده فاهوى ريدان عند التفات الحاكم اليه بالسكين الي ظهر ارجوان فاطلعها من صدره فقال ارجوان : يامولاى غدرت . وصاح الحاكم بالخدم وتكاثروا وأجهزوا عليه وخرج الخدم الكبار فردوا الجنائب وبغال الموكب والجوارح . فسألهم شكر العضدى عن الحال فلم يجيبوه فجاء الناس أمر لم يفهموه وعاد شكر والموكب وشهر الجند سيوفهم وظنوا حيلة تمت لابن عمار على الحاكم وأحاطوا بالقصر وعظم الامر واجتمع القواد والوجوه . فلما رأى الحاكم زيادة الاحتياط ظهر من منظرة على أعلى الباب وسلم على الناس فترجلوا له وخدموه وأمر بفتح الباب وأنفذ على أيدى أصحاب الرسائل رقاعاً (٢٣٢) بخط يده الى شكر وأكابر الاتراك والقواد مضمونها : أني أنكرت من ارجوان أمورا أوجبت قتله وقتلته فالزموا الطاعة وحافظوا على ما في أعناقكم من الايمان . فلما وقفوا عليها أذعنوا وسلموا واستدعى الحسين بن جوهر وكان من شيوخ القواد فامره بصرف الناس فصرفهم وعادوا الى دورهم والنفوس خائفة وجلة من فتنة تثور بين المشارقة والمغاربة . ثم جلس

الحاكم بعد عشاء الاخرة واستدعي الحسين بن جوهر وفهد بن إبراهيم وتقدم باحضار الكتّاب فحضروا وأوصلهم اليه وقال لهم : ان فهداً كان كاتب ارجوان وهذا اليوم وزيري فاسمعوا له وأطيعوا . وقال لفهد : هؤلاء الكتّاب خدمي فاعرف حقوقهم وأحسن اليهم . وأمر بان يكتب الى سائر وُلاة البلاد بقتل ارجوان وتسكينهم في أعمالهم وتنفّذت الكتب وسكن الناس وأمن ما خيف من الفتنة . وكان ذلك في سنة ٣٨٩

ومضى ارجوان كانه لم يكن ولو علم ان هلاكه على يد الحاكم لأقصر من ذلك الاجتهاد في حفظه . ورب حافظ دواء داؤهُ فيه وحامل سلاح حتفه به وضنين بذُخر وبالهُ منه ومع الاحوال كلها فالافراط [٢٣٣] في منع الملوك عن شهواتهم جناية والاقصار عما يلزم من نصحهم خيانة لكن بشرط الاقتصاد وقد قيل : كثرة المراقبة نفاق وكثرة المخالفة شقاق . وكم من شفيق على الملوك قد هلك بفرط شفقته وحبيب صار بغيضا بكثرة نصحه . ولم يبعد العهد بما شوهد من فعل الملك أبي كاليجار بخادمه المتلقب بالمؤيد وقصته مناسبة لقصة ارجوان

وما أحسن الرواية التي تُروى عن المأمون رضوان الله عليه حين سأل جلساءه عن أرفه الناس عيشاً فقال كل واحد منهم قولا لم يعجبه فقال المأمون أرفه الناس عيشاً رجل أتاه الله كفاية لا يعرفنا ولا نعرفه . وقال بعض العقلاء : مثل السلطان كمثل النار فلا تقرب منها قربا تباشر فيه لهبها ولا تبعد عنها بعدا تفقد معه ضوءها . وجملة القول ان القرب من الملوك عز مع تعب والبعد منهم ذلٌّ مع راحة والعيش في الخمول وتختلف الطباع في هذا الاختيار وكل امرىء مبسّر لما خلق له

﴿ ذكر ما جرت عليه الامور بعد قتل ارجوان [٣٣٤] ﴾

استوزر فهد بن ابراهيم وقدم الحسين بن جوهر ولقّبه بقائد القواد ثم استمر الفتك منه بالناس فقتل في المدة اليسيرة العدد الكثير.

واستحضر بعد أربعة أشهر الحسن بن عمار من داره فلقيه بالاحسان وأعطاه يده بالامان وانصرف مسرورا الى داره وركب الناس اليه يهنئونه بالعفو عنه ثم قتله بعد اسبوع . ثم قتل فهد بن ابراهيم بسعاية كاتبين من كتّاب الدواوين به وولاّهما الاعمال ثم قتلهما ثم قتل الحسين بن جوهر ولم يكن في شرح أحوال قتلهما ما يستفاد منه تجربة لانه اختباط واختلاط . ثم قتل علياً ومحمداً ابني المغربي وأمر باحضار أبي القاسم الحسين بن علي صاحب الشعر والرسائل الذي وزر ببغداد وأخويه فظفر باخويه فقتلا واستتر الوزير أبو القاسم وما زال يعمل الحيلة حتى هرب مع بعض البادية وحصل عند الحسان بن المفرّج بن الجراح واستجار به وأجاره .

وقد كان في نفس الحاكم ما جرى على عساكر مصر بباب حلب فعول على يارختكين [١] العزيزي للخروج الي الشام وقدمه وكثر أمواله ونعمه وأمر وجوه القواد بتبجيله والترجل في موكبه . وكان في جملة من أمر بخدمته والترجل له على ومحمود ابنا المفرج [وجاءا] الي أبيهما وعرّفاه ما أمرا به من الترجل ليارختكين والمشى بين [٣٣٥] يديه وما لقياه من ذلك من المشقة وان نفوسهما تأبى الصبر على هذه المذلة ثم حذّراه يارختكين وتوجهه وقالا : انك لا تأمن ان ينتهز فيك فرصة ويستفحل أمره فينبوا بك وبنا المقام في هذه الديار فدبر أمرك في فسحة من رأيك وعاجله في

---

(١) وعند ابن القلانسي هو «ختكين » والصواب « ياروختكين » فيتاريخ الاسلام

الجفار قبل وصوله الى الرملة واعتضاده بعساكرها . وكان يارختكين سار في عدة قليلة على ان يجمع عساكر الشام ويسير بها الى حلب وصحبه أهله وماله وعدد كثير من التجار فلما توسط الجفار أشار أبو القاسم المغربي على حسان بن المفرج بلقائه وانتهاز الفرصة فيه فسار حسان الى أبيه وسهل عليهما الامر فاجتمع رأيهما على ذلك . وجما الدرب ورصدا وصول يارختكين الى غزة وعرف يارختكين الخبر فجمع ذوي الرأى من أصحابه وشاورهم

﴿ ذكر رأيين كل منهما سديد لوساعد القدر فيه ﴾

قال أحدهم له : انك من الرملة على عشرة فراسخ وبها خمسة آلاف رجل وعندك خيول مضمّرة ولو أسريت ليلا اصبحت الرملة وحصلت في قصرك آمنا وعرفت العرب خبرك فهابوك وراقبوك وسرنا بعدك على طمأنينة . (٣٣٦) فاعترض آخر وقال : هذا المرء اليوم في ابتداء أمره فاذ شاع بين الناس انه أشفق وهرب لم تبق له هيبة في النفوس ولكن الرأي ان يستدعي قائدا من قواد الرملة في الف فارس ليلقانا بعسقلان . فاستقر الامر على ذلك وكتب يارختكين الى قائد يعرف بابن سرحان يستدعيه وأنفذ الكتاب مع رسول قدر لوصوله وخروج ابن سرحان ثلاثة أيام . فاتفق أن الرسول أخذ في الطريق قبل وصوله الى ابن سرحان

﴿ ذكر عجلة ضاع الحزم بها ﴾

لما مضى يومان من الثلاثة التي قدّرها يارختكين سار على طريق الساحل وهو لا يشك في تعجيل ابن سرحان اليه . وكان حسان بن المفرج قد عرف خبره فبث الخيل من كل جانب فوقعت على يارختكين وجرت بين الفريقين حرب شديدة كانت الغلبة فيها للعرب وأسر يارختكين

وأخذ ولده وحرمه وأموال التجار وجمل أكثر ذلك فى يد حسان . وعادت العرب الى الرملة وشنوا الغارة على رساتيقها وخرج العسكر الذى بها فقاتلوهم قتالا همت العرب معه بالانصراف

﴿ ذكر رأى أشار به ابن [٣٣٧] المغربي في تلك الحال ﴾

قال لهم الوزير أبو القاسم ابن المغربى : ان رحلتم على هذه الصورة وقع الطمع فيكم وان صبرتم حتى تفتحوا البلد خافكم الحاكم وملكتم الشام والرأى أن تبادروا وتنادوا فى السواد وتسمعوا الشراة فى الجبال بإباحة النهب والغنيمة . فقبلوا منه وحشروا فنادوا فوافى خلق كثير وزحفوا الى البلد وملكوه وأساؤا الملكة بالقتك والهتك . وتأدى الخبر الى الحاكم فانزعج وكتب الى المفرج بن دغفل كتابا عاتبه فيه وحذره سوء العاقبة وطالبه بانتزاع بارختكين من يد حسان وحمله الى مصر ووعده على ذلك بخمسين الف دينار

﴿ ذكر رأى لابن المغربى قصد به تأكيد الوحشة ﴾
﴿ بين حسان وصاحب مصر ﴾

قال لحسان : ان والدك سيركب اليك ولا يبرح من عندك الا ببارختكين ومتى أفرجتم عنه وعاد الى الحاكم رده اليكم في العساكر التى لا قبلَ لكم بها . فلما سمع حسان ذلك (وكان في رأسه نشوة) أحضر بارختكين بقيوده فضرب عنقه صبرا وأنفذ رأسه الى المفرج . فشق عليه ما جرى وعلم فوت الامر فامسك . [٣٣٨]

ثم اجتمع الوزير أبو القاسم مع المفرج وأولاده وقال لهم : قد كشفتم القناع فى مباينة الحاكم ولم يبق من بعد للصلح موضع . وأشار عليهم بمراسلة

أبي الفتوح الحسن بن جعفر العلوى واستجذابه به اليهم ومبايعته على الامامة فانه لا مغمز في نسبه وسهل الخطب عليهم فى ذلك

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر أبى الفتوح العلوى ﴾

كان أبو الفتوح بمكة اميرا فمضى اليه ابن المغربى وأطمعه فى الامر فطمع فيه وجمع بنى حسن وشاورهم فصبوا الى العز وأعطوه أيديهم بالبيعة ثم عاد[1] الناس اليه وتلقب بالراشد بالله وصعد المنبر وخطب لنفسه . واتفق ان انسانا موسرا توفى تلك السنة بجدة ووصى لابي الفتوح من تركته بمال لكي يسلم الباقي لورثته فمد يده الى التركة فاستوعبها بمشورة ابن المغربى عليه بذلك وسار لاحقا بآل الجراح فلما قرب من الرملة تلقوه وقبلوا الارض بين يديه وسلموا عليه بامرة المؤمنين ونزل الرملة . ونادى فى الناس بأمان الخائفين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونسى نفسه في أخذ تركة التاجر بجدة الا ان الناس تراجعوا الى معايشهم (٣٣٩) وظهروا من استتارهم وركب فى يوم الجمعة والفرج وأولاده وسائر أمرائه طي مشاة بين يديه حتى دخل المسجد ودعا ابن نباتة الخطيب [2] وأمره بصعود المنبر وأسر اليه بما لا يبدأ به [3] فصعد وقد طالت الاعناق فحمد الله وأثنى عليه وقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم : طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم

---

(١) لعله : دعا　(٢) قدكان توفى سنة ٣٧٢ الخطيب المشهور　(٣) يريد بما يبدأ به

ما كانوا يحذرون

ولمّا فرغ أبو الفتوح من الصلاة عاد الى دار الامارة .

ونرى ان أبا الفتوح اتبع فى هـذا الاستشهاد بهذه الآيات محمـد بن عبد الله بن حسـن فيما جرى بين المنصور بالله وبينـه من المكاتبات فانه استشهد بها . ويتضمن كتاب الكامل الذى صنفه أبو العباس المبرد ذكرها[1] وقد نظر[2] المنصور فيها ولولا شرط الاختصار لذكرناها فانّها عجيبة جداً وقد قارعا على الأحساب «والنبع يقرع بعضه بعضا» . وما أحسن أدب القائل حين دخل الى المنصور بالله بعد قتل ابراهيم بن عبد الله بن (٣٤٠) حسن بن حسن أخى محمد والناس ينالون من ابراهيم والمنصور يكره كثيرا من ذلك فقال : أجرك الله يا أمير المؤمنين فى ابن عمك وغفر له مااستحله من قطيعتك أو ما هـذا معناه فتهلل وجه المنصور سرورا بصوابه وقرّبه اليـه من دون أصحابه . والله تعالى يقول : وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شيء عليم

﴿ ذكر ما دبره صاحب مصر عند وصول الخبر اليه ﴾

لمـا تأدي الى الحاكم شرح ما جرى عظم عليه وكبر لديه وكتب الى حسان ملطّفات وبذل له بذولا كثيرة والى المفرج بمثل ذلك واستمال آل الجراح جيمهم وحمـل الى على ومحمود ابني المفرج أموالا جزيلة حتى فلّهما عن ذلك الجمع وجعلهما فى حيّزه مع جماعـة من العرب . وبدأ أمر الحاكم يقوى وأمر أبى الفتوح يضعف وبان له تغيّر آل الجراح عليه وانضاف الى ذلك ورود الخبر بنزول ابن عمه على ملكه طالبا موضعه

(١) طبع مصر ١٣٠٨ ٢ : ٢٢٠ (٢) لعله : ناظر

﴿ ذكر تحاسد بين الاهل عاد بوبال [٢٤١] ﴾

كان لابي الفتوح ضد من بني عمه يعرف بابن أبي الطيب يخاطب بالامرة وبينهما تحاسد وتنازع فكتب اليه الحاكم فى هذا الوقت وقلده الحرمين وأنفذ له ولشيوخ بنى حسن مالا وثيابا . فسار مع من انضوى اليه من بنى عمه الى مكة وبها صاحب أبى الفتوح فنازله وأسرعت النجُب الى أبى الفتوح بالخبر فازداد قلقا وخاف خروج الحرمين من يده .

وكان حسان قد أنفذ والدته فى أثناء هذه الخطوب الى مصر بتذكرة تضمن اغراضه وسأل فى جملتها ان تُهدي له جارية من إماء القصر فأجابه الحاكم الى جميع ما سأل من اقطاع وتقرير وامضاه وكتب له أمانا بخط يده وأهدى له جارية جهزها بما بلغ قيمته مالا عظيما . فعادت والدة حسان اليه بالرغائب له ولابيه فسر بذلك وأظهر طاعة الحاكم ولبس خلعه

وعرف أبو الفتوح الحال فأيس معها من نفسه فركب الى المفرج مستجيرا به وقال . انا فارقت نعمتي وأبديت للحاكم صفحتي سكونا الى ذمامك وأنا الآن خائف من غدر حسان فأبلغني مأمني وسيرني الي وطني فحفظ المفرج ذمامه وضم اليه من أجازه وادى القري فتلقاه بنو حسن وأصحابه ومضوا الي مكة واستقامت أموره بها وكاتب الحاكم واعتذر اليه فقبل عذره . وأما الوزير أبو [٢٤٢] القاسم فانه استجار بالمفرج حتى سيره الى العراق

وصبر الحاكم مدة يسيرة ثم جرد العساكر مع علي بن جعفر بن فلاح أخي أبي تميم ولقبه قطب الدولة وسار فى عشرين الف وتلقاه علي ومحمود ابنا المفرج طائعين . وكان الحاكم قد خدع كاتبا للمفرج يعرف بابن المدبر

وبذل له بذولا على قتل المفرج بالسم فتوصل الكاتب الى ان سقاه سما فمات وهرب ابن المدبر الى مصر ووفى له الحاكم بما وعده ثم قتله من بعد .

وكذلك عاقبة من خان مولاه وباع دينه بدنياه فهو يخسرهما جميعا ويحتقب اثما عظيما

واضمحل أمر حسان وأخذت معاقله وصار طريداً شريداً مدة حتى ضاقت عليه أرضه فانفذ والدته والجارية الى مصر لائذا بالامان واستشفع الى الحاكم باخته فشفعها فيه وأعطى والدته خاتمهُ وثياب صوف كانت على بدنه وعمامة على رأسه والحمار الذى يركبه فعادت الجارية بجميع ذلك اليه وأقامت والدته . فبادر حسان الى الورود ودخل البلد على ذلك الحمار بتلك الثياب فعفا عنه وأعطاه أرضه واصطنعه وأقطعه وأعاده الى الشام ولم يتعرض حسان بعدها بفساد الى ان قتل الحاكم . ونعود الى سياقة التاريخ

وفي هذه السنة المقدم ذكرها (٢٤٣) وردت كتب أهل الرحبة والرقة الى الحضرة باستدعاء من يسلمون اليه البلاد فندب خمارتكين الحمصى للمسير

﴿ ذكر ما جرى عليه أمره فى ذلك ﴾

سار الى الرحبة وملكها وأقام بها أياما ثم سار الى الرقة وبها سعد السعديّ فاعتصم بالرافقة وجرت بينه وبين خمارتكين وقعات ولم يتم فتحها وعاد الى الرحبة . وقد بلغه اضطراب الامور ببغداد فرجع واعترضه قوم من العرب فى رجوعه فاخذوه أسيرا فى أيديهم حتى افتدى منهم بمال .

وفيها خرج أبو جعفر الحجاج بن هرمز الى أعمال الموصل مع عدد كثير من العسكر وحصل بها . واجتمعت بنو عقيل وزعيمهم يومئذ

أبو الدواد محمد بن المسيب على حربه فجرت بينهما وقائع ظهر من أبي جعفر فيها شجاعة سار ذكره بها حتى انه كان يضع كرسيا في وسط المصاف ويجلس عليه والحرب قائمة بين يديه وتمكنت له في قلوب العرب هيبة بذلك . واستنجد من الحضرة فانجد بالوزير أبي القاسم على بن أحمد [1] واستقر الصلح مع العرب على المناصفة فيما قرب من أعمال الموصل وبقي أبو جعفر هنالك الى ان توفي محمد بن المسيب وعاد بنو (٤٤٤) عقيل فاخذوا منه البلد

وفيها وصل الاشراف والقضاة والشهود الى حضرة القادر بالله رضوان الله عليه وسمعوا يمينه لبهاء الدولة بالوفاء وخلوص النية وتقليده ما وراء بابه مما تقام فيه الدعوة وذلك بعد ان حلف له بهاء الدولة على صدق الطاعة والقيام بشروط البيعة

﴿ ودخلت سنة اثنين وثمانين وثلثمائة ﴾

وفيها خلع على الوزير أبي القاسم على بن أحمد وندب الى الخروج الى الموصل وقتال بني عقيل

﴿ ذكر السبب في ذلك وما انتهى اليه الامر فيه ﴾

كانت الحال بين أبي القاسم وبين أبي الحسن المعلم قد بدأت في الفساد ودخلت بينهما بلاغات حلت عرى الوداد وكان أبو القاسم يجري نفسه معه مجرى الكاتب حتى انه نزل يوما معه في زبزبه فجلس على الكوار بين يديه والناس يشاهدونه ويتعجبون منه . ووردت كتب أبي جعفر الحجاج باجتماع بني عقيل عليه فاشار أبو الحسن على بهاء الدولة باخراج أبي القاسم (٣٤٥)

---

(١) هو أبو القاسم الابرقوهي

فتقدم اليه بذلك وجرّد معه عددا كثيرا من طوائف العسكر وسار بعد ان ركب اليه بهاء الدولة وودعه . فوصل الى الموصل وخيّم بظاهرها واجتمع مع أبي جعفر وانصرف بنوعقيل وبدأ بإحكام قواعد الامور فلم يمهله أبو الحسن المعلم حتى كاتب أبا جعفر بالقبض عليه

﴿ ذكر رأى سديد لابي جعفر نظر فيه للعاقبة ﴾

علم أبو جعفر انه ان فعل ذلك اضطرب الامور وطمعت العرب ولم يمكنه الثبات فتوقف وراجع أبا الحسن وأعلمه وجه الغلط فيما رآه . واتصل الخبر بابي القاسم بما يجرى من الخوض [1] في بابه من عيون له على بهاء الدولة وأبي الحسن وخواصهما [2] وعول على مهادنة بني عقيل وأخذ رهائنهم وعمل على الانكفاء الى بغداد ولما رأى أبو الحسن ان أبا جعفر قد توقف عما كاتبه فيه فاخرج أبا الفتح محمد بن الحسن الحاجب اليه ليلزمه امضاء العزيمة فيما أمره به .

فحكى أبو نصر محمد بن على بن سياجيك وكان كاتب أبي القاسم يومئذ قال : لما وصل الخبر الينا بما تقرر من خروج أبي الفتح محمد بن الحسن على القاعدة المذكورة [٣٤٦] ثم تلاه كتاب من تكريت بوصوله اليها خاف أبو القاسم وأشار عليه من يثق به بالهرب فقرقت نفسه عنه وعزم على الانكفاء الى بغداد ولم يأمن ان يظهر فيمنعه أبو جعفر

﴿ ذكر ما رتبه أبو القاسم من الحيلة حتى ﴾
﴿ تم له الانحدار ﴾

راسل أبا جعفر وقال له : قد توقف محمد بن المسيب عن تفرقة العرب

---

(١) في الاصل : الحواص (٢) وفي الاصل : من خواصهما

من حوله وتسليم ما ووقف على تسليمه من النواحي وقال « لست فاعلا ذلك الا بعد ان تنحدر أنت ومن معك من العسكر وآمن انتقاض ماتقرر» وقد عزمت على ان انتقل بعسكري من موضعه وأظهر الانحدار فليكن أدعى الى سكونه . فاستصاب أبو جعفر رأيه وأمر أبا القاسم بالرحيل ليلا وأصبح على عشرة فراسخ من الموصل . فراسله أبو جعفر وعاتبه على فعله فرد عليه جوابا مملا بالاعتذار وقال : ان الاولياء طالبوني بالانحدار ولم يمكن مخالفتهم . ووصل الى الحديثة وقد نزلها أبو الفتح الحاجب فخرج وتلقي الوزير وخدمه وأعطاه كتابا من بهاء الدولة مضمونه : ان الامور قد [٣٤٧] وقفت ببعدك وخيل لنا ان أباجعفر منعك من العود ولم يقف عند[1] ما تدبره به فانفذنا أبا الفتح ليواقف أبا جعفر على طاعتك والرضاء بماتقرره ليتعجل عودك . فوقف أبو القاسم على الكتاب فلما نزل مخيمه استدعي أبا الفتح وراوضه على أن يصدقه عن باطن الامر وبذل له ثلاثة آلاف دينار فحلف له أبو الفتح على تقابل الظاهر والباطن فيما أوصله اليه فقال أبو نصر : فاستدعاني الوزير بعد خروج أبي الفتح من عنده وقال لي : قد ورد هذا الكتاب بما قد علمته وقد كتب أصدقاؤنا ونصحاؤنا بما عرفته فما الرأي ؟ قلت له : ليس الا مراسلة أبي الدواد فانه نازل بازائنا وأخذ الذمام منه والعبور اليه والمقام عنده ثم تدبير الامر مع الامن . فقال : لعمري ان هذا هو الرأي الذي توجبه الخبرة في حراسة النفس ولكني أستقبح ذلك وسأدخل بغداد متوكلا على الله تعالى . ثم ورد الخبر في أعقاب ذلك بالقبض

---

(١) لعله : على

على أبي الحسن المعلم وقتله [١] فدخلت الى الوزير فأقرأني الكتاب الوارد بذكر ذلك وعنده من يحتشمه فاظهرتُ وجوما . فلما خلا عدت اليه وفي وجهي آثار الاستبشار ووجدته مفكرا مطرقا فلما رآني قال : أظنك قد سررت بما ورد . قلت : نعم . قال : وما ذاك مما يسر لان ملكا قرب رجلا [٣٤٨] كاقرب بهاء الدولة أبا الحسن وفوّض اليه التفويض الذي رأيته ثم أسلمه للقتل بمرأى عينه لحقيق بان تخاف ملابسته

وفيها ورد أبو العلاء عبيد الله بن الفضل قادما من الاهواز وكان أبو الحسن المعلم قد مد عينه الى حاله وماله واستدعاه للقبض عليه

﴿ ذكر تدبير جيد سلم به أبو العلاء ﴾
﴿ عبيد الله بن الفضل ﴾

لما أحس أبو العلاء بما هم به أبو الحسن ملأ عينه بالتحف والملاطفات وعمل الدعوات المترادفات وسلك معه سبيل التذلل والمخادعة حتى اندفعت عنه النكبة وتجدد من قتل المعلم ما كفى به أمره

وفيها أفرج عن أبي الحسن محمد بن عمر العلوى

وفيها قبض على أبي الحسن المعلم وقتل

---

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : فمن الحوادث في سنة ٣٨٢ ان أبا الحسن على ابن محمد بن المعلم الكوكبي كان قد استولى على أمور السلطان بهاء الدولة كلها فمنع أهل الكرخ وباب الطاق من النوح يوم عاشوراء ومن تعليق المسوح وكان كذلك يعمل من نحو ثلاثين سنة . ووقع أيضا باسقاط جميع من قبل من الشهود بعد وفاة القاضي أبي محمد ابن معروف وان لا يقبل في الشهادة الا من كان ارتضاه ابن معروف وذلك لانه لما توفي كثر قبول الشهود بالشفاعات حتى بلغت عدة الشهود ثلاثمائة وثلاثة أنفس ثم انه فيما بعد وقع بقبولهم في السنة

﴿ شرح حال أبي الحسن المعلم فى القبض عليه وقتله ﴾

كان قد استولي على الامور الاستيلاء الذى تقدم ذكره ووتر القريب والبعيد وخنق أبا على ابن شرف الدولة بيده وأفسد نيات وجوه العسكر والرعية (٣٤٩) وفعل الافاعيل المنكرة وأملى له حتى امتلات صحيفته . فشغب الجند في هذا الوقت وبرزوا الى ظاهر البلد وراسلوا بهاء الدولة بالشكوى منه وطالبوه بتسليمه اليهم فاخذهم باللطف ووعدهم بازالة شكواهم وان يتولى بنفسه أمورهم ويقتصر أبو الحسن المعلم على خدمته فيما يخصه . فلم يقنعوا فبذل لهم ان يبعده عن مملكته الى حيث يأمن على مهجته ويبلغ الجند مرادهم ببعده ولا يتقبح هو بتسليمه وقتله فكان جوابهم أخس من القول الاول . فقال بكران لبهاء الدولة وكان السفير بينه وبين العسكر : أيها الملك ان الامر على خلاف ما تقدّره وأنت مخيّر بين بقاء أبي الحسن وبين بقاء دولتك فاختر أيهما شئت. فقبض عند ذلك على أبي الحسن وعلى جميع أصحابه وأسبابه وظن انهم يرضون ويعودون فلم يفعلوا وأقاموا على المطالبة بتسليمه اليهم فتذمم من ذلك وركب بنفسه ليسألهم العود والاقتصار على ماجرى من القبض على المعلم فلم يقم أحد منهم اليه ولا خدمه وأبوا ان يرجعوا الا بعد تسليمه . فسلم حينئذ الى أبي حرب شيرزيل (١) وسُقي السم دفعتين فلم يعمل فيه فخنق بحبال الستارة ودهمه أحد الغلمان بسكين فقضى نحبه وأخرج ودفن . ثم عاد (٣٥٠) الجند الى منازلهم وسكنت الفتنة

ولو ان بهاء الدولة اقتصد فى أمر هذا المعلم لكان ذلك احسن بداية

---

(١) فى الاصل (سريريل) والصواب في تاريخ هلال الصابي

وأجمل توسطا وأحمد عاقبة وآمن مغبّة وأطيب أحدوثة ولكنه أخطأ باختيار من لا خير فيه ثم أفرط فى تقريبه ثم أسرف في تمكينه لا جرم ان السمعة ساءت والرقبة رفعت والحشمة ذهبت والوصمة بقيت ولم يسلم الملم مع ذلك كله . فيا قرب ما بين ذلك العز وهذا الهوان وذلك الاكرام وهذا الاسلام !
« فما بكت عليهمُ السماء والأرضُ وما كانوا مُنظرين »

وفيها سُلّم الطائع الى الخليفة القادر بالله رضوان الله عليه وأنزله فى حجرة من حجر خاصته ووكل به من يحفظه من ثقات خدمه . وأحسن ضيافته ومراعاة أموره حتى انه كان يطالب من الخدمة بمثل ما كان يطالب به ايام خلافته وكان القادر بالله رضوان الله عليه يتفقد ما يقام له ويقدم بين يديه أكثر تفقّد مما يختص به نفسه . وأقام على ذلك الى ان توفى رضوان الله عليه (١)

وفيها ورد الوزير أبو القاسم على بن أحمد والعسكر فى صحبته (٣٥٦)

﴿ ذكر ماجرى عليه أمر الوزير أبى القاسم وما استقر ﴾
(فى أمر النظر بعد القبض عليه)

ورد وعنده انه قد كفى ما يحاذره بهلاك الملم وكان بهاء الدولة قد

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : فكان المخلوع يطالب من زيادة الخدمة بمثل ما كان يطالب به أيام خلافته وانه حمل اليه طيب من بعض العطارين فقال : أمن هذا يتطيب أبو العباس ؟ فقالوا : نعم . فقال : قولوا له « فى الموضع الفلاني من الدار كندوج فيه طيب مما كنت أستعمله فاتخذ لى بعضه » وقدمت اليه فى بعض الليالى شمعة قد أوقد بعضها فانكر ذلك فحملوا اليه غيرها وأقام على هذا الي ان توفى .
وقال أيضا انه مات ليلة عيد الفطر سنة ٣٩٣ وصلى عليه القادر بالله وكبر عليه خمسا وحمل الى الرصافة وشيعه الا كابر والخدم ورثاه الشريف الرضي بقصيدة (ليراجع ديوانه طبع بيروت ٢ : ٦٨٢)

نقم عليه لاسباب أكدها الملم فى نفسه أحدها ما كان منه بمقاربة بنى عقيل ثم صح فى نفسه ان الشغب الواقع من العسكر كان بكتبه ورسائله اليهم . فقبض عليه وخلع على أبي عبد الله [١] الحسين بن أحمد ورد اليه العرض وأقر أبا الحسن على [٢] بن سهل الدورقي على رسمه في نيابة الوزارة . وخوطب أبو منصور ابن صالحان على تقلد الامر فاستعفى فاستقر الامر على استدعاء أبي نصر سابور وكان قد صار الى البطيحة مستوحشاً من الملم فكوتب بالحضور فحضر . وأشير على بهاء الدولة بالجمع بينه وبين أبي منصور ابن صالحان في الوزارة فامر بذلك بعد ان قرّره معهما وخلع عليهما جميعا وطرح لهما دستا كاملا وكانا يتناوبان في تقديم اسم أحدهما على الآخر في المكاتبات

وفيها قبض صمصام الدولة على أبي القاسم العلاء بن الحسن بشيراز (٣٠٢)

﴿ ذكر ما جرت عليه الحال فى ذلك ﴾

كان العلاء بن الحسن غالبا على أمر صمصام الدولة ووالدته كثير الافضال على أصحابه وحاشيته ولم يكن مع ذلك مغضيا لهم على أمر يحلّ عُرى السياسة . وكان قد اصطنع أبا القاسم الدلجى واستصحبه من الاهواز لما أعاده شرف الدولة الى شيراز وقدّمه وقرّبه ثم ولاّه ديوان الانشاء حين حصل صمصام الدولة بشيراز وخلع عليه ورتبه فى ذلك ترتيب الوزراء ومضى الامر على هذا زمانا . وتبسّط لرضيع وسعادة وكُتّاب السيدة والدة صمصام الدولة واستولوا وطالبوا العلاء بما تقصر المادة عنه وتضطرب الامور معه . فضاق مجال قدرته عن اقتراحاتهم ففسدت الحال بينه وبينهم

(١) وفى الاصل « أبي عبد الله بن الحسين » وهو غلط (٢) في الاصل : بن علي

لاجل ذلك وشرعوا فى فساد أمره فوجدوا عند أبى القاسم الدلجى مساعدة لهم عليه عند صمصام الدولة طمعا في حاله وحال [من]دونه فقبض عليه وعلى كتّابه وحواشيه وعلى ابنته زوجة العلوى الرازى وطولبوا أشدّ مطالبة وعوقبوا أشد معاقبة حتى تلفت ابنته وجماعة من أصحابه تحت الضرب . وبقى العلاء معتقلا فى بعض المطامير (٣٥٣) لايعرف له خبر الى ان فسد أمر أبى القاسم الدلجى فتغير رأى السيدة والدة صمصام الدولة وقبض عليه فى سنة ثلاث وثمانين وأفرج عن العلاء بن الحسن ورُدّ اليه النظر

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر العلاء بن الحسن ﴾
(فى عوده الى الوزارة)

أخرج من محبسه وقد ضعف بصره وحصل فى دار السيدة وعولج حتى برىء وخلع عليه ورُدّ الى الوزارة وصحب صمصام الدولة الى الاهواز ثم رجع الى أرجان فاقام بها على النظر في أمور فارس . فلما جري ماجرى بتل طاؤوس وعاد الديلم منهزمين وانهزم صمصام الدولة الى شيراز فسار العلاء الى الاهواز وقاتل عسكر بهاء الدولة ثم مات بعسكر مكرم

ولم تخلص نيته لصمصام الدولة بعد ما لحقهُ وابنته وأهله بل أهلك دولته باقطاع الاقطاعات وايجاب الزيادات وتمزيق الاموال وتسليم الاعمال وتأدّت أمور صمصام الدولة الى الاضطراب وأحواله الى الاختلال . وهكذا يسعى فى فساد الامور كل حنق موتور

وفيها ورد الخبر بنزول ملك الروم على خلاط وارجيش وأخذها وانزعج الناس لذلك . ثم ذكر من بعد (٣٥٤) استقرار الهدنة بين أبى على الحسن ابن مروان وبينه مدة عشر سنين وانصرف عن الاعمال

﴿ ودخلت سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر باستيلاء أولاد بختيار على القلعة التي كانوا معتقلين فيها ومسير أبي [علي] الحسن بن أستاذ هرمز من شيراز اليهم والقبض عليهم وقتل نفسين منهم

﴿ ذكر الحال في ذلك وما انتهى اليه أمرهم ﴾

قد تقدم ذكر حال هؤلاء القوم واحسان شرف الدولة اليهم بالافراج عنهم ولما همّ بقصد العراق أخرجهم الى بعض دُور شيراز وجعل معايشهم واقطاعاتهم منها . فلما تُوفي قُبض عليهم وحبسوا في قلعة خرّشنة فكانوا فيها الى ان مضى صدر كبير من أيام صمصام الدولة

(ذكر حيلة عملها أولاد بختيار ملكوا بها القلعة [٣٥٥])

استمالوا حافظ القلعة ومن كان معه من الديلم فطاوعوهم فافرجوا عنهم ثم أنفذوا الى أهل تلك النواحي المطيفة بالقلعة وأكثرهم رجّالة أصحاب سلاح ونجدة فاجتذبوا منهم عدّة كثيرة واجتمعوا تحت القلعة . وعرف صمصام الدولة الخبر فاخرج اليهم أبا علي ابن أستاذ هرمز في عسكر وسار فلما قرب من القلعة تفرق من كان اجتمع تحتها من الرجال وتحصن بنو بختيار والديلم فيها ونزل أبو علي عليها محاصراً ومحاربا .

(ذكر ما دبره أبو علي ابن أستاذ هرمز في فتح القلعة)

راسل أحد وجوه الديلم الذين في القلعة وأطمعه في الاحسان والزيادة في المنزلة فاستجاب له ووافقه على ان ينزل اليه حبلا من أعلى القلعة ليرتقي به الرجال الى بابها وكان على سن من الجبل . فلما دنا الحبل خاطب أبو علي ابن أستاذ هرمز جماعة من الذين معه على الصعود فتوقفوا حتى اتدر [١] أحد

---

(١) لعله : انتدب

أصحابه فصعد . فلما دنا يقرب من الباب اضطربت يده على الحبل فخر متردياً وأحجم الباقون فصب بين أيديهم أموالا وبسط (٣٠٦) منهم آمالا وابتدر[1] قوم من أصحابه فيهم قوة وجرأة فصعدوا الى القلعة واحد بعد واحد حتى حصل عدد منهم على الباب ففتح لهم ودخلوا القلعة وملكوها فقبض على أولاد بختيار وكانوا ستة . وكتب كتابا بالفتح الى صمصام الدولة فانفذ فرّاشا تولّى قتل نفسين من أولاد بختيار وأنفذ الباقون الى قلعة الجنيد فاعتقلوا فيها .

وفيها ندب أبو العلاء عبيد الله بن الفضل للخروج الى الاهواز وخلع عليه

(ذكر السبب في ذلك)

كانت بين الشريف أبي الحسن محمد بن عمر وبين [أبي] العلاء عبيد الله عداوة ومباينة وتقدم أبو العلاء عند بهاء الدولة وقرب منه بخدمته له . فاجتمع أبو الحسن محمد بن عمر وأبو نصر سابور الوزير واتفقا على الشروع في ابعاده فارسل الوزير أبو نصر سابور الاستاذ الفاضل أبا نصر الحسين بن الحسن الى بهاء الدولة وقال له . قل للملك : أنا أعلم ما في نفسك من أمر فارس وقد انحلّ أمر صمصام الدولة ومضى أكثر أعوانه ولك عشرون الف الف درهم معدّة منها ما آخذه من أبي محمد ابن مكرم والمتصرفين بالاهواز ومنها ما وجوهه لائحة والتدبير في هذا الامر ان يخرج أبو العلاء الي الاهواز كأنه عائد (٣٠٧) اليها للمقام بها ويجرد معه قطعة من العسكر ثم تتبعه بعد مدة بطائفة أخرى فاذا تكاملت العساكر هناك أظهرنا حينئذ ما نظهره وسار أبو العلاء من الاهواز فأعجل القوم عن أهبة واستعداد .

(١) لعله : وانتدب

فاعاد الاستاذ الفاضل أبو نصر على بهاء الدولة ما ذكره سابور فتشوّفت نفسه اليه وتعلق طمعه به وأمر في الجواب بما يجب ترتيبه وكتب بالقبض على أبي محمد ابن مكرم وأصحابه وتقدم الي أبي العلاء بالمسير بعد ان أعلم بباطن التدبير واستكتمه .

(ذكر تفريط من أبي العلاء في اذاعة سر عجل به)

قال الاستاذ الفاضل : فوالله لقد خلع عليَّ وسرت في موكبه الى داره فما استقر في مجلسه حتى دخل أبو الحسين شهرستان بن اللشكرى لتهنئته فقال : ياابا الحسين أي دار تريدها بشيراز . فغمزته فتنبه واستدرك وقال لشهرستان : انما أردت بالاهواز . ولم يخف الخبر وشاع فان القول كالسهم اذا نفذ على كبد القوس فات .

وأقام أبو العلاء في معسكره أياما كثيرة ولم يخرج معه أحد وبطل ما كان سابور بذله في أمر المال [(٣٥٨)] وحصوله . وخرج أبو العلاء بعد ذلك في شرذمة قليلين فسار الي الاهواز فما وصلها الا وقد عرف الخبر بفارس ووقع الشروع من هناك في المسير الي العراق

وفيها جلس القادر بالله رضوان الله عليه لاهل خراسان عند عودهم من الحج وخوطبوا على أمر الخطبة واقامتها وحملوا رسالة وكتبا الي صاحب خراسان في المعنى

وفيها شغب الديلم لاجل النقد وفساد السعر وغلائه [(١)] وتأخر العطاء ونهبوا دار الوزير أبي نصر سابور وأفلت منهم ناجيا بنفسه . وراسلوا بهاء الدولة بتسليمه وتسليم أبي الفرج محمد بن علي الخازن [(٢)] وكان ناظرا في

(١) وفي الاصل : وغلانه (٢) تقلد البصرة في أواخر سنة ٤٠٢ : ارشاد الاريب ٢ : ١٢٠

خزانة المال ودار الضرب وتردد القول بينهم الى أن وُعدوا بالاطلاق وتجويد النقد وسكنت الفتنة . واستمر سابور على استتاره ورروسل وهو مستتر بتسليم أبي القاسم على بن أحمد وكان سُلِّم اليه ليعتقله عنده فسلمه وحمل فى هذا الوقت الى الخزانة فى دار المملكة

ولما جرى على سابور ما جرى استعفى أبو منصور ابن صالحان من التفرُّد بالنظر وأظهر العجز عنه . وكانت الاقامات قد زادت على قدر المادة وأحوجت النظّار الى التمسك فيها وصارت الهمة جميعها مصروفة الى ما يحصل لابى العباس أحمد بن على وهو الوكيل فى هذا الوقت . فبدأ عند ذلك أبو القاسم على بن أحمد (٣٥٩) فى طلب العود الى الوزارة وراسل بهاء الدولة وبذل له ان يكفيه الاهتمام بأمر الاقامة متى مكنه وبسط يده فاشرأبّت نفس بهاء الدولة لذلك فأحاله اليه واستوزره وخلع عليه

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر أبي القاسم على ابن أحمد في هذه الوزارة ﴾

قبض على جماعة من الكتاب والمتصرفين وأخذ منهم مالا مبلغه ستة آلاف [1] درهم وأحضر أبا العباس الوكيل وقرّر عليه تقريرا صالحا عن نفسه وأعطاه وأقام له وجوها بالاقامة لمدة أربعة أشهر وأخذ خطه باستيفاء ذلك وأنفذه الى بهاء الدولة فحسن موقعه عنده وملك به رأيه وقلبه لكنه أفسد قلوب الحواشي وأبعد بعضهم ومضت على ذلك مدة وحاله تزداد عند بهاء الدولة تمكنا واستقرارا وتزداد قلوب الحواشي منه استيحاشا ونفاراً .

وكان قد قلد أبا محمد الحسن بن مكرم البصرة حرباً وخراجا في انجاز نكبته بالاهواز وأمره بالقبض على أبي عبد الله ابن طاهر وكان ناظراً

---

(١) لعله سقط : ألف

بالبصرة فقبض عليه وحبسه

﴿ذكر سبب وجد به الحواشي طريقا [٣٦٠] الى فساد حال الوزير أبي القاسم﴾

ورد الخبر ان أباعبد الله ابن طاهر قُتل في محبسه وانه وضع عليه قوما دخلوا اليه وفتكوا به فوجد الحواشي سبيلا الى الوقيعة في الوزير وعرفوا بهاء الدولة من قتل [١] أبي عبد الله على الوجه القبيح ما غيّر رأيه فقال : قد قتل في تلك الكرة المعلم وفي هذه الكرة ابن طاهر أفتراه بمن يثلث ؟ وانتهى هذا القول الى أبي القاسم من عيون كانت له في الدار بحضرة بهاء الدولة فخاف وهرب في ليلة يومه

﴿ذكر ما جرت عليه الامور بعد هرب الوزير أبي القاسم﴾
(علي بن أحمد وعود أبي نصر سابور [٢])

قصد أبو نصر سابور دار بكران واستعاذ به حتي أصلح له قلوب الديلم وأمن جانبهم وظهر من داره . وأفرج عن الجماعة الذين اعتقلهم الوزير أبو القاسم ورتب في كل من الدواوين كاتبا يتولى أمره ونظر هو في الخبر والبريد والحماية ظاهرا وفي تدبير الامور وتقريرها وتنفيذها باطنا فكانت الجماعة يصدرون عنه ويوردون اليه وجرت الحال على هذا الترتيب [٣٦١] أشهرا ثم تظاهر بالعمل .

وفيها وردت كتب أبي العلاء عبيد الله بن الفضل ويذكر فيها مسير عساكر فارس مقبلة الى الاهواز ويحث على امداده بالعساكر

---

(١) وفي الاصل : قبل (٢) قال صاحب تاريخ الاسلام : وفي هذه السنة ابتاع الوزير أبو نصر سابور دارا بالكرخ وعمرها وسماها دار العلم ووقفها على العلماء ونقل اليها كتبا كثيرة .

﴿ذكر ما دبره بهاء الدولة فى ذلك﴾

ندب أبا طاهر دويده شيرى[1] للخروج الى الاهواز في جماعة من الديلم وجرد أبا حرب شيرزيل الى البصرة ، وورد الخبر بانفصال عسكر فارس من ارجان فامر بهاء الدولة باخراج مضاربه ثم ورد الخبر بحصولها برامهرمز . فندب طغان الحاجب في عدد كثير من الغلمان وخلع عليه وأخرج معه عيسي بن ماسرجس[2] ناظرا في خلافة الوزارة وأخرج ما في الخزائن من الاواني الذهب والفضة فكسرت وضربت دنانير ودراهم وفرقت عليهم . ثم ورد الخبر بدخول عساكر فارس وعليهم أبو الفرج محمد ابن علي بن زيار الي الاهواز وهزيمة أبي العلاء عبيد الله بن الفضل وحصوله أسيرا فى أيديهم

﴿ذكر ما جري عليه أمر أبي العلاء بعد الاسر﴾
(والاتفاق الذي سكن به ٣٦٢)

لما أسره أبو الفرج ابن زيار حمله الي شيراز وصمصام الدولة بدولتاباد[3] للتوجه علي سمت العراق فأدخل المسكر على جمل وقد ألبس ثيابا مصبغة وطيف به وكل أحد لا يشك انه مقتول . فاتفق انه أجيز على خيم السيدة والدة صمصام الدولة فاومى بيده كالمستغيث المسترحم فبدرته قهرمانة من الديلميات بالسب فسمعتها السيدة فانكرت قولها عليها وتقدمت بحطه عن الجمل ونزع الثياب المصبوغة عنه والباسه غيرها وحمله الى القلعة واعتقاله بها

---

(١) وفى الاصل دوبر شيرى . (٢) وفى الاصل : ماسرجيس . هو أبو العباس وله قصة مع أحمد النهرجورى الشاعر ومع ابن حاجب النعمان : ارشاد الاريب ٢ : ١٢٠ و ٥ : ٢٦٠ (٣) قال ياقوت في معجم البلدان : دولتاباذ موضع ظاهر شيراز تسير اليه العساكر اذا أرادوا الاهواز

واحسان مراعاته فيها . فكان فعل هذه المرأة سبب حياته والابقاء عليه

ولما ورد على بهاء الدولة خبر كسر عسكره بالاهواز وأسر أبي العلاء انزعج انزعاجا شديدا وتقدم الى طغان بالمسير . ورأي خلو خزائنه من المال وحاجته اليه فامر الوزير أبا نصر بالانحدار الى واسط واجتذاب ما يلوح له وجه منه ومراسلة مهذب الدولة والاستدانة منه على رهن يجعل له عنده وسلم اليه من الجوهر والآلات كل خطير

وفيها عقد القادر بالله رضوان الله عليه على ابنة بهاء الدولة [1] بصداق مائة الف دينار بحضرته والولي الشريف أبو أحمد ابن موسى الموسوى وتوفيت قبل النقلة (٣٦٣)

﴿ ودخلت سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ﴾

وفيها وقع العقد لمهذب الدولة أبي الحسن على ابنة بهاء الدولة وللامير أبي منصور ابن بهاء الدولة على ابنة مهذب الدولة وكل عقد منهما كان على صداق مائة الف دينار وحمل المهذب بالمبلغ مالا وغلة وخطب له بواسط وأعمالها واحتسب له من مال ضماناته باسفل واسط بالف الف وثلاثمائة الف درهم غياثية منسوبة الى الاقطاع . وكان عيار الدرهم الغياثي ثمانية ونصف حرفا في كل عشرة .

وفيها أشار أبو نصر خواشاذه على بهاء الدولة بمراسلة فخر الدولة باستصلاحه واستكفافه عن مساعدة صمصام الدولة فاستصوب ذلك ورسم

---

(١) وفي تاريخ الاسلام ان اسمها « سكينة » وفيه ايضا ان هذه السنة بلغ كر القمح ستة آلاف وستمائة درهم غياثية والكارة الدقيق مائتين وستين درهما

له السفارة فيه . فاختار أبا الحسن الاقسيسي [1] العلوي للخروج في الرسالة نيابة عن أبي نصر خواشاذه وخرج الاقسيسي فقبل ان يصل الى مقصده قُبض عليه

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان بين أبي نصر خواشاذه وبين أبي نصر سابور صداقة ومخالطة (٣٦٤) فلما انحدر أبو نصر سابور الى واسط هرب الى البطيحة فوجد أعداء أبي نصر خواشاذه طريقا الى السعي فحسّنوا لبهاء الدولة القبض عليه .

فتأمل هذه الآراء الطريفة والاهواء العجيبة في تقارب ما بين القبض والاطلاق والعزل والتولية حتى صار الامر عجبا والجد لعبا على ان الحياة الدنيا لعب ولهو ولكن في اللعب مستقيم ومختلّ . وهذا من المختل الذي تخالفت أعجازه وبواديه وتناقضت أواخره ومباديه فهل ترى في جميع ما شرد من أخبار الدولة البهائية نظاماً مستقيما تحمد سلوك مذاهبه وتدبيرا جيداً ينتفع بمعرفة تجاربه ؟ كلاّ بجميعه واهي الاسباب وما يجري فيه من صواب فانما هو بالاتفاق . ونعود الى سياقة التاريخ

وفيها سار طغان والغلمان من واسط الى خوزستان

﴿ شرح ما جري عليه أمره في هذا الوجه وظفرهم بعساكر ﴾

﴿ صمصام الدولة وانهزامه من بين أيديهم ﴾

لما شارفوا السوس انهزم أصحاب صمصام الدولة عنها ودخلوها . (٣٦٥) وتقدم ارسلان تكين الكركيري في سريّة من الغلمان الى جندي سابور ودفعوا من كان بها وانتشرت الاتراك في أعمال خوزستان وعلت كلمتهم وظهرت على الديلم بسطتهم . ووصل صمصام الدولة الى الاهواز

(١) قال ياقوت في معجم البلدان . الاقساس قرية بالكوفة ينسب اليها جماعة من العلويين

وقد اجتمعت معه جيوش الديلم وبنو تميم وبنو أسد فلما حصل بدستر رحل ليلا على ان يسري فيكبس معسكر الاتراك

﴿ ذكر اتفاق سيء عاد بضد التقدير ﴾

ضل الادلاء الطريق وساروا طول ليلتهم على حيرة وأسفر الصبح عنهم وبينهم وبين معسكر الاتراك مدى بعيد . وشاهد [١] بعض طلائع طغان بسواد المسكر فكرّ اليه راجعا وأخبره وقال : تأهب لامرك فان الديلم قد صبحوك موكبا . فركب وتلاحق به الغلمان واستماد كل من كان قد ذهب ممتارا فاجتمعوا حوله فكانوا نحو سبعمائة غلام والديلم ومن معهم في ألوف كثيرة . فصعد ارسلان تكين الكركيرى تل طاؤوس فوقف عليه وقسم طغان الغلمان كراديس وأنفذ كردوسا مع يارغ [٢] وقال له : سر عرضا واخرج على الديلم من ورائهم وبإبليهم في سوادهم لنشاغلهم نحن عن امامهم فاذا حملت (٣٦٦) حملنا عليهم . فسار على ذلك ووقف طغان والغلمان بين يديه يطاردون الفرسان وزحف الديلم فملكوا التل ونزل ارسلان تكين الكركيرى عنه ووقف صمصام الدولة عليه ووقع يارغ وكردوسه على السواد وحمل على المصاف وحمل طغان والغلمان وكانت الهزيمة . ووقف سعادة وعنان صمصام الدولة في يده متحيرا ما يدرى ما يصنع فقال له يارغ بالفارسية : ما وقوفك ياحجّام خذ صاحبك وانصرف . فولى عند ذلك صمصام الدولة ومضى ولم يتمكن رجّالة [صمصام] الدولة من الهرب مع ارهاق الامر واشتداد الطلب وكدّ السير فاستأمن منهم أكثر من الفى رجل وتقطّع الباقون وغنم الاتراك غُنما عظيما

---

(١) لعله : وشعر (٢) وفي الاصل يارخ

﴿ ذكر ما دبره الغلمان فى قتل المستأمنة اليهم من الديلم ﴾

لما اجتمع الديلم المستأمنون الي خيم ضربها طغان لهم تشاور الغلمان فيهم فقالوا : هؤلاء قوم موتورون وعدتهم أكثر من عدتنا وان استبقيناهم معنا خفنا ثورتهم وان خلينا عنهم لم نأمن عودتهم . فاستقر رأيهم على القتل وطرحوا الخيم عليهم ودقوهم بالاعمدة حتى أتوا عليهم .

فكانت هذه (٣٦٧) الوقعة أخت وقعة الحلبة في كثرة من قُتل من الديلم [1] ووردت الاخبار بذلك على بهاء الدولة بواسط وأظهرت البشارة على حسب العادة فى أمثالها وسار طغان الى الاهواز فدخلها واستولى على جميع أعمالها وعادت طائفة من الغلمان الى مدينة السلام .

﴿ ذكر ما فعله بهاء الدولة عند حصوله بواسط ﴾

استقرض من مهذب الدولة مالا بعد القرض الاول واستقر بينهما في أمر البصرة ان يحدر بهاء الدولة عسكرا ويضم مهذب الدولة اليهم عددا من رجاله فجرد أبا كاليجار المرزبان لذلك فى طائفة من الجند ورتب مهذب الدولة أصحابه معهم وانحدر الجماعة .

وكان أبو الطيب الفرخان قد وصل من سيراف فى البحر وملك البصرة فواقعوه بنهر الدير وكان الظفر لهم ودخل المرزبان بن شهفيروز البصرة وخطب لمهذب الدولة بها تاليا لبهاء الدولة .

ولما ورد الخبر على بهاء الدولة بهزيمة صمصام الدولة رحل سائرا الى الاهواز وآثر ان يبتدىء بالبصرة فقصدها ونزل بها (٣٦٨)

---

(١) ووقعة الحلبة انهزم فيها قوم خرجوا من بغداد لقتال البساسيري فى سنة ٤٥٠ وقتل منهم جماعة . ليراجع الكامل لابن الاثير ٩ : ٤٤١

﴿ ذكر ما جري عليه أمر الوزارة في البصرة في هذه السنة ﴾

استوزر بهاء الدولة عند حصوله بها أبا الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه ونظر في السابع من شعبان واعتزل في الثالث والعشرين منه . وبان من ركاكة أفعاله في هذه الايام القريبة كل أمر سخيف منها انه كان في مجلس نظره يوما وهو حفل الناس وأبو العباس الوكيل حاضر فقال : ادعوا لي أبا العباس الوكيل . فقال له أبو العباس : ها أنا أيها الوزير . فتشاغل ساعة ثم قال : ألم أطلب أبا العباس فاين هو ؟ فقال : ها أنا يامولانا . فقال : نم . والحاضرون يتغامزون عليه . ومنها انه ركب الى دار الفاضل يعوده فوقف على مزملة العامة فاستسقى منها ماء . ثم لما وصل الى باب الفاضل حجب وانكفأ وعرف الفاضل حضوره فانفذ أصحابه اليه حتى لحقوه في بعض الطريق فاعادوه ودخل اليه فشكا في أثناء الحديث حاله اليه وأراه قميصا رثاً تحت ثيابه يلتمس بذلك مراعاة من بهاء الدولة ومعونة

ثم استعفى بعد أيام من النظر وشرع أبو العباس عيسى بن ماسرجس في خطبة الوزارة وراسل الفاضل أبا نصر في السفارة فيها بعد ان كان قد (٣٦٦) بذل أبو علي الحسن الانماطي لبهاء الدولة عنه بذولا ووعده بلاطمات بحملها[1] وعشرة آلاف دينار يخدمه بها

﴿ ذكر رأي سديد أشار به الفاضل على ﴾

(ماسرجس فلم يعمل به)

أشار عليه في جواب رسالته بان يلاطف أبا علي الحسن بن محمد بن نصر صاحب البريد وأبا عبد الله الحسين بن أحمد العارض ومكاتبتهما ويسألهما

---

(١) في الاصل : غملها

النيابة عنه ويخاطب أبا عبد الله العارض بسيدنا ليكون عونا له على تقرير أمره فلم يقبل . قال الفاضل : فما راعني الاحضور من أخبر بوروده ونزوله فى بعض البساتين ثم جاءنى رسوله يستقرض مني مائة دينار فحملتها اليه في الحال وعجبت من التماسه هذا القدر النزر مع ما بذل عنه [أبو على] لبهاء الدولة . ثم حضر عند بهاء الدولة وترك بين يديه دينارا ودرهما وخدمه وانكفأ فانكر بهاء الدولة ذلك من فعله فقال للانماطى : أين ماوعدتنا به ؟ فعنوان خدمته يدل على ما وراءه . فقال الانماطى : يحمل ما أعده من بعد. فمضى ذلك اليوم وغيره ولم يحمل شيأ وكاتب أبا عبد الله العارض بمولاى ورئيسى فاجتمع هو وأبو على الحسن بن محمد بن نصر على افساد أمره (٣٧٠)

﴿ ذكر ما رتباه من الحيلة في أمره حتى انحل ﴾

وضعا منصور بن سهل وكان هو العامل فى الوقت [١] على ان أشاع في البلد ان ابن ماسرجس قد بذل بذولا كثيرة فى مصادرات التجار وفتح المخازن وأخذ أمتعة المجهزين والبحرانيين [٢] فماج الناس وكادت الفتنة تثور ورفع أبو على ذلك الخبر الى بهاء الدولة وعظم الامر فى نفسه . واتفق ان الفاضل أبا نصر غاب أياما فى بعض الاشغال فخلا أبو عبد الله وأبو على ببهاء الدولة وقالا له : قد ورد هذا الرجل بيد فارغة وما وفى بشيء مما بذله والبلد على ساق خوفا منه ولا يؤمن حدوث فتنة يبعد تلافيها وأبو الحسين ابن قاطرميز يبذل ان يأخذ منه مالا يخفف به عنك اثقالا . وسهلا عليه الامر فى ذلك فاحالهما على الفاضل أبى نصر فى الجواب وقال : اجتمعا به

(١) هو عامل البصرة فى حدود سنة ٤٠٠ : ارشاد الاريب ٢ : ١٢٢ (٢) كانه يريد : البحريين

اذا عاد وقرّرا الامر . فلما عاد الفاضل اجتمعا معه وقالا : ان الملك قد أمرنا بالقبض على أبي العباس . فقال : لأيّة حال . قالا : لما ظهر من نفور الرعية منه ولنكوله عما كان بذل عنه . فقال لهما : هذا مما لا يسوغ فعله وكيف يصرف اليوم رجل مستدعى بالامس بغير سبب يقوم به العذر وهل يجلب ذلك الا سوء المقالة من الناس فينا [٣٧١] ونسبتهم ايانا الى سخافة الرأى وضعف النحيزة وان خدمة هذا الملك لا تستقيم على أيدينا ؟ وأنا أحضر عند الملك وأعرّفه ما في ذلك . فقالا له : تعرفه ماذا ؟ وقد أنفذنا أبا الحسن الكراعى كاتبك وأصحابك الى الرجل ووكلنا به . فوجم أبو نصر وأطرق ونفذ السهم وسلم الرجل الى الحسن بن قاطرميز فطالبه واستقصى عليه

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر صمصام الدولة بعد انصرافه من الوقعة ﴾

لما انصرف به سعادة من المعركة سار عائدا الى الاهواز فلما عبر به وادى دستر كاد يغرق فاستنقذه أحد بنى تميم ووصل الى الاهواز فى عدد قليل من الديلم وترحّل عنها طاليا ارجان . فتلقاه أبو القاسم العلاء بن الحسن وحمل اليه من الثياب والرحل ما رمّ به شعثه وسيّره الى شيراز ومعه الصاحب أبو على ابن أستاذ هرمز وتلقته والدته بما يجب تلقيه به من المراكب والثياب والتجمل . وكان بينها وبينه نفرة فلما رأته بكت بكاء شديدا وكان صمصام الدولة فى عمارية وعليه ثياب سود حزنا وكآبة لا يطعم فى الايام الا اليسير من الطعام فسكنت [٣٧٢] والدته منه وقالت له : مازالت الملوك تغلب وتغلب واذا سلمت المهجة رجوت الأوبة . فغيّرت ثيابه وأصلحت حاله وحصل بشيراز ثم تلاحق الناس به وتكامل الديلم عنده

من بعد . ولم نجد في بقية شهور هذه السنة ما يستفاد منه تجربة [١]

﴿ ودخلت سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ﴾

فيها توفى الصاحب أبو القاسم اسمعيل بن عبّاد بالري ونظر فى الامور بعده أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبي ويلقب بالكاف الاوحد

﴿ شرح ما جرت عليه الحال في ذلك ﴾

لما اعتلّ ابن عباد كان أمراء الديلم وكبراء الناس يروحون الى بابه ويغدون ويخدمون بالدعاء وينصرفون . وعاده فخر الدولة عدّة مرات فيقال انه قال لفخر الدولة أول مرة وهو على يأس من نفسه : قد خدمتك أيها الامير خدمة استفرغت قدر الوسع وسرتُ فى دولتك سيرة جلبتْ لك حسن الذكر بها فان أجريت الامور بعدى على نظامها وقررت القواعد على أحكامها نسب [٢] ذلك الجميل السابق اليك ونسيت أنا فى أثناء ما يأتى به عليك ودامت (٢٧٣) الاحدوثة الطيبة لك . وان غيرت ذلك وعدلت عنه كنت أنا المشكور على السيرة السالفة وكنت أنت المذكور بالطريقة الآنفة وقدح فى دولتك ما يشيع فى المستقبل عنك . فاظهر فخر الدولة

---

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة : فيها قوى أمر العيارين ببغداد وشرع القتال بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة وظهر المعروف بعزيز من أهل باب البصرة واستفحل أمره والتزق به كثير من المؤذين وطرح النار في المحال وطلب أصحاب الشرطة ثم صالح أهل الكرخ وقصد سوق البزازين وطالب بضرائب الامتعة وجبي الاموال وكاشف السلطان وأصحابه وكان ينزل الى السفن ويطالب بالضرائب فأمر السلطان بطلب العيارين فهربوا عنه

(٢) وفي الاصل . نسبت . والصواب في ارشاد الاريب ١ : ٧٠ في ترجمة أبي العباس الضبي رواية عن هلال الصابي

قبول رأيه .

وقضي ابن عباد نحبه في يومه . وكان أبو محمد خازن الكتب ملازما داره علي سبيل الخدمة له وهوعين لفخر الدولة عليه فبادر باعلامه الخبر فانفذ فخر الدولة ثقاته وخواصه حتى احتاطوا على الدار والخزائن . ووجدوا كيسا فيه رقاع أقوام بمائة وخمسين الف دينار مودوعة له عندهم فاستدعاهم وطالبهم بالمال فاحضروه وكان فيه ما هو بختم مؤيد الدولة . فرجمت الظنون في ذلك فمن مقبح لآثاره ينسبه الى الخيانة فيه ومحسن لذكره يقول « انما أودعه مؤيد الدولة لاولاده » ونقل جميع ما كان في لدار والخزائن الى دار فخر الدولة .

وجهز ابن عباد وأخرج تابوته وقد جلس أبو العباس الضبي للصلاة عليه والعزاء به فلما بدا على أيدى الحاملين قامت الجماعه اعظاما له وقبلوا الارض ثم صلوا عليه وعُلق بالسلاسل في بيت الى ان نقل الى تربة له باصفهان

وقال القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد [1] انى لا أرى الترحم عليه لانه مات [٣٧٤] عن غير توبة ظهرت عليه فنسب عبد الجبار في هذا القول الى قلة الرعاية . ثم قبض فخر الدولة عليه وعلى المعلقين به ووفر أمرهم على ثلاثة آلاف الف درهم وباع في جملة ما باع الف طيلسان والف ثوب من الصوف المصرى

---

(١) وردت هذه الحكاية في ارشاد الاريب ١ : ٧٠ وفي ترجمة الصاحب ٢ : ٣٣٥ والقاضي هو ابن الخليل الاسداباذي المعروف بالهمداني ذكر أبو بكر الخطيب في تاريخه انه كان ينتحل مذهب الشافعي في الفروع ومذهب المعتزلة في الاصول وله في ذلك مصنفات ولي القضاء بالري وتوفي سنة ٤١٥ . كذا في الانساب للسمعاني ص ٣٢

فهلاّ نظر هذا القاضي في شأن نفسه ثم أفتى في شأن غيره مثل ابن عباد الذي قدم قدمهُ وأثل نعمته وراش جناحه ومهد أحواله ! صدق المثل « تبصر القذى في عين غيرك وتدع الجزع المعترض في حلقك »[1] فرحم الله من أبصر عيب نفسه فشغل بستره عن عيب غيره .

وبلغنا ان رجلا من الصالحين لقي أخا له فقال له : اني أحبك في الله . فقال الآخر : لو نظهر لك عيوبي لابغضتني في الله . فقال له : عيبي يشغلني عن تأمل عيب غيري . نسأل الله توفيقنا بما يعصم جوارحنا وقلوبنا وصنعا جميلا يستر مساوينا وعيوبنا .

وقلد فخر الدولة أبا الحسن ابن عبد العزيز قضاء القضاة وطالب أبا العباس الضبي تحصيل ثلاثين الف الف درهم من الاعمال ومن المتصرفين فيها وقال له : ان الصاحب أضاع الاموال وأهمل الحقوق وقد ينبغي ان يستدرك ما فات منها . فامتنع أبو العباس من ذلك مع تردد القول فيه . وكتب أبو علي ان حموله يخطب الوزارة وضمن عنها ثمانية آلاف الف درهم وأجيب الى (٣٧٥) الحضور فلما قرب قال فخر الدولة لابي العباس : قد ورد أبو علي وقد عزمت على الخروج في غد لتلقيه وأمرت الجماعة بالترجل له فلا بد ان تخرج اليه وتعتمد مثل ذلك معه . فثقل ذلك على أبي العباس وقال له خواصه ونصحاؤه : هذا ثمرة امتناعك عليه وقعودك عما دعاك اليه وسيكون لهذه الحال ما بعدها . فراسل فخر الدولة وبذل ستة آلاف الف درهم عن اقراره على الوزارة واعفائه من ان يلقى أبا علي وخرج فخر الدولة وتلقاه ولم يخرج أبو العباس . ورأى فخر الدولة ان من الصلاح الاشراك

(١) عبارة المؤلف أقرب الى الموجود في التاريخ منها الى الموجود في الاحياء

بينهما فى النظر فسامح أبا علي ابن حمولة بالفي الف درهم من جملة الثمانية التي بذلها وسامح أبا العباس بمثلها من الستة وقرر عليهما جميعا عشرة آلاف الف درهم وجمع بينهما في النظر وخلع عليهما خلعتين متساويتين ورتّب أمرهما على ان يجلسا في دست واحد ويوقعا جميعا فيوما يوقّع هذا ويعلّم ذاك ويوما يوقع ذلك ويعلم هذا ووقع التراضي بذلك ونظرا في الاعمال .

وقبضا على أصحاب ابن عباد وتتبعا كل من جرت مسامحة باسمه في أيامه وقررا المصادرات فى البلاد وأنفذا أبا بكر ابن رافع الى استراباذ ونواحيها بمثل ذلك فقيل انه جمع الوجوه وأرباب الاحوال وأخّر الاذن لهم [٣٧٦] حتى تعالى النهار واشتد الحر ثم أطعمهم طعاما أكثر ملحه ومنعهم الماء عليه وبعده وطالبهم بكتب خطوطهم بما يصححونه فلم يزل يستام عليهم وهم يتلهفون عطشا الى ان التزموا عشرة آلاف الف درهم .

واجتمع لفخر الدولة في الخزائن والقلاع ما كثّره المقالون ثم تمزّق بعد وفاته فى أقرب مدة فلم يبق منه بقية . وكذلك مال كل ثروة ذميمة المكاسب ومصير كل زهرة خبيثة المنابت فلئن عمر خزائنهُ لقد خرب محاسنه ولئن جمع المال الجزيل لقد ضيع الذكر الجميل . ثم لم يحظ من ذلك الا بالاوزار التى احتقبها والآثام التى اكتسبها وقبح الاحدوثة التى علقت باخباره سماتها وبقيت على الايام عظاتها اذ لم يبق من عظامه رُفاتها . وما يغني عنه ماله اذا تردّي فياندم النادم اذا ترك ما اكتسبه وراء ظهره وانقلب بثقل الوزر وسوء الذكر الي قبره . وأصعب من ذلك ما بعده « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » .

وفيها أمر صمصام الدولة بقتل من بفارس من الاتراك وتتبع قوم منهم

بشيراز وأجفلت طائفة منهم فعاثوا في بلاد فارس فجرد صمصام الدولة اليهم من دفعهم عنها وانصرفوا الى كرمان وبها أبو جعفر استاذ هرمز فدفعهم أيضا فدعتهم الضرورة (٣٧٧) الى قصد بلاد السند واستأذنوا ملكها فى دخول بلده

﴿ ذكر الحيلة التى عملها صاحب السند على الاتراك حتى قتلهم ﴾

أظهر لهم القبول وخرج لاستقبالهم ورتب أصحابه صفين وهم رجالة وواقفهم على الايقاع بهم اذا دخلوا بينهم ففعلوا ذلك ولم يفلت منهم الا نفر حصلوا بين القتلى وهربوا تحت الليل

وفيها توفى أبو نصر خواشاذه بالبطيحة وسبب حصوله بها انه لما قبض عليه أخرج فى الصحبة الى واسط واعتقل بها فتوصل الى الهرب . قال صاحب الخبر [1] : فاذكر وقد انحدرت الى مهذب الدولة واجتمعت مع أبى نصر فرأيت كتب فخر الدولة وصمصامها وبهائها وبدر بن حسنويه اليه يستدعيه كل واحد منهم ويبذل له من المعيشة والاحسان ما يرغب فى مثله لكن فخر الدولة قال له فى كتابه : لعلك تسيء الظن بمعتقدنا للقبيح الذى قدمته فى خدمة عضد الدولة عندنا وما كنا لنؤاخذك بطاعة من قدمك واصطنعك ومناصحة من كان (٣٧٨) يصنعك ويرفعك وأن نعتد لك من وسائلك لم نجعله ذنوبك [2] وقد علمت ما عملنا [3] به أبو القاسم اسمعيل ابن عباد وانا طوينا جميع ما كان بيننا وبينه واستأنفنا معه من الاكرام والتفويض ما لم يقدره ويظنه . ولك علينا عهد الله وميثاقه فى أعاننا من كل ما تخافه وتحذره وانا لك بحيث تحبه وتؤثره فان اردت الخدمة فاسلك الى

---

(١) وهو هلال الصابى (٢) الجملة محرفة (٣) لعله : عاملنا

أعلى رتبها وأرفع درجها وان رأيت الاعتزال والدعة أوجبنا لك مائة الف درهم معيشة من أصفهان ووفرناك على المقام في دارك بها . فقلت له : فالى أي جهة ميلك . فقال : ما كنت أنفر الا من جهة فخر الدولة وقد وثقت به ولم يعلق قلبي الا به وأنا عازم على قصد الرى عند ورود من أستدعيه من أصحاب بدر بن حسنويه . فعاجلته المنية المريحة من الحل والترحال القاطعة للحاجات والاشغال

وفيها ورد الخبر بمسير العلاء بن الحسن والديلم من ارجان ووفاة طغان بالاهواز فسار بهاء الدولة على سمت الاهواز

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر مع العلاء بن الحسن واستيلائه على الاهواز ﴾

لما توفى طغان الحاجب كوتب بهاء الدولة بخبره وبما عول عليه الغلمان[(٣٧٩)] وما حدثوا به أنفسهم من العود الى بغداد فانزعج لذلك وعلم ما فى أثنائه من ذهاب الدولة مع استمداد العلاء للمقارعة وقدم تسيير أبى كاليجار المرزبان بن شهفيروز الى الاهواز للنيابة عنه ورم العسكر بها وكان بينهما تدنما[(١)] في جميع الامور مستقلا للتوقيع والتدبير. وأنفذ أبا محمد الحسن بن مكرم الى الفتكين الخادم للمقام بعوضه وكان حصل برامهرمز منصرفا مرتين الى عساكر فارس فلم يستقر بالفتكين قدم وانكفأ الى الاهواز وكوتب أبو محمد ابن مكرم بالنظر في الاعمال والجد فى استخراج الاموال وارضاء الجند . وقرب العلاء بن الحسن فعرج على عسكر مكرم ونزل بهاء الدولة بطلا وترددت بينه وبين العلاء مراسلات ومكاتبات سلك فيها العلاء سبيل الليه والاطماع والمكر والخداع ثم سار على نهر المسرقان

---

(١) لعله : وكان بينهما قديما

لازماله الى ان حصل بخان طوق. ووقع الحرب بينه وبين أبي محمد ابن مكرم والفتكين ومن فى جملتهما من الغلمان وصدق الفريقان وزحف الديلم بين البساتين والنخيل حتى دخلوا البلد ودفعوا أبا محمد والفتكين منه . وأرسل أبو محمد والفتكين الى بهاء الدولة وأشاروا عليه بالعبور والبدار فتوقف عن ذلك ووعد وسوّف ثم أمدّهما بثمانين غلاما من غلمان داره مع خدم للخيل فعبروا وحملوا على الديلم من ورائهم بغرّة الصبوّة وقلة التجربة فافرج الديلم لهم حتى توسطوهم ثم انطبقوا عليهم [٣٨٠] فقتلوهم . وعرف بهاء الدولة ما جرى على غلمانه فضعفت نفسه وهمّ بالهزيمة وخاف ان يظهرها فيطمع فيه بنو أسد فتقدّم بان تُسرج الخيل ويطرح عليها السلاح وتحمل الاثقال وأظهر انه يقصد الاهواز . فلما رتب ذلك جميعه ركب وأخذ سمت الاهواز قليلا ثم عطف فتوجه تلقاء الجزيرة وأمن ما خافه من اختلاط العسكر عند الهزيمة وتعسف فى طريقه حتى عاد الى عسكره بظاهر البصرة

﴿ ذكر ما جري عليه أمر أبي محمد ابن مكرم والغلمان ﴾

لما عرف أبو محمد والغلمان خبر بهاء الدولة في انصرافه ساروا الى عسكر مكرم وتبعهم العلاء بن الحسن والديلم ورفعوهم عنها فارتفعوا ونزلوا براملان بين عسكر مكرم ودستر . وتكررت الوقائع بين الفريقين مدة لان الاتراك كانوا يركبون الى باب البلد ويخرج الديلم اليهم ويقاتلونهم قتال المحاجزة لا المناجزة ومع الاتراك دُستر وسوادها يمتارون منها . ثم سار الاتراك الى رامهرمز ومنها الى ارجان واندفع من كان فيها من بين أيديهم واستولوا عليها واستخرج أبو محمد لهم الاموال منها وأقاموا بها ستة [٣٨١] أشهر ثم كروا راجعين الى الاهواز

وبلغ العلاء خبرهم حين قربوا فانفذ الى قنطرة اربق من قطعها ووصل أبو محمد والغلمان اليها فطرحوا الاجذاع وأعمدة الخيم عليها وعبروها وحصلوا مع الديلم على أرض واحدة ونزلوا بالمصلى وخيّم العلاء نحو شهرين ثم رحل الاتراك من معسكر مكرم وتبعهم العلاء فوجدهم قد امتدوا واسطا وكان العلاء بن الحسن قد رتب مناجزة أبي جعفر بالسوس عند مصير الاتراك الى ارجان وفرّق مقطعي كل كورة فيها .

فلما عاد بهاء الدولة الى واسط على ما يأتي ذكره ولم يبق بينه وبين الديلم من يحول دونه جرّد قُلّج في عدة من الغلمان وسيره الى السوس . وكتب الى أبي محمد ابن مكرم ومن فى جملته من الغلمان بالتوقف عن الاتمام فلقيهم قلج والكتب في الطريق فرجعوا وحصل المعسكر جميعه مع أبي محمد وأقاموا بيصنى

وفيها عاد أبو القاسم على بن أحمد من البطيحة الى حضرة بهاء الدولة للوزارة

﴿ ذكر ما جرت عليه حاله فى هذه النوبة ﴾

قال الاستاذ الفاضل أبو نصر : لما عاد بهاء الدولة الى معسكره بظاهر البصرة[٣٨٢] وقفت أموره فترددت بينه وبين أبي القاسم مراسلة في العود الى خدمته فاستقر ذلك بوساطة مهذب الدولة بعد ان اشترط على بهاء الدولة انه ان مشى الامر على يديه والا أعاده محروسا الى البطيحة . وكان السفير بينهما الشريف أبو أحمد الموسوي ولم أعرف ذلك الا بعد استقراره وكنت في [illegible] علة واستأذنت بهاء الدولة في الاصعاد الى بغداد للمداواة فلم يأذن فلما ورد الرجل ومضى على وروده ثلاثة أيام راسلني الملك وقال : كنت

استأذنتنا فى الاصعاد الى بغداد للمداواة وقد أذنا لك . فعلمت ان هـذا القول على أصل وان الغرض ابعادى فقبلت الارض وقلت : السمع والطاعة وانصرف الرسول

﴿ ذكر رأى سديد رآه الفاضل في استمالة قلب بهاء الدولة ﴾

قال الفاضل : أخذت دواة ودرجا وأثبتّ ما كان لى بالبصرة من صامت وناطق حتى لم أترك الا ما كان على جسدى وحملت جميعه على التذكرة به الى الخزانة وقلت : هذا ما أملكه وأنا مع اصعادى مستغن عنه والخزانة مع كثرة الخرج محتاجة اليه . واستأذنت في الحضور للوداع فوقع ذلك[٣٨٣] موقعا جميلا وأذن لي في الحضور . وجاءني فى أثناء ذلك الشريف أبو أحمد الموسوي وكان يتهمني بالميل الى الشريف أبي الحسن محمد بن عمر ويستوحش مني لاجله فقال : قد بلغني انك تصعد الليلة الى بغداد وما كنت أوثر البعد عن سلطانك ولو وقفت وتركتني أتوسط ما بينك وبين هذا الوزير الوارد وأتوثق لكل واحد من صاحبه لكان أولى . فقلت : قد كنت على العزم الذى بلغ الشريف واذ قد رأى لى الصواب في المقام أقمت يومين [أو] ثلاثة معولا على تفضله فيما يقرره . وأردت بهذا القول كتمان حقيقة أمرى عنه اشفاقا من ان يعرف الوزير خبرى فراسل بهاء الدولة فيما تعرفني به[١] وربما بلغ غرضه فى عاجل الحال .

وانصرف الشريف أبو أحمد ولم تملني الارض حتى مضيت الى المضرب وودعت بهاء الدولة وقبلت الارض وبكيت فبكى لبكائي وقال : لا تشغل قلبك فاني لك على أجل نية وما أنفذتك الا الى مملكتي وأين كنت فانك

---

(١) لعله : فيراسل بهاء الدولة فيما يعرفني به

على بال من مراعاتي وملاحظتي . وخرجت فاتبعني بعض خواصه وقال : ان الملك يأمرك أن تتوقف ليسلم اليك رهونا تحملها الى مهذب الدولة وتستقرض عليها مهما أمكنك . فاشفقت من أن أتربث فتتجدد من الوزير في أمري مراسلة بهاء الدولة بما أتقيه فقلت للرسول : تقول لمولانا اني قد أحسست (٣٨٤) بأول دور الحمى وأنا أصعد وأتوقف بنهر الدير الى أن يلحقني ما يرى إنفاذه . فدخل وخرج وقال : امض فانا نحمل على أثرك ما يصحبك . فاغتنمت الفرصة وأسرعت ولم أتوقف ووصلت الى واسط فما استقررت بها حتى ورد على الطائر كتاب من عبد العزيز بن يوسف يقول فيه ان الرجل (يعني الوزير أبا القاسم على بن أحمد) وقف أمره وعاد الى البطيحة . فبادرت في الحال الى الاصعاد علما بان الكتب ستترد بالعود الي فما بلغت فم الصلح حتى صاح بنا ركابيان وردا من البصرة ومعهما كتاب بهاء الدولة الي بالانحدار . فاعتذرت في الجواب بقربي من مدينة السلام واني أدخلها وأحصل من المال والثياب ما أعلم ان الحاجة داعية الى تحصيله وأعود .

فاما سبب فساد أمره فانه عامل أبا العباس الوكيل بما أوحشه به واستشعر أبو عبد الله العارض وأبو الفرج الخازن منه واجتمعت كلمة الحاشية عليه وتطابقوا على فساد أمره خوفا من بوادره . وعول بهاء الدولة على القبض عليه فذكره الشريف أبو أحمد المهد الذى استقر مع مهذب الدولة بالقبيح وأخرج من اليد فعند ذلك فسح في عوده مع الشريف أبي أحمد الى بغداد .

﴿ ودخلت سنة ست وثمانين وثلاثمائة (٣٨٦) ﴾

وفيها ملك لشكرستان بن ذكي البصرة وانصرف أصحاب بهاء الدولة عنها

﴿ شرح الحال في ذلك ﴾

كان لشكرستان ذا نفس أبية وهمة عالية ولم يزل يلوح من شمائله في بدء أمره ما يدل على ارتفاع منزلته وقدره وهو من جملة من انحاز عن بهاء الدولة الى صمصام الدولة وحصل مع العلاء بن الحسن بالاهواز فلما انصرف الاتراك الى ارجان على ما تقدم ذكره حدثته نفسه بالخروج الى البصرة ودفع بهاء الدولة عنها والتمس من العلاء بن الحسن مساعدة على ذلك فاحتج العلاء عن افراد بعض العسكر عن نفسه لحاجته الى الاستظهار بكثرة العدد . فبينا تردد الخطاب بينهما اذ ورد اليهما نحو أربعمائة رجل من الديلم مستأمنين من ديلم بهاء الدولة فضمهم لشكرستان اليه وفرّق فيهم خمسة آلاف دينار من ماله وسار بهم الى حصن مهدي . وجرد بهاء الدولة أبا مقاتل خمارتكين البهائي لقتاله فجرت بينهما مناوشات واعتصم الديلم بالبلد ولم يقدر خمارتكين على مواقعتهم فيه . فلما كان في بعض الايام عاد منهم وخرج لشكرستان على أثره وحمل نفسه على الصعب وسار على التعسف (٣٨٦) حتى حصل هو ومن معه بالشكر اباذ . وتسلل اليه من بقي مع بهاء الدولة من الديلم ولم تكن لاصحاب بهاء الدولة قدرة عليهم لاعتصامهم بالبساتين والمياه التي يضيق مجال الفرسان فيها ثم ضاقت عليهم الميرة وانقطعت عنهم المادّة فقطعوا النخل وأكلوا جمّارها وأكلوا الزرع

وكان أبو العباس ابن عبد السلام وطائفة من أهل البصرة مائلين الى

بهاء الدولة ونزلوا بازاء الديلم يصدقونهم القتال . وكان أبو الحسن ابن أبي جعفر العلوي مائلا الي لشكرستان بن ذكي مضادة لابن عبد السلام لما بين الفريقين من المباينة فحمل العلوى الى الديلم فى السماد دقيقا أمارهم به ونفّس عنهم كربهم وعرف بهاء الدولة ذلك وظفر ببعض السفن التى حملت فيها الميرة فانفذ من يقبض عليه فهرب وكبست داره ونُهبت . وطلبت هذه الطائفة فاستوحشوا وصار منهم عدد كثير مع أبي جعفر الى لشكرستان وقويت بهم شوكته وجمعوا له سفنا وحملوا الديلم فيها على ركوب أخطار وشدائد حتى جعلوهم على أرض البصرة ووافوا بهم الى محالهم وواقعوا أصحاب بهاء الدولة فهزموهم ونهبوا دور بني عبد السلام وطائفته وخربوها وجلا [1] ناس كثير من البصرة ونبا ببهاء الدولة مكانه (٣٨٧) وخرج البلد عن يده وأصعد الى واسط على الظهر فوصل اليها وقد تقطع عسكره وتمزّق سواده .

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر لشكرستان بالبصرة الي أن ﴾
﴿ استقر ما بينه وبين مهذب الدولة من الصلح ﴾

لما حصل لشكرستان بالبصرة بطش باهلها فقتل وسفك وخرج الناس على وجوههم لفرط الهيبة الواقعة فى نفوسهم ومد يده الى أموال التجار فخرب البلد وتشرد كل من فيه وكتب بهاء الدولة الى مهذب الدولة يقول له: اذا كان لشكرستان قد غلب على البصرة فانت أحق بها منه . فاستعد مهذب الدولة للقتال وجرد أبا عبد الله ابن مرزوق اليه فى عدة كثيرة من الرجال وكاتب أبا العباس ابن واصل وكان بعبّادان وغيره من أصحاب الانهار

---

(١) وفى الاصل : وخلا

بالاحتشاد والاستظهار والاجتماع مع ابن مرزوق على حرب لشكرستان والمحدر ابن مرزوق ودفعه عن البصرة .

فاختلفت الرواية في دفعه عنها فقيل ان أهل البصرة قويت نفوسهم فوثبوا على الديلم وانصرف لشكرستان من غير حرب الى أسافل دجلة وقيل بل عقد جسرا [٣٨٨] في الموضع المعروف بالجل وقال : الديلم يرمون كل من يرد من نهر عمر . وجعل أمامه سلسلة حديد ممتدة من احدى حافتي نهر ابن عمر الى الاخرى ليدفع عن الجسر ما يرسل على الماء من شاشات القصب المضرمة بالنار تغوص بثقلها فتعبر الشاشات عليها فتفرقها . فوافى عسكر البطيحة من نهر ابن عمر وجمعوا قصباً كثيراً بعرض النهر وأرسلوه مضرما بالنار وجعلوا سفنهم التي فيها مقاتلتهم من ورائه فوقع على السلسلة وتقطعت وعلى السفن الصغار فاحترقت ووصل الي الجسر ودخل عسكر البطيحة البصرة يقدمهم ابن مرزوق وعسكره الي الجزيرة . وحصل لشكرستان بسوق الطعام وهي فسيحة واستمر القتال بين الفريقين وكان للديلم الاستظهار في الحرب ولهؤلاء قطع الميرة . فراسل لشكرستان مهذب الدولة وسأله المصالحة والموادعة وبذل له الطاعة والمتابعة على ان يقيم له الخطبة ويسلم ابنه اليه رهينة فمال مهذب الدولة الى الصلح وسلم لشكرستان ابنه أبا العز واتصل الصفاء واستمر الوفاء زمانا طويلا

وأظهر لشكرستان طاعة صمصام الدولة وبهائها وأمّر نفسه واعتضد بما عقده بينه وبين مهذب الدولة من المودة ودمف أهل البصرة مدة ثم عدل فيهم وأحسن السيرة بهم وخفف [٣٨٩] الوطأة عنهم بعد ان قرر نصف

الشر عليهم وكان يؤخذ من سائر ما يتبايع حتى من المأكولات وعاد البصريون الى دورهم ومنازلهم . والذي تكثر به العشرة وتطول فيه الفكرة ويستفاد منه التبصر وتتمم بمثله التجربة خامل حالي بهاء الدولة ومهذبها كيف اختل أمر ذلك وهو عريق في الملك صاحب مملكة لسوء سيرته ! وكيف استقام أمر هذا وهو دخيل فى الامارة صاحب بطيحة لحسن طريقته :

لقد ضل من ظن ان الملك يستقيم بالظلم والمال يثمر بالجور أو الارتفاع يكثر بالحيف أو الضرع يدرّ بالعسف لا ورافع السماء ومؤتي الملك من يشاء ما يصلح الملك الا باحسان السيرة واحكام السياسة وترتيب الخاصة وتهذيب العامة والهيبة فى الجند والعدل فى الرعية . وهيهات ان يصلح الملك تدبير مملكته الا بعد تدبير مدينته أو تدبير مدينته الا بعد تدبير داره أو تهذيب رعيته الا بعد تهذيب جنده أو تهذيب جنده الا بعد تهذيب حاشيته أو تهذيب حاشيته الا بعد تهذيب نفسه . ولولا انا لا نباهي أصحاب عصرنا أطال الله بقاءهم من الملوك والوزراء الماضين الا كلّ من كان عالي الرتبة فى العلاء والمجد طيب الاحدوثة بالثناء والحمد لاوردنا في هذا الفصل ما تتبين به مقادير[(٣٩٠)] التفاوت والفضل ويقوي معه الدليل على ما قدمناه فى صدر كتابنا هذا من تفضيل زماننا بهم . لكننا لا نقيس الفاضل بالناقص ولا المخدج بالكامل ولا العاجز بالنادر ولا النابي الباتر لان الشيء يقاس بما يناسبه ويشبَّه بما يقاربه . ونعود الى سياقة التاريخ

وفيها عاد أبو نصر سابور بن أردشير الى الوزارة ونظر نحوا من شهرين ثم هرب

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر أبي نصر سابور في هذه النوبة ﴾

كان بهاء الدولة أنفذ أبا عبد الله العارض وأبا نصر الفاضل الى مهذب الدولة واستقرضا منه قرضا وتطيبا الى سابور وقررا معه العود الى الوزارة . فلما حصلا بالبطيحة وقرر الامر مع سابور حضرا عند مهذب الدولة ليعلماه بحال ما استقر فقال مهذب الدولة : أنتما في طرف والملك في آخر وأخرج كتابا بخط بهاء الدولة يسأله انفاذ أبي القاسم علي بن أحمد فلما شاهداه وجما وقالا : قد يجوز أن يكون هذا قد بدا له بعدنا رأي آخر . وانصرفا فقال أبو عبد الله العارض للفاضل : ما فعل الملك ما فعله الا على أصل والصواب القعود هاهنا والاخذ بالحزم . فقال له الفاضل : لا يضعف [٣٩] قلبك واصعد معي ودعني ألقى الملك وأحل ما عقد بعدنا معه فاني أعرف باخلاقه منك ومتى تأخرنا بلغ أعداؤنا منا مرادهم . وما زال به حتى أصعد معه فلما وصلا الى بهاء الدولة قال لهما : ما وراءكما . قالوا : كنا قررنا مع مهذب الدولة أمر القرض ومع سابور أمر النظر فوافى كتابك باستدعاء أبي القاسم علي بن أحمد فانتقض جميع ذلك وانصرفنا بعد النجاح بالخيبة . فلما سمع ذلك وجم (ولم يكن لاكثر ما قالاه من أمر القرض حقيقة لكنهما قصدا بذلك تقديمه) فقال لهما : ما كتبت ما كتبته الا بما ألزمنيه أبو أحمد الموسوي واذا كنتما قد قررتماه فالرأي العدول اليه . وأمر بكتب الكتب الى مهذب الدولة بالشكر على ما أورداه عنه وباخراج سابور الى الحضرة [١] وتطييب نفسه وحثه على البدار . وانصرف الفاضل الى داره ليغير ثياب السفر وواقف

(١) وفي الاصل : الى سابور

أبا عبد الله على المقام بحضرة بهاء الدولة الى ان تنفذ الكتب لئلا يدخل اليه من يثنيه .

ونفذت الكتب وورد أبو نصر سابور وقد استوحش الشريف أبو أحمد الموسوى منه لما أسلفه اليه فقال لبهاء الدولة : بيني وبين العلاء بن الحسن مودّة وأنا أخرج اليه والى صمصام الدولة وأستأنفُ أمر الصلح . فمال بهاء الدولة الى قوله واستروحت (٣٩٣) الجماعة الى بعده وأذن له في ذلك ونظر سابور الى الامور

وبدأ أبو القاسم على بن أحمد يكتب الى بهاء الدولة ويشرع معه في تقلد الامر وبلغ أبا [1] نصر من ذلك ما انزعج منه وأراد الاختبار لما عند بهاء الدولة فيه

﴿ ذكر الحيلة التى عملها سابور فى اختبار بهاء الدولة ﴾

خلا به وقال له : أيها الملك قد علمت انني قصير اللسان فى خطاب الجند وقد استشعروا فيّ الطمع واستشعرت منهم الخوف ولو استدعيت أبا القاسم على بن أحمد وعوّلت عليه في منابذتهم ومعاملتهم ووفرتني على جمع المال واقامة وجوهه لكان ذلك أدعى الي الصواب . فقال له بهاء الدولة : هذا هو الرأى وقد أردت أن أبدأك به فاذ قد سبقت الى القول فيه فهذا كتاب أبى القاسم يخطب الخدمة وقد تقرر الامر معه على هذه القاعدة . فسمع أبو نصر ذلك وانصرف من حضرته وأطلق يده للتوقيعات في الجند ولم يبق وجها الا أحال عليه أكثر مما فيه فلما علم انه لم يبق بواسط ما تمتد اليه

---

(١) فى الاصل : أبو

يد فارق مكانه وهرب الى الصليق وكتب بهاء الدولة الى أبي القاسم يستدعيه. (٣٩٣)

وأنفذ اليه أبا الفضل الاسكافي رسولا بما بذله له من بسط اليد والتمكين وانحدر أبو الفضل واجتمع معه وأصعدا. فلما حصلا في بعض الطريق عدل أبو القاسم علي بن أحمد عن السمت فقال له أبو الفضل: الى أين أيها الوزير قال: الى حيث أبعد به عنكم أما علم بهاء الدولة ان أبا نصر فرّق أمواله وأفسد أمره وأبطل مملكته؟ وانما رغبت فيما رغبتُ فيه أولا لانه كان هنالك ما يمكن تمشية الامور به فاما الآن فلم يبق الا شجي الحلوق وقذى العيون ولقاء المكروه فما أنشط لذلك. وفارقه ومضى الى الجبل وبقي مجلس النظر خاليا حتى ورد أبو العباس عيسى بن ماسرجس ونظر في الامور

وفيها استكتب القادر بالله رضوان الله عليه أبا الحسن علي بن عبد العزيز حاجب النعمان (١)

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان رجلان من التجار خرجا للحج فتبايعا عقارا في الكرخ وهما بمكة وأشهدا انسانا من الذين حضروا الموسم وردّ (٢) المشتري الى مدينة السلام فحاول ثبوت كتابه عند القضاة الاربعة وهم أبو عبدالله الضبي وأبو محمد ابن الاكفاني وأبو الحسين ابن معروف وأبو الحسين الجوزي (٣٩٤) بشهادة من شهد من التجار. وقد كان القادر بالله رضى الله عنه أمرهم ان لا يقبلوا في

(١) ليراجع قصة صرف القادر بالله ابن حاجب النعمان عن كتابته بابي الحسن أحمد بن [illegible] الذي كان يكتب له عند مقامه بالبطيحة. ارشاد الاريب ١: ٢٣٨ — ٢٣٧ (٢) لعله: ثم ورد

مثل ذلك الا شهادة الشهود المعدّلين . فنجّز المشتري كتبا من بهاء الدولة الى القضاة باستماع قوله والى الشريف أبي الحسن محمد بن عمر والوزير أبي منصور ابن صالحان (وكان نائبا عن بهاء الدولة ببغداد) بالزام ذلك فخاطباهم فقالوا السمع والطاعة : لا أبا عبد الله الضبي فانه امتنع واحتج بما رُسم له من دار الخلافة . وغاظ الشريف أبا الحسن فعله فأطلق لسانه بالوقيعة فيه . وفارق الضبي داره بالكرخ وعبر الى الحريم معتصما به . وسمع أبو محمد الاكفاني شهادة القوم وعزم القاضيان الآخران على مثل ذلك فاستدعوا الى دار الخلافة وأغلظ القول عليهم واعتيقوا الى آخر النهار ثم اذن لهم في الانصراف والعود من غد

وكان قوم من الشهود زكوا التجار الذين شهدوا في الكتاب منهم ابن النشاط وأبو اسحق بن أحمد الطبري فطعن الضبي عليهم عند الخليفة فخرج التوقيع باسقاطهم وأمر بقراءته على المنبر في المسجد الجامع . وعرف الشهود ذلك ومضى أبو اسحق الطبري الى أبي الحسن محمد بن عمر مستصرخا وكان خصيصا . وبلغ أبا الحسن علي بن عبد العزيز ما يجري من الخوض في الامر .

﴿ ذكر تدبير لطيف توصل (٣٩٥) به ابن حاجب النعمان ﴾
﴿ الى خدمة دار الخلافة ﴾

استدعي القاضي أبا محمد ابن الاكفاني وأبا اسحق الطبري سرّا وقال لهما : قد علمت ما أنتم عليه وان طويتموه عني ومتى راسل الخليفة بي توصلت الى مرادكم فصار ابو اسحق الى ابن عمر وأشار عليه بانفاذ علي بن عبد العزيز الى دار الخلافة فراسل أبا منصور ابن صالحان في ذلك فكان جوابه :

انك عارف بما وردت به كتب بهاء الدولة من منع ابن حاجب النعمان عن
دار الخلافة واخراجه الى حضرته فكيف يجوز ان تنفذه فيما هذه سبيله ؟
فعاد مراسلة ثانية وسهل الامر فأذن أبو منصور في ذلك من غير اختيار .
وانحدر أبو الحسن علي بن عبدالعزيز الى دار الخلافة ووصل الى حضرة القادر
بالله رضي الله عنه وأعاد ما حمله من الرسالة وكانا قالا له تخدم الحضرة
الشريفة عنا بالدعاء وتقول « ان الذي جرى في هذه القصة مما يوحش بهاء
الدولة ويشمرئه التغيرله والعدول عنه فيما كان مستخدما فيه » وأتبع مايورده
عنهما من نفسه بان قال : ياأمير المؤمنين ما الذي فعل [٦٦]هؤلاء القضاة مما
خرجوا به عن حكم الشريعة أو حدث من الشهود حتى أسقطوا الاسقاط
الذي يقرأ على المنابر ؟ أو ليس ابن النشاط أحد الشهود الذين شهدوا على
المخلوع بخلع نفسه وتسليمه الامر الى أمير المؤمنين ؟ ولو أردنا اليوم شهادة
حاضرة بذلك لما وجدنا غيره فيها فان الشريف أبا أحمد الموسوي غائب
بشيراز وأبا القاسم ابن أبي تمام قد مضى لسبيله وأبا محمد ابن المأمون من أهلك
وأبا الغنائم محمد بن عمر ممن لا تقوم به بينة . ونحن الى الآن نزكي هذا
الشاهد ونعدله أولى من أن نقدح فيه ونجرحه [١] وهذا أبو اسحق
الطبري واحد القراء المتقدمين وأهل العلم المشهورين ولم يبق من يحضر
الحرمين ويصلي فيها [٢] بالناس مثله وهو الى هذه الدولة منسوب وفي شعبها
محسوب والباقون منهم أقل من ان يعرفهم أمير المؤمنين ويسميهم فضلا عن
ان يذكرهم على المنابر ويقع فيهم . وما الذي يؤمننا من ان ينفذ الى الجامع
من ينفذه فيعترض عما يحول بينه وبين مايحاوله ويلحقنا من ذلك ما لاخفاء به ؟

---

(١) وفي الاصل : ونخرجه　(٢) لعله : فيهما

فلما سمع القادر بالله رضي الله عنه ما قاله تبين الصواب فيه فأضرب عما عزم عليه وهمّ ورده بجواب جميل سكن اليه القضاة والشهود وتوقيع فيه علامته باجرائهم على رسومهم

وعاد أبو الحسن الى الشريف والوزير فأعلمهما بما فعل [٣٩٧] وبزوال ما كان الخوض واقعا فيه وأشار بان يعود برسالة ثانية محدودة تضمن الشكر والدعاء والاستئذان في حضور القضاة . فتقدّما اليه بذلك ومضى وعاد بالاذن في حضور القضاة ورجع ثالثا والقضاة معه فجمع بينهم وبين القاضي أبي عبد الله الضبي واستطال أبو عبد الله في القول عليهم فمنهم من أجاب ومنهم من أمسك عنه . وانصرف القوم وتأخر أبو الحسن فأقام في الدار وقرر أمر نفسه واستعطف الشريف أبا الحسن ابن عمر واستكفّ كل من كان يقصده واستصلح فتم له الامر واستتب

وفيها عاد أبو جعفر الحجاج من الموصل

﴿ ذكر السبب في ذلك وما جرى الامر عليه ﴾

لما توفي أبو الدواد محمد بن المسيب طمع المقلد أخوه في الامارة فلم تساعده العشيرة لان من عادتها تقديم الكبير من أهل البيت وكان على [١] أسن منه فاجمعوا عليه وولوه . وأيس المقلد من الامارة فعدل الى طلب الموضع وبدأ باستمالة الديلم الذين كانوا مع أبي جعفر واستفسادهم عليه وثنى برسالته بهاء الدولة خاطبا لضمان الموصل بالفي الف درهم [٣٩٨] في كل سنة وبذل تقديم مال عنها واستصلح قلوب الحاشية .

---

(١) وفي الاصل : أبو علي

ثم عدل الى على أخيه وأظهر له ان بهاء الدولة قد ولاه الموصل وان أبا جعفر يدافعه عنها وسأله النزول معه بالحلل عليها فان أبا جعفر اذا علم اجتماع الكلمة خاف واندفع عنها . فلبي على دعوة أخيه وأجابه الى سؤاله قاضيا حقه فيه فلما نزلت الحلل على باب الموصل استأمن عدد من الديلم الذين استفسدوا من قبل وعلم أبو جعفر ان لا طاقة له بالقوم فاعتصم بقصر كان استحدثه ملاصقا الى دار الامارة مع سبعين رجلا من خاصته وسألهم ان يفرجوا له عن الطريق ليسلم الديلم اليهم فاجابوه الى ذلك

﴿ ذكر مكيدة عملها أبو جعفر سلم بها في انحداره ﴾

واعدهم في خروجه يوما معلوما واستظهرهم عليه وكانوا أجمعوا أمرهم على ان يأخذوه يوم مسيره . فاستذم أبو جعفر من على بن المسيب وأنفذ اليه كراعه ليسير من عنده ثم جمع سفنا حط فيها رحله وصناديقه وسلاحه وأصحابه بجاءة وانحدر قبل اليوم الموعود وما عرفوا خبره الا بعد انحداره فتبعوه ودافعهم عن نفسه حتى خلص ووصل الى [٣٦٦] مدينة السلام

﴿ ذكر ما جري عليه الامر بالموصل بعد انحدار أبي جعفر ﴾

لما خرج أبو جعفر من البلد تقدم المقلد الى أصحابه بالدخول وعمل على ابن المسيب في الرحيل فحسن له أبو الفضل طاهر بن منصور وكان كاتبه ووزيره وجماعة من أصحابه ان يلتمس من المقلد مشاركته في البلد فتذمم على من ذلك حياء من أخيه فقالوا له : اذا كان البلد لاخيك كان هو الامير وكنت أنت الصعلوك . وما زالوا به حتى راسلوه واستقرت الحال بينهما تذكرة من المقلد على اقامة خطبة لهما جميعا وتقديم علي بحكم الامارة واقامة عامل من قبلهما لجباية الاموال وجرى الامر على ذلك مديدة

ثم زاد التشاجر والتجاذب بين أصحابهما وانتهى الى الافراط واتصلت الشكاوي من الفريقين وسيأتي ذكر ما جرت عليه الحال من بعد ان شاء الله

﴿ ذكر الحال في ذلك ﴾

كان أبو على [1] خدم بهاء الدولة في أيام امارته فلما ولي الملك قدمه وكاد (٤٠٠) ينوّه به فنكبه أبو الحسن الكوكبي المعلم وبقى على العطلة ثم استخدم في الخواص بمدينة السلام. فلما عاد بهاء الدولة الى واسط على الصورة التي ذكرت من اختلال الحال كاتب أبا منصور ابن صالحان والشريف أبا الحسن ابن عمر وأبا على هذا يذكر بما هو عليه من الاضاقة واستدعى منهم ملتمسات من ثياب وغيرها. فاجاب أبو منصور وأبو الحسن جميعاً بالوعد والتعليل وحصّل أبو على أكثر الملتمس بعد ان طلب من أبي على ابن فضلان اليهودى قرضا يرد عوضه عليه فلم يسعفه وانحدر الى حضرة بهاء الدولة بما صحبه. فوقع فعله موقعا جميلا ازداد به عنده قبولا وقرّر معه في أخذ اليهود ومصادرتهم تقريرا معلوما وفي أمر أبي الحسن محمد بن عمر وأبي منصور ابن صالحان ما كان مستورا مكتوما وأصعد على هذه القاعدة فلما حصل ببغداد قبض على جماعة من اليهود وعسفهم في المطالبة والمعاقبة.

وأما الشريف أبو الحسن ابن عمر وأبو منصور ابن صالحان فانه بدا لهما خبر ما أبطن في أمرهما فخرج ابن عمر الى القصر وصار منها الى البطيحة واستتر أبو ابن صالحان وكاتب بهاء الدولة واستصلحه وانحدر اليه

---

(١) هو الموفق الوزير .

ودبر أبو على الامور ببغداد واستمال الجند وقرر مع الاتراك [٤٠١] عن أثمان اقاماتهم ورقا يطلق لهم مسايبة ثم نقله الى المشاهرة ونسبه الى القسط. وسلك أيضا بالديلم هذه الطريقة فصار ذلك سنة مستمرة من بعد في الاقساط وسقطت زاف الاقامات وكانت قد انتهت الى الافراط. ومشت أموره على السداد الى ان جرى من المقلد بن المسيب ما صار سببا للقبض عليه

﴿ ذكر ما جرى من المقلد بن المسيب فى هذه السنة ﴾

كان المقلد يتولى حماية القصر وغربي الفرات متصرفا على أمر العباس بن المرزبان فاستناب المقلد أبا الحسن ابن المعلم أحد أصاغر المتصرفين ببغداد وكان فيه تهور واقدام فتبسط وانتهى عنه الى ابن المرزبان ماغاظه وعول على القبض عليه . ولم يأت الحزم من أقواله فى أخذه فاستوحش ابن المعلم واستظهر وجرت مناوشات أدت الى كشف القناع واستنجد ابن المعلم صاحبه فوافى من الموصل فى عدته وعديده وحصل مع ابن المرزبان على أرض واحدة وجرت بينهما حرب أجلت عن هزيمة ابن المرزبان وأخذه أسيرا وحبسه وأمر بقتله من بعد

وملك المقلد القصر وأعماله [٤٠٢] وكتب الى بهاء الدولة بأعذار مختلفة وأقوال متفقة وسأل انفاذ من يعقد عليه البلاد بمبلغ من المال يؤديه عنها . وكان بهاء الدولة مشغولا بما هو بصدده والضرورة تدعوه الى المغالطة والمداراة فأنفذ اليه أبا الحسن على بن طاهر وجرت بينهما مناظرات ومواقفات كتب بها تذكرة عاد بها ابن طاهر استأمر فى أبوابها . ولما انفصل ابن طاهر عنه زاد فى بسط يده فى الاعمال واستصفاء ما فيها من الاموال فضج المقطعون بالشكوى الى أبى على ابن اسمعيل فاستعد للخروج

اليه واستدعى محمد بن عباد وخاطب أبا موسى خواجه بن ساكيل على البروز فبرز وخيّم بظاهر البلد

﴿ذكر الحيلة التي عملها المقلد﴾

لما انتهى الخبر اليه ببروز من برز من السندية آنفذ أصحابه ليلا فكبسوا معسكر ابن ساكيل وضربوا الخيم فبادر ابن سياهجنك الى زبزبه وعبر الى داره واستنفر الديلم فالى ان اجتمعوا قطع أصحاب المقلد الجسر لئلا يتكاثر عليه الجند. وركب أبو على ابن اسمعيل وابن عبّاد والاولياء فالى ان أعيد سد الجسر مضى أصحاب المقلد عائدين وتبعهم أبو على فلم يلحقهم. (٤٠٣) وهمّ بالاتمام الى السندية لمواقعة المقلد فاشاروا عليه بالعود فعاد وقد تمّم لما ثبت له

وكان الشريف أبو الحسن ابن عمر قد حصل بالبطيحة على ما تقدّم ذكره فلما ورد أبوجعفر الحجاج توسط حاله مع بهاء الدولة وأصلحها وجدّا جميعا فى السعي على أبي على وذلك قبل أن يحدث من أمر المقلد ما حدث. وشد منهما ابن ماسرجس وكان هو الوزير يومئذ وبذل ابن عمر لبهاء الدولة عشرة آلاف دينار عن تسليمه اليه وكان بهاء الدولة سريع القبول شديد الميل الى هذه البذول وكل ما يُعقد معه محلول وكل ما يبنى لديه مهدوم

ومن شرط السياسة ان يفي الملك بقوله وعهده وان يصدق فى وعيده ووعده وانه متى أخلف استولت على المحسن الخيبة وزالت عن المسيء الهيبة ومن قارب بين التولية والعزل لايعقل. فنعود الى تمام الحديث

تفاوضوا في تدبير أمر أبي على ولم يكن ببغداد من يكاتب بالقبض عليه ويوثق به في الخروج بالسر اليه لان ابن سياهجنك كان من خاصته

والقهرمانة معه وفي كفته وكل من وجوه الجند مائلا الى جنبته ويخافون ان يخرجوا انسانا من [٤٠٤] واسط فربما شاع الخبر وظهر

﴿ ذكر المكيدة التي رتبت في القبض على أبي على ﴾

أحضروا أبا الحسن محمد بن الحسن العروضى وكان بواسط وواقفوه على ان يكاتب أبا على ويشكو اليه حاله ويسأله استدعاءه اليه وضمه الى جملته ودبروا الامر انه اذاعادالجواب اليه بالاصعاد أصعد وقرروامعه القبض عليه . وكتب أبو الحسن كتابا بهذا الذكرفالي انعاد الجواب اليه حدث من أمر المقلد وهجوم أصحابه على مدينة السلام ما حدث وورد الخبر بذلك على بهاء الدولة فانزعج واستدعى أبا جعفر الحجاج في الوقت ورسم له المبادرة اليها وتلافى الحادث بها ومصالحة المقلد والقبض على أبي علي ابن اسمعيل . ووجد أبو جعفر الفرصة فسار ووصل الى مدينة السلام في آخر ذي الحجة وسيأتى ذكر ما جرى الامر عليه بمشيئة الله تعالى

وفيها قبض على الفاضل أبي نصر فاستُقصي عليه في المطالبة . وهرب أبو عبد الله العارض الى البطيحة وأقام الى ان أصلح حاله

﴿ ذكر السبب في ذلك [٤٠٥] أولا ﴾

﴿ وما جرت عليه الحال ثانيا ﴾

كان جرى بين أبي‌عبدالله العارض وبين أبي‌طاهر سياشي المشطّب [١] المعروف بالسعيد كلام تنابزا فيه وجنايات اللسان عظيمة وصراعاته أليمة فأمر بهاء الدولة بالقبض على أبي طاهر لاجل ذلك واعتقاله . فاجتمع عدد

(١) وفي الاصل « سيامى المتطبب » وسباشي يعنى صاحب الجيش كذا في مفاتيح العلوم

كثير من الغلمان وصاروا الي باب الخيمة الخاص وجبهوا بهاء الدولة بما فيه بعض الغلظ وقالوا : ان لم تفرج عنه أخذناه . فدعت الضرورة الي اطلاقه فأطلق ثم لم يرضوا بالافراج عن المشطب حتى اقترحوا ازالة ابي عبد الله عن ولاية العرض وابعاد الفاضل ابي نصر [١] وخاف بهاء الدولة مخالفتهم فاعتقل العارض والفاضل اعتقالا جميلا ثم اذن لهما في الاصعاد الي بغداد بعد ان قرر أمر الفاضل على مبلغ من المال . فاما الفاضل فانه صحح المال المقرر بعد اصعاده واقام في داره الي ان وافي ابو جعفر .

ونظر ابو الحسن العروضي في نيابة الوزارة عن ابن ماسرجس فخافه الفاضل وكاتب بهاءالدولة يسأله حسن التعطف والحراسة فعاد جوابه بالجميل ورُسم له الانحدار فانحدر ولما وصل الي المعسكر قُبض عليه وسلم الى ابن ماسرجس فاستقصي (٤٠٦) عليه في المطالبة لما اخذ عليه من نوبة البصرة ونسبها اليه وكان بريئاً منها .

واما أبو عبد الله العارض فانه خاف بعد اصعاده فاستشار نصحاءه في امره وقال : لست أحب الحرب فاجعل لنفسي حديثا ولا الاسترسال . فأطرق غايتها

﴿ ذكر راى سديد اشير به على العارض فكان سببا لنجاته ﴾

قال له على بن عيسي صاحب البريد : اذا كان هذا اعتقادك فكيف تسمح بذهاب ما في دارك من الآلات ومن الغلمان ؟ قال : نعم . قال : فاعبر الى الجانب الشرقي كانك زائر والدتك ودع دارك وحاشيتك على ما هي وهم عليه وانا احضر في كل يوم والقى الناس فيها عنك واكتب كتب

---

(١) وفي الاصل : الى أبي نصر

التوبة الى بهاء الدولة واذا حضر من يجوز الاعتذار اليه وانا قاعد اعتذرت اليه بنومك أوصلاتك ومن وجب ان أقوم وأدخل الحجرة كاني أستأذنك وأخرج اليه بمثل العذر قمت واذا رأى الناس ذلك ظنوك حاضراً وأنت في الباطن مستظهر . فاستصوب ذلك وعمل به واندرج الامر على هذا أياما ثم كبست الدار لطلبه والقبض عليه فلم يوجد . ودبر أمره في (٤٠٧) الخروج من البلد مستترا وحصل بالبطيحة وأقام بها مدة وأصلح حاله مع بهاء الدولة وأصعد الى واسط. ونظر في دواوين الانشاء والبريد والحماية

وفيها حج بالناس أبو عبد الله ابن عبيد العلوى .

وحمل بدر بن حسنويه خمسة آلاف دينار مع وجوه القوافل الخراسانية لتنصرف في خفارة الطريق عوضا عما كان يجيء من الحاج في كل سنة وجعل ذلك رسما زاد فيه من بعد حتى بلغ تسعة آلاف دينار . وكان يحمل مع ذلك ما ينصرف في عمارة الطريق ويقسم في أولاد المهاجرين والانصار بالحرمين ويفرّق على جماعة من الاشراف والفقراء والقراء وأهل البيوتات في مدينة السلام بما تكمّل به المبلغ عشرين الف دينار في كل سنة . فلما توفي انقطع ذلك حتى أثّر في احوال اهله ووقف امر الحج

ونحن نذكر ههنا طرفا من افعال بدر وآدابه يستدل به على حزم الرجل ودهائه . فنقول ان من شرط الولاية المستقيمة ان يكون صاحبها عالما بالسياسة قامعا للجند عادلا بين الرعية خبيرا بجمع المال من حقوقه بصيرا بصرفه في وجوهه راغبا في فعل الخير متلذّاً بطيب الذكر ثابت الرأى في الخطوب رابط(١) الجأش في الحروب على ان انتفاع ذوى الولاية بالرأى (٤٠٨)

---

(١) في الاصل : ثابت

السديد اكثر من انتفاعهم بالبأس الشديد فان ذا البأس يقاوم رجالا وعشيرة وذو الرأي يقاوم أمة كثيرة

الرأي قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهي المحل الثاني
فاذا هما اجتمعا لنفس مرة * بلغت من العلياء كل مكان [1]

وقد كان بدر جامعا لهذه الخلال الحميدة والافعال الرشيدة فانه ساس قومه وهم البرزيكان [2] شر طائفة في ظلمهم وعدوانهم وبغيهم وطغيانهم سعيا في الارض بالفساد وقطعا للسبل واستباحة الاموال وسفك الدماء ولما ولي عليهم وقد استولوا على تلك الاعمال يسومون أهلها سوء العذاب ويذيقونهم مرارات البلاء والعقاب على طريقة من قال الله تعالى فيه : « واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد » . فداوى داءهم وكف بلاءهم واستدنى من الاكراد من كانوا ضدا لقومه فاستعان بهم عليهم فطهر الارض من ظلمهم غير مبق على آصرة ولا ملتفت الى رحم متشاجرة فبدد شملهم وفرق جمعهم .

﴿ ذكر مكيدة عملها بدر لقومه (٤٠٩) ﴾

قيل انه لما طالت أسباب الفساد وكاد الحرث يبطل في تلك البلاد عمل سماطا وأمر بان يقدم عليه من جميع الالوان المطبوخة بالحمان (وكانوا أصحاب أغنام) وان لا يترك على السماط خبز بتة ثم أحضرهم فجلسوا وأيديهم لا تصل اليه توقعا للخبز فلما طال الامر بهم قال لهم : مالكم لا تأكلون . قالوا : ننتظر الخبز . قال : فاذا كنتم تعلمون انه قوت لا بد منه فمالكم قد أهلكتم الزرع ؟ قبحا لوجوهكم وتبا لافعالكم ! وأقسم لان

---

(١) ورد البيتان في ديوان المتنبي طبع برلن ١٨٦١ ص ٥٩٤ (٢) وفي الاصل : البرزيكان

تعرض أحد منكم لصاحب زرع ليقابله بسفك دمه . وأبر قسمه بقتل العدد الكثير منهم وأخذ الباقين بالهيبة وساسهم بالغلظه ولم يغض لهم عن الخيانة اليسيرة حتى تهذبت الامور

﴿ذكر سياسة بليغة من أفعاله﴾

قيل انه اجتاز في بعض مرتحلاته برجل متحطب قد حط حمله عن ظهره على طريق وان بعض الفرسان أخذ منه رغيفين كانا معه فلما حصل بازائه قال : أيها الامير انى رجل متحطب وقدكانت معي رغيفان أعددتهما لاتغدي بهما فيقويانى على حمل الحطب الى البلد(٤١٠) فابيعه فاعود بثمنه الى العيال وقد اجتاز بي أحد الفرسان وغصبني اياهما . فقال له : هل تعرف الرجل ؟ قال : نعم بوجهه . فجاء به الى مضيق جبل وأقام عنده حتى اجتاز عليه العسكر جميعه وجاء صاحبه فعرفه فامر بدر بحطه عن فرسه والزامه حمل الحطب على ظهره الى البلد والدخول به الى السوق وبيعه وتسليم ثمنه الى صاحبه جزاء على فعله . وكان الرجل موسرا فرام ان يفتدي نفسه بمال وزاد حتى بذل بوزن الحطب دراهم فلم يقبل منه وألزمه فعل ما عزم به عليه فقامت الهيبة فى النفوس فلم يقدم بعدها أحد من أصحابه على أذية

وأما بصره بوجوه المال فانه عمّ وعدل فدرّت عليه ضروع الاعمال وجمع من الذخائر والاموال من بلاد محدودة محصورة مالا يكاد يجمع مثله من ممالك واسعة . ولو لم يكن الا ما أخذه فخر الملك أبوغالب ابن خلف من قلعته (١) لكان عظيما

(١) يعني دزبز فى معجم البلدان ٢ : ٥٧٢ : دزبز اسم قلعة مدينة سابور خواست دزبز ومنها أخذ فخر الملك أبو غالب أموال بدر بن حسنويه المشهورة

﴿ ذكر رأى سديد فى تدبير الاعمال ﴾

كان من حسن تدبيره انه يحفظ الارتفاع من كل ثلم ثم يفرُد العشر منه ويجعله موقوفا على المصالح والصدقات . وأخذ عمّاله بتوفية أمواله [٤١١] أشد أخذ ويخلدهم الحبس على الخيانة فان علم ان عجز المال كان عن آفة وان العامل نقىّ الجيب من خيانة أعطاه من مال الصدقة ما تبرأ به ذمته من الضمان ويستعين ببعضه على الزمان فلا يقدم أحد على تجاوز الطريقة المرضية فى أداء الامانة وتجنُّب الخيانة . وأما بصيرته بصرف الاموال في وجوهها فقد تقدم ذكر ما كان يحمله فى كل سنة بطريق مكة وكانت له صدقات كثيرة فى بلده وأنفق أموالا جمة فى اتخاذ المصانع وعمل القناطر واستخراج الطرق فى الجبال لوارد وصادر فتذللت بعد ان كانت مانعة ودنت المسافات بعد ان كانت شاسعة مع حزم كامل فى الانفاق

﴿ ذكر مادبره فى أمر النفقات على القناطر والطرقات ﴾

كان اذا بدأ بعمل من هذه الاعمال أقام من قبله عنده سوقا جامعة لسائر ما يبتاع فى البلدان وجلب اليها جميع مايحتاج اليه من الاصناف بارخص الاثمان فاذا قبضت الرجال سلفا من الورق صرفوه في تلك السوق على اختلاف أجناس ما يبتاعونه بالثمن الوافى فيجمع جميعه . [٤١٢] فكان ما يخرج فى أول الاسبوع من الخزانة يعود اليها فى آخر الوقت اليسير الذى يتصل مع بعض الرجال ممن يقدر على نفسه في النفقة .

فبقيت له الآثار الحميدة والاحاديث الجميلة قال الله تعالى : وما عند الله خيرٌ وأبقى . وقال تعالى : وللآخرةُ خيرٌ لك من الأُولى . وأما حسن تدبير الخطوب فله فى ذلك أخبار مشهورة منها ما دبره عند وصول

رسول يمين الدولة أبي القاسم محمود بن سبكتكين رحمه الله الى الري

﴿ ذكر رأى سديد فى اقامة هيبة ﴾

قيل ان رسولا لمحمود وصل الى الري عند استيلاء السيدة على الامر مهدّدا بالمسير اليها وكانت لا تحل ولا تعقد الا بمشاورة بدر فكتبت اليه بما تجدد فاشار عليها بانفاذ الرسول اليه ليتولّى هو جوابه . ثم رتب طوائف الاكراد وأصناف العساكر وأمرهم ان ينزلوا بحللهم بطول الطريق من باب الري الى سابور خواست [1] ويظهروا عند اجتياز الرسول بهم عددهم وأسلحتهم ويأخذوا زينتهم ويسيروا به من حلة الى حلة ومن عسكر الى عسكر حتى يوصلوه اليه ففعلوا ذلك .

ورأى الرسول في طريقه من (٤١٣) العساكر ما هاله فلما وصل اليه رأى من حزمه ودهائه وحسن تدبيره ورأيه ما ازدادت به هيبته في صدره . وأجاب عن الرسالة بما أشار به الى الاستمرار على طريق المسالمة واجراء الامر على ما كان عليه من قبل مع أصحاب خراسان فعاد الرسول الى الري وكتب الاجوبة حسب ذلك وانصرف الى خراسان وأخبر بما شاهده فكان ذلك طريقا الى الكف والموادعة .

وأما مكايده في الحروب وبصيرته بامورها فقد تقدم من ذكر الوقعة التي جرت بينه وبين قراتكين الجهشيارى على أخذ شرف الدولة ما يدل على صرامته وله بعد ذلك مقامات مشهورة . فلما انقضت مدته وتناهت سعادته لم ينفعه ماله ولا رجاله ولم تدفع عنه حزامته ولا احتياله قتله أقل الجند وأذلهم ومضى رخيصا

(١) في الاصل : سابر حاست

الحُوّل القُلّب الاريبُ ولا * يدفع ريبَ المنيّةِ الحِيلُ

واذ قضينا من ذكر أخباره الشادّة وطرا مع التبرأ من عهدة صحتها فقد عدنا الى سياقة التاريخ [1]

﴿ ودخلت سنة سبع وثمانين وثلثمائة ﴾

وفيها تغير أمر أبي على ابن اسمعيل ووكِّل به فى دار المملكة ثم أفرج عنه واستتر [414]

﴿ ذكر ما جرت عليه الحال في ذلك ﴾

لما ورد أبو جعفر الحجاج ساء ظن أبي على ابن اسمعيل ثم اتصل به من واسط ما حقق ظنه فاقام فى دار المملكة ملتجئا الى القهرمانة وتلطف أبو جعفر له طمعا فى ان يصير اليه فلم يفعل فانفذ من وكل به في موضعه. وتردد بينه وبين القهرمانة قول كثير انتهى آخره الى ان كتبت خطاً بتسليمه وانها تمشى ما يرد اليها في معناه فصرف التوكيل حينئذ عنه . وأنفذ ابن اسمعيل الى بازسطفان وبدرك ووضعهما على ان جمعا جمعاً كثيرا من الغلمان وصاروا الى تحت دار أبي جعفر وراسلوه وقالوا له : قد كانت أحوالنا مختلّة وأموالنا متأخرة الى ان جاء هذا الرجل فتلافى أمورنا بحسن التدبير وقد حاولت الآن بورودك القبض عليه وازالة هذا الترتيب ونحن لا نمكّن منه

---

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة : في المحرم ادعى أهل البصرة أنهم كشفوا عن قبر عتيق فوجدوا فيه ميتا طريا بثيابه وسيفه وانه الزبير بن العوام فاخرجوه وكفنوه ودفنوه بالمربد وبنوا عليه وعمل له مسجد وقلت اليه القناديل والبسط والقوّام والحفظة قام بذلك الاثير أبو المسك فالله أعلم من ذلك الميت

و نكاتب الملك بشرح الاحوال وان دعتنا حاجة الى الانحدار اليه انحدرنا .
وتردد فى ذلك ما طال وأفضى آخره الى رد خط القهرمانة اليها والاتفاق
على خروجه ونظره ومكاتبة الملك بما عليه الاولياء من ايثاره . فلما كان من
غد خرج أبو [٤١٥] على من الدار وقصد أحد وجوه الاتراك واستتر عنده
ونظر أبو الحسن العروضى فى النيابة عن أبى العباس ابن ماسرجس
وتشاغل أبو جعفر بتقرير ما بينه وبين أبي حسان المقلد بن المسيب

﴿ ذكر ما جرت عليه الحال في ذلك ﴾

أنفذ المقلد الى أبي جعفر في أمر الصلح وبذل له النزول على حكمه فيه .
فاستقر بعد مراجعات ومنازعات على ان يصحح المقلد عشرة آلاف دينار
وتحمل الى الخزانة بواسط ويقود معها خيلا ويرفع يده عن الاقطاعات
ويقنع بما يقرر له من رسوم الحماية عنها ويمكن العمال من المحلول ويشد
منهم في استيفاء الحقوق السلطانية ويخرج عن الديلم المأسورين ويخطب لابي
جعفر بالموصل بعد بهاء الدولة ويحمل فى كل سنة الف الف درهم غياثية
عنها وعلى ان يخلع على المقلد الخلع السلطانية من دار الخلافة ويكنى ويلقب
بحسام الدولة ويحمل له اللواء ويعقد له بهاء الدولة على الموصل والكوفة
والقصر والجامعين ويقلد زعيم العرب ويقطعه بالف الف درهم غياثية من
المحلول . فاجيب الى ما التمسه وجلس القادر [٤١٦] بالله رضوان الله عليه
لذلك على العادة .

ولم يف المقلد بجميع ما أشرطه على نفسه الا بحمل المال المعجل واطلاق
الديلم المأسورين ثم استولى على البلاد فقصده الكتاب والمتصرفون
والاماثل وخدموه ونبل قدره واستفحل أمره

وفيها توفى العلاء بن الحسن بعسكر مكرم وورد أبو الطيب الفرخان وبعده أبو على ابن أستاذ هرمز شيراز

﴿ ذكر ماجرى عليه الامر بعد وفاة العلاء بن الحسن ﴾

قد تقدم ذكر خروج العلاء الى عسكر مكرم فى أثر الغلمان العائدين من ارجان مع أبي محمد ابن مكرم ومقامه بها مرتبا للامور ثم جاءه أمر الله الذي لا يدفعه وورد المنهل الذي لا محيد للبشر عنه . فلما انتهى الخبر الى صمصام الدولة أنفذ أبا الطيب الفرخان بعد ان استوزره لسدّ مسدّه فورد ولم يكن منه ما ظن فيه فبان منه العجز والقصور وتقاعد به الديلم وملك أصحاب بهاء الدولة السوس وجنديسابور . وعرف صمصام الدولة ماجرى فانفذ الصاحب أبا على ابن أستاذ هرمز وأصحبه مالا فرّقه على الديلم وسار بهم الى جنديسابور ودفع الاتراك عنها وجرت مع الاتراك وقائع كثيرة كانت اليد الطويلة لابي على فيها حتى أزاحهم عن بلاد [٤١٧] خوزستان وعادوا الى واسط . فخلت له البلاد ورتب فيها العمال وجبى منها الاموال[1] وتأمل حال الاقطاعات بها . فجرى بين سيامرد بن بلجعفر وبين عامل لابي علىّ تنازع في حدّ وارتفع النزاع فيه اليه فأربى سيامرد فى القول بمجلسه فغاظه

﴿ ذكر تدبير يدل على قوة نفس وشهامة ﴾

أمر أبو علي ان يعمل عملا بما فى يد سيامرد وداود ولده وأبي[2] على ابن بلعباس فاشتمل العمل على مائة الف دينار وزيادة فاحضر الثلاثة المذكورين وكتّابهم للموافقة ثم عدل بهم الى حجرة وقبض عليهم وقيّدوا

(١) وفي الاصل الاتراك (٢) وفي الاصل : أبا .

وأخرجوا بعد أيام على النفي الى بلاد الديلم . وجعل اقطاعهم لخمسمائة رجل من الديلم الاصاغر وثمانمائة رجل من الاكراد بعد ان أفرد منه شيأ للخاص فتمكنت هيبته في الصدور وتضاعفت قوّته في الامور وتألّف قلوب الديلم وراسل وجوه الاتراك الذين مع بهاء الدولة واستمالهم فاجابه بعضهم وصار اليه من جملتهم قراتكين الريحى فملأ عينه وقلبه بالاحسان .

واستمرت أحواله على الانتظام والتمكن من أعمال خوزستان من غير منازعة الى ان عاد أبو محمد ابن مكرم والاتراك من واسط . فلما عرف أبو على ابن استاذ هرمز رجوعه استعد للحرب وجرت بينهم (٤١٨) مناوشات ووقائع . ولم يكن للغلمان قدرة على ازالة الديلم من قصبات البلاد وأشرفوا على الانصراف ثانيا الى واسط حتى خرج أبو على ابن اسمعيل من البطيحة وسيّر بهاء الدولة من القنطرة البيضاء وكان من الامر ما يأتى ذكره في موضعه

وفيها كوتب أبو جعفر الحجاج بالمسير من بغداد لقصد أبي الحسن على ابن مزيد وسار ابن ماسرجس من واسط لذلك

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر مع أبي الحسن على بن مزيد ﴾

كان على بن مزيد قد استوحش من بهاء الدولة بسبب مال طولب به فكاشفه بالخطاب وانتسب الى طاعة صمصام الدولة وأقام الخطبة له وأطلق لسانه بكل ما يوجب السياسة الامساك عنه وانبسطت بنو أسد في الغارة على نواحي واسط . فغاظ بهاء الدولة فعلهُ وعرض من أمر المقلد ما استقل به عن غيره فلما استمرت الحال معه كتب بهاء الدولة الى أبي جعفر بالمسير الى ابن مزيد من بغداد وسيّر أبا العباس ابن ماسرجس من واسط فاجتمعا .

واندفع أبو الحسن على بن مزيد من بين أيديهما معتصما بالآجام وتتبعاه فراسلهما واستعطفهما وسأل اصلاح أمره مع بهاء الدولة وبذل على ذلك بذلا . وكان الامر قد ضاق بهما [٤١٩] في المقام وتعذر عليهما وعلى العسكر نقل الميرة لبعدهم عن السواد فكاتبا بهاء الدولة في أمره وسألاه الصفح عنه واقراره على ما يتولى الخدمة فيه فاجاب الى ذلك وسار أبو جعفر وابن ماسرجس الى الكوفة فاما أبو جعفر فانه عاد الى بغداد واما ابن ماسرجس فانه أقام بالكوفة مستوحشا ثم صار الى المقلد ومضى من عنده الى البطيحة .

وفيها توفي فخر الدولة أبو الحسن على بن ركن الدولة بالري

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر بعد وفاة فخر الدولة ﴾

لما اشتدت العلة به أصعد الى قلعة طبرك فبقي أياما يعلل ثم مضى لسبيله . وكانت الخزائن جميعها مقفلة ومفاتيحها قد حصلت عند ابي طالب رستم ولده الملقب من بعده بمجدالدولة فلم يوجد ليلة وفاته ما يكفن به لقصور الايدي عما في الخزائن وتعذر النزول الى البلد لشدة الشغب حتى ابتيع له من قيم الجامع الذي تحت القلعة ثوب لف به . وجاء من الشغل بالجند ومطالبتهم العنيفة ما لم تمكن معه حطه سريعا فأراح حتى لم يمكن القرب من تابوته فشد بالحبال وجر على درجة القلعة حتى تكسر وتقطع .

وذكر انه خلف من العين والورق والجواهر سوى الثياب والسلاح والآلات ما يزيد على [٤٢٠] عشرة الف الف درهم فكان نصيبه من أمواله الثوب الذي كفن فيه وعاقبته من أيامه اليوم الذي حط فيه . فما أقله من نصيب مخوس وأشأمه من يوم منحوس فما أغنى عنه ماله

وما كسب ثم ربه أعلم بما صار اليه من شقاوة أو حوتق أو سعادة أو سوح

ورتب أبو طالب رستم ولده في الامر وسنه اذ ذاك أربع سنين فاخذت له البيعة على الجند وأطلقت له الاموال الكثيرة حتى قيل ان الامر أعجلهم عن حط المال من القلعة على رؤوس الرجال فحطوه بالزبل والبكر والحبال .

والوزيران يومئذ هما أبو العباس الضبي الملقب بالكافي الاوحد وأبو علي ابن حمولة الملقب بأوحد الكفاة وبينهما أشد عداوة . فبسط أبو علي ابن حمولة يده في اطلاق الاموال واستمالة الرجال فمالت قلوب الجند اليه ووقعت أهواؤهم عليه وامتنع أبو العباس الضبي عن مثل ذلك الا انه معظم لمنزلته المتأثلة وقدمه المتقدمة

فتجدد من ورود قابوس بن وشمكير الى جرجان واستيلائه عليها ماوقع الخوض في تدبير خطبه (١)

﴿ ذكر عود قابوس الى جرجان وما جرى الامر معه عليه ﴾

كان فخر الدولة عند استقراره في الملك عزم على رد قابوس الى أعماله قضاء (٤٢١) لحقه ومقابلة على احسانه فصده ابن عباد عن رأيه وكثر ارتفاعها في عينه فوقر هذا القول في سمعه لشح مطاع كان في طبعه . فلما مات كتب أهل جرجان الى قابوس وهو بنيسابور يستدعونه فصار الى بلادهم وملكها وورد الخبر الى الري بذلك فجرت في ذلك منازعات في الرأي وكوتب بدر بن حسنويه بسببه

---

(١) أما الوزيران فانظر معجم ارشاد الاريب ١ : ٧٣ وترجمة قابوس فيه أيضا ٦ : ١٤٣

﴿ ذكر جواب سديد لبدر خولف رأيه فيه ﴾

قال : ان الامير الذى ورث هذا الملك حدث السن ولا ينبغى ان يضيع ماله وذخائره فيما لا تتحقق عواقبه ومصايره والصواب ان تترك الامر على حاله فان يك نجيبا على ما عهد من خلائق آبائه قدر على ارتجاع ما أخذ منه وان ضعف عن ذلك لم تكونوا جمتم عليه (ذهاب) ماله وذهاب أعماله . فخالفوا رأي بدر وجردوا العساكر وأشار أصحاب أبي علي ابن حمولة ونصحاؤه عليه بالخروج في هذا الوجه واستصحاب الخزائن والاموال وقالوا : انك اذا حصلت بجرجان وملكتها كنت أميرا لا وزيرا وكانت الحاجة اليك داعية والآمال بك متعلقة وبعدت عن الحضرة التي أنت فيها مجاذب على المنزلة . وغبي [٤٢٢] ان قاعدة غيره التى يبنى عليها أمره هى بتلك الحضرة والى من يزاحمه فى الرتبة يترقب به الفرصة فى نقصها لكن هيهات قيامه عليها واذا بعد عنها اسرعت اليد الهادمة اليها . فعمل فيه قول هؤلاء النصحاء المجتمعين عليه وسار بالخزائن والاموال لامر تسوقه المقادير اليه وحصل بين عدوين أحدهما أمامه لا يعلم ما يكون منه معه وآخر وراءه يقصد مقاتلته .

ووافى قابوس وتصافا في الحرب فما كانت الا حملة واحدة من أصحاب قابوس حتى انهزم أصحاب أبي علي ابن حمولة وغنم قابوس وأصحابه غنيمة كثيرة وعاد الى جرجان . وثبتت قدمه بأحسن السيرة ورفع الرسوم الجارية والضرائب المأخوذة .

وعاد أبو علي الى الرى مفلولا ووقع الشروع في تجريد العساكر ثانيا الى جرجان فقال أبو علي : قد خرجت نوبة وهذه نوبة أبي العباس الضبي .

وتردد في ذلك قول كثير ثم أجمع رأي السيدة ورأي بدر بن حسنويه على صرف أبي علي بن حمولة والقبض عليه .

﴿ ذكر ما جرى الامر عليه في القبض على ابن حمولة ﴾

حضر أبو عيسى سافرى بن محمد كاتب بدر مظهرا تجديد العهد بالخدمة (٤٢٣) واجتمعت الجماعة في دار الامارة وخلوا في الحجرة الركنية لتقرير أمر من يخرج الى جرجان فاتفق ان ابن حمولة نهض لحاجة يقضيها فاتبع بمن عدل به الى موضع في الدار وقيد وانصرف أبو العباس الضبي الى داره وأبو عيسى الى دار على بن كامة وكانت برسمه وهي طرف البلد . وشاع خبر القبض على ابن حمولة فثار الديلم وقصدوا دار أبي عيسى ليهجموا عليه فهدم حائطا منها الى الصحراء وخرج منه وركب وتبعه أصحابه ووقف على قرب من البلد حتى أخرج اليه ابن حمولة فسار به الى بلاد بدر وحبسه في بعض القلاع [1] وأنفذ اليه من الري بعد أيام من تولى قتله

وأقام الديلم على شغب ونهبوا دار أبي العباس وطالبوا بتسليمه واقتضت الحال عند تفاقم الامر القبض عليه ففعل ذلك وحُمل في عمارية وهو مقيد وقد أخرجت رجله منها ليشاهد القيد فيها بحضرة العسكر وأصعد الى قلعة طبرك . وكان الجند قد هموا بالفتك به وكفّ الله سبحانه وتعالى أيديهم عنه وألقى في قلوبهم هيبة منه فلما حصل في القلعة راسل أكابر الديلم واستمالهم وأصلحوا له قلوب أصاغرهم واجتمعوا بعد ثلاثة أيام وتشاوروا بينهم وقالوا : قد مضى ذلك الوزير الذي قد فعلنا هذا الفعل لاجله ولا يجوز ان نتعوض عن أبي العباس (٤٢٤) مع رياسته المأثورة وكفايته المشهورة بغيره .

---

(١) وفي ارشاد الاريب ١ : ٧٣ هي قلعة استوناوند

فصاروا الى دار الامارة وخاطبوا السيدة على ذلك فاستقر الرأي على خروجه ونظره فخرج فى اليوم الرابع من القلعة وتلقاه النـاس على طبقاتهم بتقبيل الارض واظهار السرور . وسيأتى ذكر ما جرى عليـه أمره من بعـد فى موضعه .

وفيها قبض المقلد بن المسيب على أخيه بالموصل

﴿ ذكر القبض على علي بن المسيب والافراج عنه ﴾
﴿ وما جرى في ذلك من الخطوب فى هذه ﴾
(السنة وما بعدها ليتسق الحديث)

قد تقدم ذكر ما تقرر بين عليّ والمقلد فى أمر الموصل والمشاركة فيها وما وقع من الخلف بين أصحابهما . فلما عاد المقلد من سقي الفرات الى الموصل عزم على الفتك بأصحاب أخيه ثم علم انه متى فعل ذلك بهم فعل على بأصحابه مثله فقوى رأيه في القبض على أخيه . وكان مع المقلد من الديلم والاكراد وغيرهم نحو ثلاثة آلاف رجـل تطلق لهم الارزاق فى كل شهر فحين عزم على ما عزم عليه جمعهم الى داره وأظهر بانه يريد المسير الى دقوقا [٤٢٥] و حلفهم على الطاعة واستوثق منهم

﴿ ذكر الحيلة التى عملها المقلد فى ذلك ﴾

كانت دار المقلد متصـلة بدار على ولم يكن مع على الا نحو مائة رجل من خاصته فامر بالنقب الى الموضع الذى هو فيه فى ليلة علم فيها انه سكران ودخل اليه ومعه عدة من خواصه فحمله على ظهر أحد الفراشين وحمله فى خزانته ووكل به جماعـة من غلمانه الاتراك . واستدعى فى الحال غلامين من البادية وسلم اليهما فرسين جوادين وأرسلهما الى صاحبته يقول لها : انى

قد قبضت على عليّ فخذي حذرك واسرعي في الحال بولديك قرواش و بدران الى تكريت فان أحمد بن حماد صديقي وهو يدفع عنكم ولاتخلفي ما تخلفينه وراءك في الحلة قبل ان يعرف أخي الحسن الخبر فيبادر اليك ويقبض على ولديك . فكد الغلامان فرسيهما ركضاً وتقريباً ووصلا الى تكريت في يومهما عند غروب الشمس وجلسا من تكريت في ركوة وانحدرا الى موضع الحلة وكانت على أربعة فراسخ منها فانذرا المرأة وأديا اليها الرسالة. فركبت فرساً وأركبت ولديها فرسين وهما يومئذ صغيران وساروا في الليل الى تكريت فدخلوها . (٤٢٦) وعرف الحسن بن اسيب حال القبض على أخيه من غلام أسرع اليه من الموصل بالخبر فبادر الحسن الى حلة المقلد ليقبض على ولديه وأهله وعنده انه يسبق اليهم ففاتوه وبطل عليه ما قدره من ذلك

وقام المقلد بالموصل يستدعي وجوه بني عقيل ويخلع عليهم ويقطعهم الى ان اجتمع عنده زهاء الفي فارس. وقصد الحسن حلل العرب باولاد علي وحرمه يستغيثون ويستنفرون ويقولون «ان المقلد قطع الرحم وعادي العشيرة وقبض على أميرها وانحاز الى السلطان» فنفر منهم نحو عشرة آلاف رجل وراسل المقلد وقال : انك قد احتجزت عنا بالموصل وأقمت فان كان لك قدرة على الخروج فاخرج . فاجابه بانه يخرج ولا يتأخر وسار على اثر الرسول وأخرج معه علياً أخاه في عمارية وهو محروس في نفسه مراعي في أحواله الا انه مستظهر عليه بالتوكيل. وقرب من القوم حتى لم يبق بين الفريقين الا منزل واحد بازاء الملث وجد في امر الحرب فحضره وجوه العرب واختلفت آراؤهم فقوم دعوه الى الصلح وصلة الارحام وقوم حضوه على المضي

والاقدام . وكان في القوم غريب ورافع ابنا محمد بن مقن فتنازعا القول عند المقلد وظهر من رافع حرص على الحرب وخالف غريب [1]

﴿ ذكر كلام سديد لغريب [٤٢٧] ﴾

قال لرافع : ما قولك هذا بقول ناصح أمين ولا ناصر معين فان كنت في هذا الرأي عليه فقد أخفرت الامانة وأظهرت الخيانة وان كنت معه فقد سعيت في تفريق الكلمة وهلاك العشيرة واطماع السلطان . والمقلد ممسك لا يتنفس [٢] فدخل عليه داخل وقال له: أيها الامير هذه اختك رهيلة بنت المسيب (وكانت عند جعفر بن على بن مقن) قريبة منك تريد لقاءك . فامتدت الاعين اليها فاذا هي في هودج على بعد فركب المقلد وسار حتى لحق بها وتحادثا طويلا ولا يعلم أحد ماجري بينهما الا انه حكي فيما بعد انها قالت له : يامقلد قد ركبت مركباً وضيعاً وقطعت رحمك وعققت ابن أبيك فراجع الاولى بك وخل عن الرجل واكفف هذه الفتنة ولاتكن سبباً لهلاك العشيرة ومع هذا فانني أختك ونصيحتي لاحقة بك ومتي لم تقبل قولي فضحتك وفضحت نفسي بين هذا الخلق من العرب . فلان في يدها ووعدها باطلاق علي وعاد في وقته فأمر بفك قيده ورد عليه جميع ما كان أخذه منه وأضاف اليه مثله ورتب له مخيما جميلا ونقله اليه واستكتب له أبا الحسن ابن أبي الوزير وجعله عيناً عليه متصرفا على أمره بين يديه

فاصبح الناس مسرورين بما تجدد من الصلح وزال من الخلف واجتمع المقلد مع على وتحالفا ومضى علي [٤٢٨] عائداً الى حلته والمقلد سائراً الى الانبار

---

(١) وأما غريب ففي ارشاد الاريب ٢:٣٠١ انه كان بعد الاربعمائة صاحب البلاد العليا تكريت ودجيل وما لاصقها.(٢) يريد لايتنفس

لقصد ابي الحسن علي بن مزيد ومقاتلته . فقد كان تظاهر بعصبية علي حين قبض عليه المقلد وطرق اعمال سقي الفرات واجتذب شيأ منها

ولما انفصل علي بن المسيب اجتمع اليه العرب وحملوه على مباينة المقلد فامتنع عليهم وقال : ان كان قد أساء فانه قد أحسن من بعد فما زالوا حتى غلبوه على رأيه وأصعد الي الموصل مباينا واعتصم من كان معه من أصحاب مقلد بهما بالقلعة فنازلها وفتحها واستولى على ما كان فيها . فطار الخبر الى المقلد فكر راجعاً واجتاز في طريقه على حلة الحسن وهو فيها فخرج اليه وشاهد من قوة عسكره ما خاف على أخيه منه فقال له : دعني أصلح ما بينك وبين أخيك وأضمن لك العهد فيما تريد منه ورفق به حتى استوقفه وسار في الوقت الى علي من غير ان يعود الى حلته فوصل اليه آخر النهار وقد جهد نفسه وفرسه وقال لعلي : أن الاعور قد أقبل بقضه وقضيضه وأنت غافل . ثم شاوره فاشار عليه ان يستميل كل من بالموصل من أهالي الجند الذين هم في جملة المقلد ويضمهم على [توسط] ما كان بينهم واستمالتهم فان قبلوا وفارقوا المقلد قاتله وان امتنعوا وأقاموا معه صالحه ففعل ذلك.

وكان المقلد قد قرب من الموصل وبات وهو متيقظ قد رتب الطلائع فظفر بقوم قد وردوا بالملطفات الى اصحابه فحملوهم اليه [٤٢٩] ووقف على ما معهم من الكتب فاصبح وقد عبىء عسكره وزحف الى الموصل وأيس علي والحسن من فساد جند المقلد عليه فخرج اليه ولاطفه [1] ثم دخل البلد وعلي عن يمينه والحسن عن شماله . وناوش العرب بعضهم بعضا طلباً للفتنة فخرج الحسن حلا وأرهب قوما وحسم الفتنة وحصل جميع الناس بالموصل على صلح

(١) يريد: فخرجا اليه ولاطفاه

ثم خوف على من المقام فخرج هارباً في الليل وتبعه الحسن وترددت الرسل بينهما و بين المقلد واستقر ان يكون دخول كل واحد منهما البلد عن غيبة الآخر وجرت الحال على ذلك الى بقية سنة ٣٨٩. وسار المقلد الي الانبار ممضيا لما كان عزم عليه من حرب على بن مزيد فدخل بلده واندفع على بن مزيد الى الرصافة ولجأ الى مهذب الدولة فقام بامره وتوسط ما بينه وبين المقلد حتى أصلحه وانصرف المقلد الى دقوقا ففتحها . وعدل الى تدبير أمر الحسن أخيه فان عليا مات فى أول سنة ٣٩٠ وقام الحسن في الامارة مقامه . فجمع المقلد بنى خفاجة بحللهم وبيوتهم وأصعد بهم الى نواحي برقعيد يظهر طلب بني نمير ويبطن الحيلة على أخيه. وعرف الحسن خبره فخاف ومضى في السر هارباً على طريق سنجار الي العراق فاسرى خلفه طمعاً فى اللحاق ففاته وعاد المقلد الى الموصل وأقام بها ثلاثة (٤٣٠) أيام وانحدر يقص آثاره فمضى الحسن الى زاذان واعتصم بالعرب النفاضة وتمم المقلد الى الانبار وعادت خفاجة معه . فاتفق فى أمره ما سيأتي ذكره فى موضعه ان شاء الله

وفيها عاد الشريف أبو الحسن محمد بن عمر الى بغداد نائبا عن بهاء الدولة

وفيها استكتب ولد أبي الحسن ابن حاجب النعمان للامير ابى الفضل ابن القادر بالله رضى الله عنهما وجلس الامير أبو الفضل وسنه يومئذ خمس سنين فدخل اليه الناس وخدموه (١)

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : وفى سنة ٣٧٢ ولد أبو الفضل محمد بن القادر بالله وهو الذى جعل ولى العهد ولقب الغالب بالله . وقال ايضا : وفى سنة ٣٨٨ قبض القادر بالله على كاتبه ابى الحسن على بن عبد العزيز وقلد كتابته أبا العلاء سعيد بن الحسن ابن برمك ثم بعد شهر بن ونصف عزله وأعاد ابا الحسن

﴿ ودخلت سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ﴾

وفيها هرب عبد الله بن جعفر المعروف بابن الوثاب من الاعتقال في دار الخلافة .

﴿ شرح حاله وما انتهى اليه أمره بعد هربه ﴾

هذا الرجل كان يقرب بالنسب الى الطائع لله وكان مقيما في داره فلما قبض عليه وخلع من الامر هرب هذا وتنقل في البلاد وصار بالبطيحة وأقام عند مهذب الدولة فكاتبه القادر بالله رضوان الله عليه في أمره (٤٣١) فأخرجه من بلده . ثم صار الى المدائن متنقلا فانتهى الى القادر بالله خبره فأنفذ من اعترضه وأخذه مقبوضا عليه وحبس في بعض المطامير . فامكنه فرصة في الهرب من موضعه فهرب ومضى الى كيلان وادعى انه هو الطائع لله وذكر لهم علامات عرفها بحكم أنسه بدار الخلافة فقبلوه وعظموه وزوجه محمد بن العباس أحد أمرائهم ابنته وشدّ منه وأقام له الدعوة في بلده وأطاعه أهل نواح أخر وأدوا اليه العشر الذي جرت عادتهم بأدائه الى من يتولى أمرهم في دينهم . وورد من هؤلاء الجيل الى بغداد قوم وصلوا الى حضرة القادر بالله رضي الله عنه فأوضحت لهم حقيقة الحال وكتب على أيديهم بازالة الشبه فلم يقدح ذلك فيه لاستقرار قدمه واعتضاده بحميه

وكان أهل جيلان يرجعون الى القاضي أبي القاسم بن كج[1] في أمور

---

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمته : يوسف بن أحمد بن كج القاضي الشهيد أبو القاسم الدينوري كان يضرب به المثل في حفظ مذهب الشافعي وجمع بين رياسة الفقه والدنيا وارتحل الناس اليه من الافاق رغبة في علمه وجوده وله مصنفات كثيرة وكان بعض الناس يفضله على أبي حامد شيخ الشافعية ببغداد قتله العيارون

دينهم وفتاويهم فى أحكامهم وله وجاهة عندهم فكوتب من دار الخلافة ورسم له مكاتبتهم بما يزيل الشبهة عن قلوبهم في أمر عبيد الله بن جعفر فكتب اليهم وصادف قوله قبولا منهم وتقدموا الى عبد الله بالانصراف عنهم فانصرف

وفيها أصعد أبو علي ابن اسمعيل من البطيحة الى حضرة بهاء الدولة فانصرف الشريف أبو الحسن محمد بن عمر من بغداد مستوحشا وعاد الى البطيحة (٤٣٢)

﴿ ذكر الحال فى حصول أبي علي ابن اسمعيل ﴾
﴿ بواسط ناظرا وما جرى عليه أمر ﴾
(الشريف أبى الحسن ابن عمر معه)

قد تقدم ذكر ماجرى عليه أمره فى استتاره ثم تنقل من موضع الى موضع حتى حصل بالبطيحة وعرض له مرض حدث به منه استرخاء فى مفاصله وصار الى قرية ابراهيم يطلب صحة الهواء بها . وراسل وروسل وكان بهاء الدولة جميل النية فيه وانضاف الى ذلك قصور المواد عنه وخروج البلاد عن يده واحتياجه الى من يدبر أمره واستقر النظر لأبى علي واصعد الى واسط . فلما حصل بها استوحش الشريف أبو الحسن ابن عمر وانصرف من بغداد الى حلة مقلد ورتب أبا الحسن ابن اسحق كاتبه فى ضياعه بسقى الفرات وتمم الى البطيحة . وشرع أبو علي ابن اسمعيل فى تتبع أسباب

بالدينور ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٠٥ رحمه الله تعالى . وهو صاحب وجه . قال لفقيه : يا أستاذ الاسم لأبى حامد والعلم لك . قال . ذاك رفعته بغداد وحطتني الدينور

الشريف أبي الحسن وأخرج ثلاثة من المتصرفين لقبض أملاكه ومعاملاته وتحصيل أمواله وغلاته فنظروا فيما كان له ببغداد دون ما كان له بسقي الفرات فان المقلد دفعهم عنها ومكن أبا الحسن ابن اسحق كاتب ابن عمر منها فكان يتناول ارتفاعها [٤٣٣] ويحمله اليه وهو بالبطيحة فلما انصلح ما بين الشريف أبي الحسن وبين أبي علي ضمن منه المتصرفين الثلاثة بمال بذله عنهم وأطلق يده فيهم وكان ذلك لؤما منه فما المؤتمر بالظلم بأظلم من الآمر

﴿ ذكر السبب فى صلاح ما بين الشريف أبي الحسن

(محمد بن عمر وأبي علي ابن اسمعيل) ﴾

كان أبو الحسن ابن يحيي السابسي سعى في الصلح بينهما وانحدر الى البطيحة وخلا بالشريف أبي الحسن ابن عمر وقال له : أيها الرجل مالك والتطرح والتشبث كلما تجدد ناظر ووزير مغرراً بنعمتك ونعمنا في معاداة من لا نصلح لموضعه ولا يصلح لموضعنا ؟ وهذا أبو علي مخايل سعادته لائحة فسالمه ودعني أتوثق لكل واحد منكما من صاحبه . ولم يزل به حتى لانت عريكته للقبول .

واتفق ان مهذب الدولة تنكر على أبي علي ابن اسمعيل بسبب تمور كانت لابن الحداد صاحبه فاستقصى أبو علي فى استقضاء ضريبتها بواسط فاطلق مهذب الدولة لسانه فيه ومهذب الدولة يومئذ بحيث يحتاج اليه الملك ومن دونه فانحدر أبو علي اليه لاستلال سخيمته واستصلاح نيته وتقدمه أبو الحسن ابن يحيي السابسي وقال للشريف أبي الحسن ابن عمر : قد ورد أبو [٤٣٤] علي وأمكنت الفرصة في اصلاح الحال . وأشار عليه بتلقيه وقضاء حقه فتلكأ قليلا ثم فعل ونزل فى زبزبه وصار الى أبي علي فلما صعد اليه

أكرمه وقام له وأجلسه الى المخدتين وحضر أبو نصر سابور فجلس الى جانب أبي علي عن يمينه وسلم كل واحد منهما على صاحبه وسأله عن خبره ثم قام الشريف

وانحدر أبو علي الى مهذب الدولة واجتمع معه واعتذر اليه وأخذ معه منه خمسة آلاف دينار على وجه القرض وخرج من عنده الى داره التي كان نزلها قبل الاصعاد . وجاء أبو الحسن ابن يحيي الى الشريف وألزمه العوداليه وقال له : تلك النوبة كانت للتلقي وهذه للصلح وتقرير القاعدة . فمضى اليه وتقرر بينهما على ان التزم الشريف عشرين الف دينار وحلف كل واحدمنهما لصاحبه على الصفاء والوفاء . وكان الشريف أبو الحسن قد استوثق قبل ذلك من بهاء الدولة بيمين كتبها له بهاء الدولة بخطه واستظهر بأخذ خط مهذب الدولة في آخرها يقول : ان الوفاء للشريف مقرون بالوفاء لي والغدر به معقود بالغدر بي ومتى عدل به عن العهود المأخوذة فلا عهد لبهاء الدولة في عنق ولا طاعة علي .

والتفت أبو على الى تقرير أمر أبي نصر سابور فوافقه على الاصعاد وآمنه من بهاء الدولة ومن كل ما يتخوفه وقرر أمر أبي غالب محمد بن على ابن خلف [٤٣٥] وغيره ممن كان قد بعد خوفا على خمسة آلاف دينار فحصل معه من هذه الوجوه ثلاثون الف دينار . وعاد الى واسط وفي صحبته الشريف أبو الحسن وأبو نصر سابور وجماعة من كان بالبطيحة من المتصرفين وسكنت الجماعة الى صدق وعد أبي على وصحة عهده ولقب بالموفق

وأشار على بهاء الدولة بالمسير الى خوزستان ومباشرة الخطب بنفسه وجد في تجريد العساكر فخالفه أبو عبد الله العارض في هذا الرأي وقال :

ان الملوك لا تغرّر ولا تخاطر ولا نضمن لها العاقبة في أمثال ذلك

﴿ ذكر ما دبره أبو على فى نصرة رأيه ﴾

أرسل الى الشريف أبي الحسن وقال: انى صائر اليك في هذه العشية وكانت فى شهر رمضان ثم صار اليه ومعه أبو العلاء الاسكافى خاله وأبو نصر سابور فافطروا عنده ثم خلوا وخامسهم السابسى فقال أبو على لابى الحسن ابن عمر: قد علمت أيها الشريف ما عليه أمر هذا الملك من الاختلال وقصور المادة به وخروج البلاد عن يده واننا من هذه الحروب والمطاولة على خطر ومتى لم نمدد أصحابنا (يعني أبا محمد ابن مكرم والغلمان الذين معه) (٤٣٦) بالمال لم يثبتوا وان عادوا فقد سلموا الدولة واذا أمددناهم ضاق الامر بهذا الملك ولم يكن له بد من مد اليد الى مالك ومال ابن عمك هذا (وأشار الى أبي الحسن السابسى) ومال كل ذي ثروة ولم يدفع عنكم ولا عنا دافع وان ساعدتني على ما أشير به من مسير بهاء الدولة بنفسه كنا بين ان يأتي الله بنصر فقد بلغنا المراد أو يقضى الله بغير ذلك فقد أبلينا العذر وبذلنا الاجتهاد. وفى غد تستدعى الي الدار وتشاور فيما قلته فان ضربته فقد استرحت منا بعد ذلك وعسى الله ان يأذن بالفرج وان ملت الى من يشير بخلاف هذا الرأى فالحال تفضى والله الى ما حسبته لك. فقال الشريف: كل هذا صحيح الا ان المشورة القاطعة على الملوك بمثل ذلك لا تؤمن عواقبها ولكن سأتلطف فيما تريده. فانقضى [١] المجلس

واستدعي الشريف في صبيحة تلك الليلة الي حضرة بهاء الدولة وجمع وجوه الاولياء وشوورت الجماعة فى خروج بهاء الدولة بنفسه فقال الشريف:

(١) لعله: فانفض

انما جمل الله الملوك أعلى منا يدا وأفضل تأييدا بما خصهم من الرأى الصائب والنظر الثاقب واذا كان الملك قدعزم على التوجه بنفسه فالله تعالى يقرن ذلك بالخيرة والسعادة ويجعله سببا لنيل الارادة . فقال ابو على ابن اسمعيل : أيها الملك فقد وافق الشريف رأيي ولم يبق الا امضاء العزيمة وتقديمها . وتفرق الناس[٤٣٧] على ذلك

﴿ ذكر مسير بهاء الدولة من واسط الى القنطرة البيضاء ﴾

لما استقر الامر على المسير بدأ أبو على باخراج أبي الحسن محمد بن عمر وأبي نصر سابور وأبي نعيم الحسن بن الحسين الى بغداد على ان يكون الى أبي الحسين حفظ البلد والى أبي نصر ملاحظة الامور والى أبي نعيم جمع المال واقامة وجوه الاقساط . ثم جد في تسيير بهاء الدولة وتحصيل ما يزجى به الامر من الآلات والظهور حتى استعان ببغال الطحانين وسار على اختلال في اهبته واقلال من عدته حتى نزل الموضع المعروف بالقنطرة البيضاء وثبت أبو على ابن أستاذ هرمز بازائه وجرت بين الفريقين وقائع كثيرة وضاق ببهاء الدولة وبعسكره الميرة فاستمد من بدر بن حسنويه فامده بدر بما قام ببعض الأود وأشرف الامر على الخطر . ووجد أعداء أبي على بن اسمعيل مجالا في الطعن على رأيه بتعريض الملك وأوغر صدر بهاء الدولة عليه حتى كاد يبطش به فتجدد من خروج ابني بختيار وقتل صمصام الدولة ما يأتي ذكره وجاء من الفرج ما لم يكن في الحساب وانقلب الرأى الذى كان خطأ الى الصواب[٤٣٨]

ربما تجزع النفوس من الامر * له فرجة كحل العقال

فاجتمعت الكلمة على بهاء الدولة ودخل أبو على ابن أستاذ هرمز ومن معه من الديلم في طاعته وسيأتى شرح ذلك من بعد بمشيئة الله تعالى .

وفيها جلس القادر بالله رضوان الله عليه للرسولين الواردين من أبي طالب رستم بن فخر الدولة وأبي النجم بدر بن حسنويه وكنى أبا النجم بدرا ولقّبه نصرة الدولة وعهد لابي طالب على الري وأعمالها وعقد له لواء وحمل اليه الخلع السلطانية الكاملة وعهد لبدر على أعماله بالجبل وعقد له لواء وحمل اليه الخلع الجميلة وذلك بسؤال بهاء الدولة وكتّابه . فاما مجد الدولة فانه لبس الخلع وتلقب وأما بدر فانه كان سأل ان يلقب بناصر الدولة فلما عُدل به عنه الى نصرة الدولة توقف عن اللقب ثم أجيب فيما بعد سؤاله فلقب بناصر الدين والدولة فقبله وكتب وكوتب به

وفيها حدثت بفارس أمور كانت سببا لانتقاض ملك صمصام الدولة وقتله في آخرها

﴿ شرح الحال في الامور التي أدت الى قتل صمصام الدولة ﴾

قد تقدم ذكر ما كان العلاء بن الحسن اعتمده بعد تلك النكبة التي صار بها [٤٣٩] موترا من السعي في هلاك الدولة باطماع الجند وايجاب الزيادات التي تضيق المادة عن القيام بها ثم مضى لسبيله وقد اضطربت امور صمصام الدولة وطال تبسط الديلم عليه وقصرت مواده عما يرضيهم به . فامتدت عيونهم الى اقطاع السيدة والرضيع والحواشي فبدأ الديلم الذين كانوا بفسا وطالبوا عاملها بما استحقوه وألزموه مد اليد الى الاقطاعات للمذكورين وارضائهم بها فأبى عليهم فثاروا وشغبوا وحملوه الى باب شيراز على غضب وشغب فلم يقدم أحد من أصحاب صمصام الدولة على الخروج اليهم وأقاموا ثلاثة أيام ثم قتلوا العامل وذكروا الحواشي بما أزعجهم فبعدوا عن مواضعهم خوفا منهم . وخرج صمصام الدولة بنفسه اليهم فلقوه بالغلظة ولقيهم بالرفق

واشتدوا عليه ولان لهم وأجابهم الى ملتمساتهم وسكنوا وعادوا الى مواضعهم بفسا [١] فاستولوا على اقطاعات الحواشي جميعها .

ومضت على ذلك مدة وزاد الامر على صمصام الدولة في انقطاع المواد عنه واجتماع الديلم عنده ومطالبتهم له فضاق بهم ذرعا

﴿ ذكر رأى خطأ لم تحمد عواقبه [٤٤٠] ﴾

أشار على صمصام الدولة نصحاؤه بعرض الديلم في جميع الاعمال وامضاء كل من كان صحيح النسب أصيلا واسقاط كل من كان متشبها بالقوم دخيلا والاتساع بما ينحل من الاقطاعات عنهم بهذا السبب فعمل هذا القول فيه وعزم على العمل به وتقدم الى مدبرى أمره بذلك فقيل له : ان ديلم فسا يتميزون بكثرة العدد وشدة البطش ولا يقدر على عرضهم الا أبو جعفر أستاذ هرمز بن الحسن فان له معرفة بالانساب والاصول وهيبة في العيون والقلوب . فاستقر الامر على استدعائه من كرمان واخراج أبي الفتح أحمد بن محمد بن المؤمل ليقوم مقامه بها ففعل ذلك وعاد أبو جعفر فاخرج الى فسا فلما حصل بها وأظهر ما رسم له وبدأ بالعرض ومسير [٢] الصفاء من الاوباش فما استتم العرض حتي سقط بها ستمائة وخمسين رجلا وفعل أبو الفتح ابن المؤمل مثل ذلك فاسقط نحو أربعمائة رجل . وحصل هؤلاء المسقوطون وهم أرباب أحوال وأولو قوة وبأس متشردين متلددين يطلبون موضعا يقصدونه ومنشرا [٣] يصعدونه .

واتفق ان ابني بختيار وهما أبو القاسم اسبام وأبو نصر شهفيروز قد خدعا الموكلين بهما في القلعة فساعدوهما وأفرجوا عنهما فجمعا الى نفوسهما من

(١) وفي الاصل : نفسا (٢) لعله : وميز (٣) لعله : ونشزاً

لفيف الاكراد (٤٤١) من قوى به جانبهما واتصل خبرهما بمن[1] أسقط من الديلم فصاروا اليهما فوجا بعد فوج . فلما استحكم أمرهما سارا لاخذ البلاد وصار أبو القاسم اسبام الى ارجان فملكها ودفع أصحاب صمصام الدولة عنها وتردد أبو نصر شهفيروز في الاعمال مستمدا للاموال ومستميلا للرجال . وتحير صمصام الدولة في أمره ولم يكن بحضرته من ينهض بالتدبير ليقضى الله أمرا سبق فى التقدير .

وكان أبو جعفر أستاذ هرمز مقيما بفسا على ما تقدم ذكره فلما تجدد من ابني بختيار ما تجدد اجتمع اليه نسوة من نساء أكابر الديلم المقيمين بخوزستان عند أبي على ولده وكنّ يجرين مجرى الرجال فى قوة الحزم واصالة الرأى والمشاركة في التدبير

﴿ ذكر رأى سديد أشرن به على أبي جعفر فلم يقبله ﴾

قلن له : أنت وولدك[2] اليوم صاحبا هذه الدولة ومقدماها وتدلاحت لنا أمور نحن مشفقات منها ومعك مال وسلاح وانما يراد مثل ذلك للمدافعة عن النفس والجاه . فالصواب ان تفرق ما معك على هؤلاء الديلم (٤٤٢) الذين هم عندك وتأخذهم وتمضى الى شيراز وتسير صمصام الدولة الى الاهواز وتخلصه من الخطر الذى قد أشرف عليه فانك اذا فعلت ذلك أحييت الدولة وقضيت حق النعمة وتقربت الرجال الي قلوب رجالنا المقيمين هناك . ومتى لم تقبل هذه المشورة وثب هؤلاء الديلم عليك ونهبوك وحملوك الي ابنى بختيار فلا المال يبقى ولا النفس تسلم . فشح أستاذ هرمز بما معه وغلب

(١) وفى الاصل : ثم   (٢) وفي الاصل : ووالدك . والمراد به هو ابنه أبو على الحسن عميد الجيوش

عليه حب المال فغطى على بصيرته حتى صار ما أخبر به حقا فنهب داره واصطبله ونجا بنفسه واستتر في البلد فدل عليه وأخذ [١] وحمل الى ابن بختيار ثم احتال لنفسه فخلص من يده

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر صمصام الدولة بعد ﴾
﴿ خروج ابني بختيار الى ان قتل ﴾

لما أظله من أبي نصر ابن بختيار ما لا قوام له به أشار عليه خواصه ونصحاؤه بصعود القلعة التي على باب شيراز وقالوا له : انك اذا حصلت فيها تحصنت بها وكان لك من الميرة والمادة ما يكفيك الشهر والشهرين ولم تخل من أن ينحاز اليك من الديلم من يقوى به أمرك . فعزم على ذلك وحاول الصعود [٤٤٣] اليها فلم يفتح له المقيم فيها فازداد تحيرا في أمره فقال له الجند وكانوا ثلثمائة رجل : نحن عدة وفينا قوة ومنعة وينبغي أن تقعد أنت ووالدتك في عمارية لنسير بك الى الاهواز ونلحقك بابى على ابن أستاذ هرمز وعسكرك المقيمين معه ومن اعترضنا في طريقنا دافعنا برؤسنا عنك وبذلنا مهجتنا دونك . فقال الرضيع : هذا أمر فيه غرر والوجه ان نستدعي الاكراد ونتوثق منهم ونسير معهم . فمال الى هذا الرأي وراسل الاكراد واستدعاهم وتوثق منهم وخرج معهم بخزينته وجميع ذخائره فلما بعدوا عن البلد عطفوا عليه ونهبوا جميع ماصحبه وكادوا يأخذونه فهرب وصار الى الدودمان على مرحلتين من شيراز . وعرف أبو نصر ابن بختيار خبر انفصاله فبادر الى شيراز ونزل بدولتاباذ وطمع طاهر الدودماني رئيس القرية في صمصام الدولة واستظهر عليه الى أن وافى أصحاب ابن بختيار فاخذوه وقتلوه وذلك

---

(١) وفي الاصل : واحد

فى ذى الحجة سنة ٣٨٨ وكانت مدة عمره خمسا وثلاثين سنة وسبعة أشهر.

وما أقلها من مدة وأسوأها من عاقبة أمر فلقد كانت حلاوة دولته يسيرة ومرارة مصائبه في ملكه ونفسه كثيرة فما وفى شهده بصابه [٤٤٤] ولاعوافيه باوصابه ولم يكن له في أيامه يوم زاهر ولا من ملكه نصيب وافر

وان امرأ دنياه أكبر همه * لمستمسك منها بحبل غرور

وقبض على والدته وعلى الرضيع وقوم من الحواشى. وجاءت امرأة من الدودمان تسمى فاطمة فغسلت جثته وكفنتها ودفنتها وأحضر رأسه فى طست بين يدى أبى نصر ابن بختيار فلما رآه قال مشيرا اليه «هذه سنة [سنها] أبوك» وأمر برفعها.

وأما والدته فانها سلمت الى لشكرستان كور فطالبها وعذبها فلم تعطه درهما واحدا فقتلها وبنى عليها دكة. وأما الرضيع فانه قتل بعد ذلك وبعد ان صودر واستصفى ماله

﴿ ودخلت سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ﴾

وفيها دخل أبو على ابن أستاذ هرمز والديلم فى طاعة بهاء الدولة واجتمعت الكلمة عليه وملك شيراز وكرمان فاستتبت أموره واستقامت أحواله واستقرت دولته واهتزت سعادته

﴿ شرح ما جري عليه الحال في ذلك [٤٤٥] ﴾

قدتقدم ذكر نزول بهاء الدولة بالقنطرة البيضاء وتكرر الوقائع بين الفريقين وأقام بهاء الدولة شهرين وأكثر يطلب مناجزة الديلم وهم يقصدون مدافعته ومحاجزته وطال الامر بينهم. وكان أبو على ابن اسمعيل الملقب بالموفق يباشر الحرب ويتولى التدبير وكان معه مناح صاحب محمد بن عباد مع مائة

فارس من السادنجان فرتبهم في الطلائع وأمرهم ان يقتصوا أمر كل من يخرج من السوس أو يدخلها فيأخـذوه . وضاق الامر بالديلم من هـذا الحصار وبهاء الدولة من تعـذّر الميرة وتطاول الايام وأشرف على العود حتى انه لو تأخر ما تقدم من أمر ابي بختيار وقتل صمصام الدولة لانهزم بهاء الدولة

﴿ ذكر حيلة رتبها أبو على ابن أستاذ هرمز برأيه فكشفها ﴾
﴿ أبو على ابن اسمعيل بألمعيته ودهائه ﴾

وكان بهـاء الدولة وكّل رجاله الفرس لاخـذ من يوجـد فى الجواد فظفروا برجل معه زنبيل دستنبوا فحملوه الي المعسكر وسئل عن أمره فقال : أنا عابر سبيل أتعيش بحمل هذا المشموم من موضع الي موضع. (٤٤٦) فهدد وخوّف حتى أقر بانه رسول الفرخان الى الصاحب أبي على ابن أستاذ هرمز بملطف معه « انا سائرون من طريق عند قرب وصولنا فتصمد للقاء القوم » فلما وقف بهاء الدولة على ذلك قلق قلقا شديدا وقال : كل من يطعن على رأى [أبي] على ابن اسمعيل ويعاديه . . . . وان قصـدنا من هـذا الجانب فقد حصلنا في أيدى القوم أسارى وأعوزنا الهرب وضاق بنا المذهب فتابع بهاء الدولة الرسـل الى أبي على ابن اسمعيل وكان فى الحرب يستدعيه فحين حضر أعلمه الحال وأعطاه الملطف فلما قرأه قال : هـذا محال . وخرج من بين يديه وأحضر الرجل المأخوذ وقال له : اصدقني . ووعده بالجميل فلم يزده على القول الاول فامر بشده وعمد اليه بدبوس فضربه بيده ضربا مفرطا فلما برّح به الضرب قال : خـلونى أصدقـكم انا رجـل من أهـل السوس استدعاني أبو على ابن أسـتاذ هرمز وسلم اليّ هذا الملطف وقال لى : امض وتعرض للوقوع فى أيدى أصحاب بهاء الدولة فاذا وقعت وسئلت عن أمرك

فقل « اني رسول الفرخان الى الصاحب ومعي هذا الملطف » وأصرر على قولك وأصبر للمكروه ان أصابك فانى أحسن اليك . فعاد أبو علي ابن اسمعيل الى حضرة بهاء الدولة وأخبره بالصورة وانها منصوبة (٤٤٧) فسكن قليلا وقال للحواشي : ان القول الاول هو الصحيح وان الضرب والمكروه أحوجا الرجل الى هذا القول الثاني

﴿ ذكر حزم اعتمده أبو علي ابن اسمعيل في تلك الحال ﴾

رأى ان الاخذ بالحزم أصوب على كل حال وانفذ ابن مكرم والفتكين الخادمي مع عدد من الاتراك الى تستر وأمرهما بالنزول على الوادي لمنع حتى ان حضر من يحاول العبور دفعاه فسارا الى حيث امرهما وخيما به وأقاما أياما ووافي خرشيد بن باكليجار [1] [و] الكوريكى فى عدة كثيرة من الديلم والرجالة فتقدم ابن مكرم والفتكين الى أصحابهما بقلع الخيم والتحمل لان عدتهم كانت قليلة وساروا حتى غابوا عن مطرح النظر ثم كمن الفتكين الخادمي والغلمان فى بعض المكامن الى أن عبر الديلم والرجالة وحصلوا امامهم على أرض واحدة فحمل الفتكين وصاح الغلمان وارتفع الغبار وظن القوم [انهم] فى عدد كثير فتواقعوا فى الوادي منهزمين وقتل خرشيد والكوريكي وجماعة من أصحابهما . وكان ذلك فى اليوم الذى انصلح ما بين الديلم والسوس وبين بهاء الدولة ووقع التحالف ووصل من غد وقد اختلط الفريقان

وأما (٤٤٨) ما جرى عليه الامر في دخول الديلم في طاعة بهاء الدولة فان أبا علي ابن اسمعيل كان قد اعتمد ما يعتمده من اراي الاصيل وشرع فى استمالة قوم من العسكر الى طاعة بهاء الدولة . وترددت بينه وبين

---

(١) فى الاصل : باكجار

شهرستان مراسلات بوساطة بهستون بن ذرير وقرر الامر في اجتذابه وامالته ثم اتفق ان المعروف بتناح الكردى المرتب في الطلائع ظفر بركابى ورد من شيراز فاخذه وأحضره عند أبي على أبن اسمعيل فسأله عن حاله فاخبره بالخطب الحادث بشيراز وأخرج كتابا كان معه من بنى زياد الى شهرستان يشرح ما جرت عليه الحال في قتل صمصام الدولة فلما وقف أبو علي ابن اسمعيل على الكتاب طالع بهاء الدولة مضمونه ثم أعاده على الركابي ليتمم الى حيث بعث ثم قال أبو على لبهستون: انه لم يبق لشهرستان بعد اليوم عذر فان كان على العهد فليقدم الدخول فى الطاعة. فمضى بهستون الى شهرستان وقرر معه ان يتحيز في غد ذلك اليوم مع ثلثمائة رجل من الجيل الى بهاء الدولة وتفارقا على هذا الوعد. فاحس فناخسره بن ابي جعفر بما عزم عليه شهرستان فقصده وخلا به.

﴿ ذكر كلام سديد لفناخسره بن ابي جعفر (٤٤٩) ﴾

قال لشهرستان: قد بلغني ما أنت عازم عليه وحالى عند بهاء الدولة الحال التى لاتخفى ونيته في النية التي تخالف وتحتمي ومتى عجلت فى الانحياز اليه هلكت وهلك الديلم باسرهم ولزمك على كل حال صلاح امرهم فانظرنى ثلاثة أيام لاسبر جرح هذه القصة بمراسلة بهاء الدولة فان رجوت لها برأ واندمالا اتفقت معك فى امضاء العزيمة واجتماع الكلمة وان تكن الاخرى أخذت لنفسي وتوجهت أنا وأهلي الى بلدتى ثم افعل ما بدا لك فاجابه شهرستان الى ذلك وبكر أبو علي ابن اسمعيل على رسمه الى الحرب متوقعا من شهرستان انجاز الوعد فراسله بالعذر المتجدد فضاق ابو علي بذلك ذرعا واعتقد انه كان سخرية ودفعا فقال له بهستون: ان مصداق هذا القول يبين عند غسق الليل فان جاء رسول

فناخسره فقد صدق شهرستان ووفا وان تأخر فقد كذب وغدر والموعد قريب.
فلما جن الليل ورد رسول فناخسره برسالة يعتذر فيها من سابق الافعال ويطلب الامان على استئناف الخدمة في مستقبل الحال وأجيب بما يسكن اليه ووثق به.

ووصل في أثناء ذلك كتاب ابني بختيار الى أبي علي ابن أستاذ هرمز يذكران فيه سكونهما اليه وتعويلهما عليه ويبسطان أمله كما يفعله مبتدىء بملك يروم أحكام قواعده وأركانه (٤٥٠) واستمالة اعضاده ويأمرانه باخذ البيعة لهم على الديلم قبله والمقام على الحرب التي هو بصددها. فاشفق أبو علي بما سلف له من الدخول اليهما ولم يثق بوفائهما بعد قتل أخويهما وحقيق بمن قتل للملوك شقيقاً ان يكون على نفسه شفيقا. وبقي متلدداً في أمره متردداً في فكره مجيلا للرأي في صدره فرأى ان الدخول في طاعة بهاء الدولة أصوب والتحيز اليه أدنى من السلامة وأقرب

﴿ ذكر مادبره أبو علي ابن أستاذ هرمز في صلاح حاله مع بهاء الدولة ﴾

جمع وجوه الديلم وشاورهم فيما ورد عليه من كتاب ابني بختيار فاجمعوا رأيهم على الاعتزاء الى طاعتهما والثبات في حرب بهاء الدولة على ما هم عليه فلم يوافقهم على رأيهم وقال: ان وراثة هذا الملك قد انتهت الى بهاء الدولة ولم يبق من يجوز له منازعة بهاء الدولة فيه وان نحن عدلنا عنه الى من داره منا نائية ونيته عنا جافية أضعنا الحزم والصواب الدخول في طاعة بهاء الدولة بعد التوثق منه. فامتنعوا وقالوا: كيف نسلم نفوسنا للأتراك وبيننا وبينهم ما تعلم من الطوائل؟ فقال لهم: اذا كان هذا رأيكم (٤٥١) فاني أسلم ما معي من المال والعدة اليكم وأنصرف بنفسي عنكم وأنتم لشانكم أبصر. وتقوض المجلس ثم وضع أكابرهم على ما يقولونه ويفعلونه

وكان قد أنفذ الى أبي علي ابن اسمعيل من يلتمس منه شرابا عتيقا للعلة التي به فقال أبو علي ابن اسمعيل لبهاء الدولة : انه ما طلب منا شرابا ولكنه أراد ان يفتح لنا في مراسلته بابا . فانفذ بهاء الدولة رسولا يقول : انه قد كنت أنت والديلم معذورين قبل اليوم في محاربتي حين كانت المنازعة في الملك بيني وبين أخي فاما الآن فقد حصل ثاري وثاركم في أخي عند من سفك دمه واستحل محرمه ولا عذر لكم في القعود عني في المطالبة بالثار واستخلاص الملك وغسل العار . فكان من جواب أبي علي ابن أستاذهرمز [بعد] السمع والطاعة لقوله ان الديلم مستوحشون والاجتهاد في رياضتهم واقع وسأل في انفاذ أبي احمد الطبيب لمعرفة قديمة كانت بينهما فأنفذ اليه

﴿ ذكر كلام سديد لأبي علي ابن أستاذ هرمز ﴾

لما حضر الطبيب عنده قال له : قد علمت اصطناع صمصام الدولة اياي (٤٥٣) واحسانه الي وما وسعني الا الوفاء في خدمته وبذل النفس في مقابلة نعمته وقد مضى لسبيله وصارت طاعة هذا الملك واجبة علي ونصيحته لازمة لي وهؤلاء الديلم قد استمرت بهم الوحشة والنفور واستحكمت بينهم وبين الاتراك الترات والذحول وبلغهم ان الاقطاعات عنهم مأخوذة والى الاتراك مسلمة ومتى لم يظهر ما يزول به استشعارهم وتسكن اليه قلوبهم وبادرهم لم يصحب جنبهم فمضى الطبيب الى بهاء الدولة بالرسالة وعاد بالجواب الجميل الذي تسكن الى مثله وتردد من الخطاب ما انتهى آخره الى حضور جماعة من وجوه الديلم الى بهاء الدولة لاستماع لفظ بيمين بالغة في التجاوز عن كل اساءة سالفة وأخذ أمان وعهد بزوال كل غل وحقد . فلما طابت نفوس هؤلاء بالتوثق كاتبوا أصحابهم المقيمين بالسوس بشرح الحال .

وركب بهاء الدولة في ثاني اليوم الى باب السوس يتوقع دخول الكافة في السلم فخرج الديلم فقاتلوا قتالا شديداً لم يعهدمثله منهم فيما تقدم فضاق صدره وظن ان ذلك عن فساد عرض أو لامر انتقض فقال له الديلم : طب نفساً فالآن نظهر تسليمهم الامر اليك فمن عادتهم ان يقاتلوا عند التسليم أشد قتال لئلا يقدر انهم سلموا عن عجز او ضعف . وكان الامر على ذلك [٤٥٣] لأنهم استوثقوا في اليوم الثالث بنسخة يمين نفذوها الى بهاء الدولة فحلف بها هو ووجوه الاتراك .

والتمس الديلم لابي على ابن اسمعيل ان يحلف لهم فامتنع وقال : هذه يمين يدخل فيه الملوك وجندهم فاما الحواشي فهم بمعزل عنها . فلم يقنعوا بذلك فألزمه بهاء الدولة الحلف فحلف . وجلس بهاء الدولة للعزاء بأخيه ثم ركب بالسواد فتلقاه الناس وخدموه وصار اليه ابو على ابن أستاذ هرمز واختلط العسكران

ومن قبل ذلك بيوم اويومين قتل الديلم أبا الفتح ابن الفرج نقيب نقبائهم

﴿ ذكر السبب في ذلك وما كان من مكيدة ﴾

(أبي على ابن أستاذ هرمز في امره)

كان هذا الرجل مقدما في العسكر فاستدعى ابو على ابن اسمعيل أخاه سهلان من بغداد وجعله وسيطاً معه ليستميله فلما استقر معه الدخول في طاعة بهاء الدولة قال لهم ابو على ابن استاذ هرمز : هذا ابو الفتح رجل شرير وهو خبير بأموركم واسبابكم وأصولكم وأنسابكم فان اجتمع مع ابي على أظهر له من أسراركم ما لم يطلع عليه ودله من اموركم على ما لا يهتدى [٤٥٤] اليه . فقالوا : سندبر امره . ثم اجمعوا رأيهم على قتله فقتلوه

ولما اختلط العسكران سار بهاء الدولة الى السوس ومعه ابو على ابن سمعيل وحوله الديلم والاتراك

﴿ ذكر رأي طريف رآه ابو علي ابن اسمعيل لا يعلم موجبه ﴾

لما قرب بهاء الدولة من مضربه عدل ابو علي الى خيمته المختصة به ولم يتمم معه حتى ينزل على ما جرى به رسمه . ونزل بهاء الدولة وطلب الديلم ابا علي فلم يجدوه وقالوا : من يكلمنا . وانتهى الخبر الى بهاء الدولة فأرسل الى ابي علي يستدعيه فاحتج بعارض عرض له ولم يحضر فخرج بهاء الدولة بنفسه اليهم وكلمهم حتى انصرفوا

وأظهر ابو علي ابن اسمعيل الاستعفاء واقام على امر واحد فيه حتى وقعت الاجابة اليه وكتب له منشور بعيشة التمسها فأذن له في العود الى بغداد والمقام في داره وشاع هذا الخبر بين العسكر فركب وجوه الاتراك الى مضرب بهاء الدولة فأخرج اليهم الحجاب ليسألوهم عن حاجتهم فطلبوا لقاء الملك فأخرج اليهم اباعبدالله العارض ليستعلم منهم مرادهم فما زادوه على القول الاول فأوصلهم (٤٥٥)

﴿ ذكر ماجرى بين الاتراك وبين بهاء الدولة من الخطاب ﴾

لما دخلوا الى حضرته وقفوا وقالوا : يا أيها الملك قد خدمناك حتى بلغت مناك ولم تبق لك علينا حجة ولا بك الى مقامنا حاجة وما فينا الا من نفذت نفقته ونقصت عدته ونسأل الاذن لنا في العود الى منازلنا انصلح حالنا ومتى احتيج الينا من بعد رجعنا . فأنكر هذا القول منهم وسألهم عن سببه فراجعوه وراجعهم حتى قالوا : هذا وزيرك الموفق الذي عادت الدولة اليك على يده واستقامت احوالنا بيمن نقيبته قد صرفته وما لنا من يشهد بمقاماتنا المحمودة عندك سواه ولا نجد في الوساطة بيننا وبينك من يجرى مجراه وليس من السياسة صرف مثله ولا قبول قول من يشير عليك ببعده . قال بهاء الدولة : ومن يريد ذلك . قالوا : الذي كتب له المنشور منك وهون

خطبه عندك (اشارة الي أبي عبدالله العارض) قال : معاذ الله ان اقبل فيه قولا ولكنه لج فوافقته وسأل فأجبته والرأي ما رأيتموه من التمسك فكونوا الوسطاء معه في تطييب قلبه فانصرفوا عن حضرة[٤٥٦] بهاء الدولة الي مخيم ابي علي أبن اسمعيل وقد عرف خبرهم فحجبهم فراجعوه حتي أوصلهم فلما دخلوا عليه عاتبهم علي ما كان من خطابهم فى معناه وقال : ليس من حقي عليكم ان تعترضوا علي بما لا أهواه . فقالوا : دع عنك هذا القول فان حراسة دولة صاحبنا التي بها ثباتنا وفيها حياتنا أولي من قضاء حقك في موافقتك على غرضك . وما زالوا به حتي ركب الي مضرب بهاء الدولة فلقى منه ما أحبه وعاد الي عادته في تدبير الامور وتنفيذها

وأذن لجماعة من الاتراك في العود الي مدينة السلام وتوجه [مع] بهاء الدولة الى الاهواز

﴿ ذكر ما دبره أبو على ابن اسمعيل بالاهواز ﴾

أول ما بدا بالنظر فيه امر الاقطاعات وتقريرها بين الديلم والاتراك وعول في ذلك على ابى علي الرخجي الملقب من بعد بمؤيد الدولة واستقرت المناصفة. ثم امتنع ديلم دستر عن الدخول في هذا الحكم وكادت القاعدة تنتقض والاستقامة تضطرب والشر بين الفريقين يعود جذعا . فقام الرخجي في التوسط بينهم مقاما محمودا علي ان تكون أبواب المال في قصبات البلاد مقرة على من هي بيده وتكون المناصفة فيما عداها من الضياع[٤٥٧] والسواد فتراضوا بذلك

وأفردت له خيمة كان يحضر فيها ومعه فناخسره بن ابي جعفر والفتكين الخادمى ومن يتبعهما من وجوه الطائفتين فتولى تقرير المناصفات واخراج الاعتدادات واشتراك طائفة مع أخرى وكتب الاتفاقات فلم تمضي ايام

فلا ئل حتى انتجز الامر على المراد

وكان الفرخان قد فارق الاهواز ومضى الى ايذج مستوحشا وأنفذ أبو محمد ابن مكرم اليه بما وثق به من الامان فأمنه وعاد به فلما ورد الفرخان خلع عليه أبو على ابن اسمعيل واستخلفه مدة بين يديه ثم سيره أمامه الى بلاد سابور والسواحل

وأخرج شهرستان بن اللشكري في عدة كثيرة من العسكر مقدمة الى أرجان فصار اليها ودفع ابن بختيار عنها فلحق بأخيه المقيم بشيراز

﴿ ذكر رأى أشار به أبو علي ابن اسمعيل على بهاء الدولة ﴾

أشار عليه بان يستدعي الامير أبا منصور ولده ويرتبه بالاهواز ويضم اليه أبا جعفر الحجاج وان يسير بنفسه الى فارس واذا فتحها استدعى الامير ابا منصور واقامه فيها وانكفأ الى الاهواز فجعلها للامير ابي شجاع (٤٥٨) وقصد البصرة فاذا ارتجعها جعلها للامير ابي طاهر وعاد الى بغداد فاستوطنها ودبر امر الموصل منها . فلم يعجب بهاء الدولة هذا الراي وكان ابو علي قبل ان يفاوض بهاء الدولة في ذلك فاوض ابا الخطاب حمزة بن ابراهيم فيه (وأبو الخطاب يومئذ يذرب عنه بحضرة بهاء الدولة) فقال له ابو الخطاب : أنا أعرف بأخلاق الملك وأغراضه والصواب لك ان تدعه بالاهواز وتسير أنت والعسكر الى فارس فاذا فتحتها أقمت بها ورتبت للنظر في الاهواز بحضرة بهاء الدولة من تأمنه وترتضيه فانك اذا بعدت عنه حصلت من تلك البلاد في مملكة واسعة وتصرفت على اختيارك من غير معارضة ما نعة. فانه متى ساومك كنت بين ان تستبد برايك اوتخالفه فيوغر صدره عليك ولا تأمن ما يكون من بوادره اليك وبين ان تصبر على معارضته لك فتجرع الغيظ منه بالاحتمال او تظهر من الاستعفاء ما يؤدي الى فساد الحال.فلم يقبل

أبو علي منه واستبد برأيه وعمل أبو الخطاب بالاحوط لنفسه وانحرف عن أبي علي ومال الى مطابقة بهاء الدولة فيما يتفق عليه

قد استمررنا على النهج في ذكر ما وجدناه في التاريخ ونحن نرى ان أبا علي أصاب في رأيه ولا نرى حزما فيما أشار به أبو الخطاب عليه من البعد عن حضرة ملك سريع (٤٥٩) التقلب في الاحوال كثير القبول للاقوال اذا بني معه أمر نقض واذا عقد معه عهد نكث فاذا كان الباني مع حضوره يخاف انتقاض بنائه فكيف يثق ببنائه اذا غاب عن فنائه ? وهل مجال الاعداء في الطعن على الوزراء وهم مقيمون في منصب عزهم كمجالهم اذا خلت الحضرة منهم ببعدهم ? كلا ان لسان الغيبة يطول عند الغيبة مع البعد عن بساط المراقبة والهيبة وكل مجر في الخلاء يسر[1]. فما أخطأ أبو علي فيما رآه وما عليه ان خانه مقدور فالقدر حتم والمرء معذور

غلام وغى تقحمها فابلى * فخان بلاءه الزمن الخؤون

وكان على الفتى الاقدام فيها * وليس عليه ماجنت الظنون

وأطرف من ذلك مشورة أبي الخطاب عليه باستخلاف من يأمنه بالحضرة ليحفظ عنه وأين الامين الذي يرعى العهد اذا لابس الحل والعقد ? أليس أبو الخطاب وكان نائبه وصنيعته جحد احسانه وطلب مصلحة نفسه فتبرأ منه وخانه ? وكذلك كل ذي ثقة اذا استحلى الدنيا [صار] ظنينا وكل ذي ثقة اذا حسد[2] صار عدوا مبينا . ورب أخ قد شاق في الحسد أخاه بل ربما ولد عق في طلب الرتبة أباه ومثل ذلك موجود (٤٦٠) نشهده ونراه . وانما

(١) تفسير المثل عند الميداني (طبع بيروت ١٣١٢) ٦ : ١٠٦

(٢) وفي الاصل : حسد الدنيا

كان خطأ أبي علي فى افراط اعجابه وكثرة ادلاله وشكاسة أخلاقه ومنافسته لولى نعمته فالملوك لا يشاكسون وأولياء النعمة لا [1] ينافسون . ومع ذلك

فلكل أجل كتاب والصواب مع الشقاوة خطأ والخطأ مع السعادة صواب

والناس من يلق خيرا قائلون له * ما يشتهى ولام المخطئ الهبل

ونعود الى سياقة الحديث

ولما استفر ما بين الديلم من المناصفات عول على أبي جعفر الحجاج في المقام بالاهواز وسار بهاء الدولة وابو على الي الموفق الى رامهرمز وتقدم ابو على مع العسكر وصار اليه أبوجعفر أستاذ هرمز فى بعض الطريق هاربا من ابن بختيار

﴿ ذكر خلاص أبي جعفر أستاذ هرمز ﴾

قد تقدم ذكر حصوله في قبضة ابن بختيار فقرر أمره على الف الف درهم وأدى أكثرها ثم حصل عند لشكرستان كورمو كلا به مطالبا بالبقية فاحتال صاحب له طبرى في الهرب به الى دار أحد الجند ثم أحضر قوما من الاكراد وأخرجه اليهم فساروا به وألحقوه بابى على ابن اسمعيل. (٤٦١) وطوى ابو على المنازل حتى نزل بباب شيراز

﴿ ذكر فتح شيراز ﴾

لما نزل ابو على بظاهر البلد برز ابن بختيار في جنده ورجالته وعسكر بازائه ووقعت الحرب بينهما فتضعضع ابن بختيار فى اليوم الاول وصادف عساكر بهاء الدولة وغدر به كثير من الغلمان ودخلوا البلد ونهبوا بعضه ونادوا بشعار بهاء الدولة .

وكان ابو احمد الموسوي بشيراز على ماتقدم ذكره في مسيره من واسط اليها وظن ابو احمد ان امراً قد تم فاستعجل وركب الى المسجد الجامع وكان يوم الجمعة فاقام الخطبة لبهاء الدولة . ثم ثاب ابن بختيار وعسكره نخاف ابو احمد واحتال

---

(١) وفى الاصل : لاولياء النعمه ولا

لنفسه وقعد في سلة وحمل مغطى حتى أخرج الى معسكر أبي علي ابن اسمعيل

وعادت الحرب في اليوم الثالث بين الفريقين فلم يمض من النهار بعضه حتى استامن الديلم الى ابي علي وهرب ابن بختيار ناجياً بنفسه وتبعه أخوه في الهرب فاما أحدهما وهو ابو نصر فانه لحق ببلاد الديلم وأما الآخر فانه مضى الى بدر بن حسنويه ثم تنقل من عنده الى البطيحة وملك ابو علي البلد وكتب الى بهاء الدولة بالفتح واتمام المسير فسار الى شيراز واستقر في الدار بها [٤٦٢]

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر بعد هذا الفتح ﴾

لما حصل بهاء الدولة بفارس أمر بنهب قرية الدودماز وحرقها وقتل كل من وجد بها من أهلها حتى استأصل شافتهم . وكشف عن رمة صمصام الدولة وجددت أكفانها وحملت الى التربة بشيراز فدفنت بها وأحسن الى فاطمة الدودمانية خاصة وبرها ووصلها . وذلك ثمرة فعلها الجميل فان المعروف شجرة مباركة أصلها زكي وعودها رطيب وورقها نضير وما خاب من غرسها وسقاها ولا ندم من حفظها ورعاها

فاجتمع ديلم فارس جميعهم بشيراز وجرى الخوض في أمر الاقطاعات وارتجاع مايرتجع منها واقرار مايقرر وترددت في ذلك مناظرات

﴿ ذكر تقرير الاقطاعات وتوفير في المصارفات ﴾

تقرر ان تجعل أصول التقريرات مصارفة ثلاثمائة درهم بدينار وان ينظر [٤٦٣] مالكل رجل من الايجاب الاصلي فيعطى به من الاقطاع الذي في يده مايكون ارتفاعه بقدره على هذا الصرف ويرتجع الباقي وان يبطل كل ما كان وقع به في آخر أيام صمصام الدولة . وجرى الامر على ذلك في معاملاته الاواسط [١]

---

(١) وفي الاصل : الا بواسط

والاصاغر فاما أكابر الديلم فان أبا علي ابن اسمعيل أعطاهم حتى ملأ عيونهم .
وعرفوا مذهبه في العجب والكبر فوضعوا له خدودهم وخدموه خدمة
لا يستحقها الملوك فضلا عن الوزراء فكانوا يقبلون الارض اذا بصروا به والى
ان يصلوا اليه عدة مرات ويمشون بين يديه اذا ركب كما تمشي أصاغر الديلم .
وزاد الامر بعضها أعطاهم من الاموال وأعطوه من الطاعة والانقياد وكل زيادة
تجاوزت حد الاستحقاق فهي نقصان وكل عطية سلبت نفع الارتفاق فهي حرمان
وعول على أبي غالب محمد بن علي بن خلف في النيابة عنه وقدمه
واصطنعه وفرق العساكر في النواحي وأخرج أبا جعفر أستاذ هرمز الى
كرمان واليا عليها وقبض على ألفتكين الخادم

﴿ ذكر السبب في القبض على الفتكين[١] ﴾

كان أبو على ابن اسمعيل يرعى لفلح ما أسداه اليه من جميل في استتاره ببغداد
فقدمه ونوه بذكره وثقل ذلك على الفتكين وأضمر به استيحاشا منه . واتفق
ان أبا علي في بعض مواقفه بباب السوس قال لالفتكين : ياحاجب الحجاب قد
عزمت على[١] أن أمضي في قطعة من الجيش الى وراء السوس وأدخل أطراف
البلد فان الديلم اذا عرفوا خبرنا اضطربوا وانصرف قوم منهم الينا فتشوشت
تعبيتهم فاذا بدت ذلك الفرصة وأمكنتك الحملة فاصنع ما أنت صانع . وقرر ذلك
معه وترك أبو علي علامته بحالها ودار من وراء الديلم ومعه نجب من الغلمان
وغيرهم ودخل شوارع السوس فانفصل من العسكر الصمصامي شهرستان في
خمسمائة رجل وتلقاهم واقتتلوا قتالا شديداً واضطرب مصاف الديلم ولاحت
الفرصة لالفتكين في الحملة فتوقف عنها غيظا من أبي على الموفق لانه كره

(١) وفي الاصل : الى

ان يتم أمر على يده فنقم أبو على هذا الفعل عليه وأسره في نفسه .

وحصل على باب شيراز بازاء ابن بختيار فظهر من الفتكين من التقاعد قريب مما تقدم فلما تم أمر الفتح وورد بهاء الدولة واستقرت الامور عمل في ابعاده فندبه للخروج الى بعض الكور وأمره بالتأهب وحمل اليه عشرين الف درهم نفقة . فأحضرها (٤٦٥) النقيب والفتكين شارب ثمل فتكلم بقبيح أعيد على الموفق فاغتاظ منه وقال لبهاء الدولة : هذا الغلام كالعاصي علينا والصواب القبض عليه واقامة الهيبة في نفوس الغلمان به . فأذن له في ذلك فقبض عليه وحمله الى القلعة

﴿ ذكر حيلة لطيفة كانت سبباً لسلامة الفتكين ﴾

اجتمع الغلمان ليخاطبوا في أمره فانتدب أحد وجوههم لأبي على وقال له : نحن عبيدك وأمرك نافذ في صغيرنا وكبيرنا وما نطالبك بالافراج عنه وقد أنكرت ما أنكرت منه ولكنا نسالك ان تهب لنا دمه وتعطينا يدك على حراسة نفسه . فقال : أما هذا فنعم . وأخذوا يده على ذلك وتوثقوا منه فلما عرض لابي على المسير في طلب ابن بختيار حين عاد من بلاد الديلم الى كرمان اجتمع اليه خواصه ونصحاؤه وقالوا : ليس من الرأي ان تخرج في مثل هذا الوجه وتترك وراءك مثل هذا العدو . واشاروا الى الفتكين فقال : ما كنت لأبذل قولي في امر ثم ارجع عنه

﴿ ذكر أغلاط لابي على ابن اسمعيل (٤٦٦) كانت سبباً لفساد حاله ﴾

أدل أبو على بعد فتح شيراز على بهاء الدولة ادلالا أفرط فيه وتجبر تجبراً لا توجبه السياسة ولا تقتضيه واطرح ما يلزم في خدمة الملوك من التقرب اليهم والتوفر عليهم وسلك خلاف هذه الطريقة وخرج من حد المتابعة والموافقة الى المنافقة والمضايقة من غلطاته ان أحد النبهاء قال لبهاء الدولة

في مجلس أنسه على سبيل الدعابة . زينك الله يامولانا في عين الموفق وبلغه ذالك فطالبه بتسليمه اليه ودوفع عنه فلم يندفع وأقام على الاستعفاء حتى سلم اليه فبالغ في عقوبته . ومنها انه وقع بين غلمان داره وبين غلمان الخيول الخاصة ما يقع من أمثالهم بين أمثالهم عند اللعب بالصوالجة فغلق بابه ومنع العسكر من لقائه ولم يقبل مشورة أحد من خواصه وراسل بهاء الدولة فقال للرسول ياهذا ان المخاطبة لي على غلمان داري قبيح وان التعصب علي لاجل منابذة جرت بينه وبين غلمانه أقبح وتسليمهم اليه ليشفي صدره منهم أقبح وأقبح فارجع اليه بالمعاتبة اللطيفة وعرفه ما عليه في هذه المراسلة الطريفة فمصت معه خطوب حتى أمسك . ومنها ان بهاء الدولة كان يجلس في الجوسق الذي في دار الامارة بشيراز وهو مشرف على الميدان ويجتاز أبو علي فيه (٤٦٧) راكبا وبين يديه أكابر الديلم مشاة فلا يرى ان يترجل وبهاء الدولة يراه وينفطر غيظا منه . ومنها انه أنفذ اليه بعض خواصه في ليلة نيروز يلتمس منه ثلاثة آلاف درهم فقال للرسول : لاي حاجة يريدها للخبز أو للحم أم للشعير ؟ فقال له الرسول : أيها الوزير لايحسن ان يكون جواب الرسالة غير حمل الدراهم . فقال له : ماههنا مال . وخاف الرسول ان تجري منافرة يكون هو سببها فحمل الدراهم من ماله وعرف بهاء الدولة ذلك من بعد

فانظر الى عجب الزمان وتقلب الاعيان : هذا أبو علي هو الرجل الذي تكلف واستدان وحمل الى بهاء الدولة من بغداد ما امتنع من حمله ابن عمر وابن صالحان فقربت من قلبه منزلته وعلت لديه درجته ورتبته ثم انتهى الامر به الى ان يطلب منه بهاء الدولة في ليلة نيروز هذا القدر النزر مع اتساع حاله وتبغضه على الديلم بعطائه ونواله فمنعه ، هل ذلك الا لحادث قد يغطي على

وكل بصيرة وبصير ؟ فشتان بين ابتداء السعادة وانتهائها لقد أحسنت أيامه ب اقبالها وأساءت في انفصالها والخبر المأثور مشهور اذا أقبلت الدنيا على قوم كستهم محاسن غيرهم واذا ولت عنهم سلبتهم محاسن أنفسهم

وكان أبو غالب ابن خلف في خلال هذه المضايقات يحول الى بهاء الدولة الدنانير الكثيرة في الاوقات (٤٦٨) المتفرقة سراً فتمهدت له بذلك حال إحاها وكانت أكبر وسائله عنده وتأكدت الوحشة بين بهاء الدولة وأبي علي وجرى أمره على ما يأتي من بعد ذكره بمشيئة الله تعالى

وفي هذه السنة قبض بكران بن بلفوارس على الحسين بن محمد بن مما نقيب نقباء الديلم ببغداد ثم أفرج عنه

﴿ ذكر الحال في القبض عليه ﴾

كان بكران مستنابا من قبل بهاء الدولة ببغداد على أمور الديلم فاستوحش من ابن مما وسعى بينهما سعاة بالفساد فقبض عليه بغير أمر من بهاء الدولة واعتقله في داره ووكل به كوشيار بن المرزبان مع جماعة من الديلم وضيق عليه وقلد أبا الحسين ابن راشد نقابة النقباء وأنزله في دار ابن مما وقيل انهم بالفتك به . فتوسط أبو الفتح منصور بن جعفر أمره وضمن عنه عشرين ألف دينار وأخذه الى داره وأقام خطوطا وكفالات بالمبلغ . وعرف الشريف ابو الحسن ابن عمر ما اقدم عليه بكران فأنكره وأطلق لسانه في بكران وفي ابن راشد بكل عظيمة وكتب الى بهاء الدولة والى ابى علي ابن اسمعيل بذلك (٤٦٩)

﴿ ذكر سياسة قامت بها الهيبة في الافراج عنه ﴾

لما وصلت الكتب الى ابي علي ابن اسمعيل امتعض الامتعاض الشديد وكتب الى بكران بما أغلظ القول فيه والى الشريف أبي الحسن بانتزاع

ابن مما من يده وارتجاع الكفالات المأخوذة بالمال منه وكتب الى احمد الفراش علازمة بكران الى ان يفرج عن الرجل . فامتثلت الجماعة مرسومه وأفرج عن ابن مما ورُدّت عليه الكفالات وانحدر الى الاهواز وجدد عهدا بالخدمة وعاد موفوراً . واستدعى بكران وأنفذ شيرزيل أخوه الى بغداد ليقوم مقامه وقبض على كوشيار وحل اقطاعه ووفيت السياسة حقها في ذلك

وفيها توجه الامير ابو منصور ابن بهاء الدولة الى الاهواز

وفيها استولى الامير ابو القاسم محمود بن سبكتكين على أعمال خراسان بعد ان واقع عبد الملك بن نوح بن منصور ومن في جملته من توزون وفائق وابن سمجور بظاهر مرو وهزمهم وأقام الدعوة لأمير المؤمنين القادر بالله رضي الله عنه على منابر تلك البلاد وكان آل [سامان] مستمرين على اقامتها للطائع لله .

وورد كتاب أبي القاسم [٤٧٠] محمود الى القادر بالله رضي الله عنه يذكر الفتح على ما جرت به العادة في أمثاله

انقضت سنة تسع وثمانين وثلاثمائة وبانقضاء أخبارها ختمنا هذا الكتاب ومن الله تعالى نرجو أحسن التوفيق والهداية للصواب وبه سبحانه نعوذ من شر القصد وخيبة المنقلب وآفة الاعجاب وهو حسبنا ونعم الوكيل

آخر ما صنفه الوزير أبو شجاع رضي الله عنه وارضاه والحمد لله كثيرا